مجلة جامعة حمص

سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية

مجلة علمية محكمة دورية

المجلد 47 . العدد 10

1447 هـ - 2025 م

الأستاذ الدكتور طارق حسام الدين رئيس جامعة حمص **المدير المسؤول عن المجلة**

أ. د. وليد حمادة	**رئيس تحرير مجلة جامعة حمص للعلوم الإنسانية**
د.نعيمة عجيب	**رئيس تحرير مجلة جامعة حمص للعلوم الطبية والهندسية والأساسية والتطبيقية**

د.محمد فراس رمضان	عضو هيئة التحرير
د. مضر سعود	عضو هيئة التحرير
د. ممدوح عبارة	عضو هيئة التحرير
د. موفق تلاوي	عضو هيئة التحرير
د. طلال رزوق	عضو هيئة التحرير
د. أحمد الجاعور	عضو هيئة التحرير
د. الياس خلف	عضو هيئة التحرير
د. روعة الفقس	عضو هيئة التحرير
د. محمد الجاسم	عضو هيئة التحرير
د. خليل الحسن	عضو هيئة التحرير
د. هيثم حسن	عضو هيئة التحرير
د. أحمد حاج موسى	عضو هيئة التحرير

تهدف المجلة إلى نشر البحوث العلمية الأصيلة، ويمكن للراغبين في طلبها الاتصال بالعنوان التالي:

رئيس تحرير مجلة جامعة حمص

سورية . حمص . جامعة حمص . الإدارة المركزية . ص . ب (77)

. هاتف / فاكس : 2138071 31 963 ++

. موقع الإنترنت : www.homs-univ.edu.sy

. البريد الالكتروني : journal.homs-univ.edu.sy

ISSN: 1022-467X

شروط النشر في مجلة جامعة حمص

الأوراق المطلوبة:

- 2 نسخة ورقية من البحث بدون اسم الباحث / الكلية / الجامعة) + CD / word من البحث منسق حسب شروط المجلة.
- طابع بحث علمي + طابع نقابة معلمين.
- **اذا كان الباحث طالب دراسات عليا:**

يجب إرفاق قرار تسجيل الدكتوراه / ماجستير + كتاب من الدكتور المشرف بموافقته على النشر في المجلة.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية:**

يجب إرفاق قرار المجلس المختص بإنجاز البحث أو قرار قسم بالموافقة على اعتماده حسب الحال.

- **اذا كان الباحث عضو هيئة تدريسية من خارج جامعة البعث :**

يجب إحضار كتاب من عمادة كليته تثبت أنه عضو بالهيئة التدريسية و على رأس عمله حتى تاريخه.

- **اذا كان الباحث عضواً في الهيئة الفنية :**

يجب إرفاق كتاب يحدد فيه مكان و زمان إجراء البحث ، وما يثبت صفته وأنه على رأس عمله.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسبة لكليات (العلوم الطبية والهندسية والأساسية والتطبيقية):**

عنوان البحث . . ملخص عربي و إنكليزي (كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

1- مقدمة

2- هدف البحث

3- مواد وطرق البحث

4- النتائج ومناقشتها .

5- الاستنتاجات والتوصيات .

6- المراجع.

- **يتم ترتيب البحث على النحو الآتي بالنسـبة لكليات (الآداب – الاقتصـاد– التربية – الحقوق – السياحة – التربية الموسيقية وجميع العلوم الإنسانية):**
- عنوان البحث . . ملخص عربي و إنكليزي (كلمات مفتاحية في نهاية الملخصين).

1. مقدمة.
2. مشكلة البحث وأهميته والجديد فيه.
3. أهداف البحث و أسئلته.
4. فرضيات البحث و حدوده.
5. مصطلحات البحث و تعريفاته الإجرائية.
6. الإطار النظري و الدراسات السابقة.
7. منهج البحث و إجراءاته.
8. عرض البحث و المناقشة والتحليل
9. نتائج البحث.
10. مقترحات البحث إن وجدت.
11. قائمة المصادر والمراجع.

7- يجب اعتماد الإعدادات الآتية أثناء طباعة البحث على الكمبيوتر:

أ- قياس الورق 17.5×25 B5.

ب- هوامش الصفحة: أعلى 2.54- أسفل 2.54 – يمين 2.5- يسار 2.5 سم

ت- رأس الصفحة 1.6 / تذييل الصفحة 1.8

ث- نوع الخط وقياسه: العنوان . Monotype Koufi قياس 20

ـ كتابة النص Simplified Arabic قياس 13 عادي ـ العناوين الفرعية Simplified Arabic قياس 13 عريض.

ج . يجب مراعاة أن يكون قياس الصور والجداول المدرجة في البحث لا يتعدى 12سم.

8- في حال عدم إجراء البحث وفقاً لما ورد أعلاه من إشارات فإن البحث سيهمل ولا يرد البحث إلى صاحبه.

9- تقديم أي بحث للنشـر في المجلة يدل ضـمناً على عدم نشـره في أي مكان آخر، وفي حال قبول البحث للنشر في مجلة جامعة البعث يجب عدم نشره في أي مجلة أخرى.

10- الناشر غير مسؤول عن محتوى ما ينشر من مادة الموضوعات التي تنشر في المجلة

11- تكتب المراجع ضمن النص على الشكل التالي: [1] ثم رقم الصفحة ويفضل استخدام التهميش الإلكتروني المعمول به في نظام وورد WORD حيث يشير الرقم إلى رقم المرجع الوارد في قائمة المراجع.

تكتب جميع المراجع باللغة الانكليزية (الأحرف الرومانية) وفق التالي:

آ . إذا كان المرجع أجنبياً:

الكنية بالأحرف الكبيرة ـ الحرف الأول من الاسم تتبعه فاصلة ـ سنة النشر ـ وتتبعها معترضة (–) عنوان الكتاب ويوضع تحته خط وتتبعه نقطة ـ دار النشر وتتبعها فاصلة ـ الطبعة (ثانية . ثالثة) . بلد النشر وتتبعها فاصلة . عدد صفحات الكتاب وتتبعها نقطة.

وفيما يلي مثال على ذلك:

–MAVRODEANUS, R1986– **Flame Spectroscopy**. Willy, New York, 373p.

ب . إذا كان المرجع بحثاً منشوراً في مجلة باللغة الأجنبية:

ـــ بعد الكنية والاسم وسنة النشر يضاف عنوان البحث وتتبعه فاصلة، اسم المجلد ويوضع تحته خط وتتبعه فاصلة ـــ المجلد والعدد (كتابة مختزلة) وبعدها فاصلة ـــ أرقام الصفحات الخاصة بالبحث ضمن المجلة.

مثال على ذلك:

BUSSE,E 1980 Organic Brain Diseases **Clinical Psychiatry News** , Vol. 4. 20 – 60

ج. إذا كان المرجع أو البحث منشوراً باللغة العربية فيجب تحويله إلى اللغة الإنكليزية و التقيد بالبنود (أ و ب) ويكتب في نهاية المراجع العربية: (المراجع In Arabic)

رسوم النشر في مجلة جامعة حمص

1. **دفع رسم نشر (50000) ل.س أربعون ألف ليرة سورية عن كل بحث لكل باحث يريد نشره في مجلة جامعة البعث.**
2. **دفع رسم نشر (200000) ل.س مئة الف ليرة سورية عن كل بحث للباحثين من الجامعة الخاصة والافتراضية .**
3. **دفع رسم نشر (200) مئتا دولار أمريكي فقط للباحثين من خارج القطر العربي السوري .**
4. **دفع مبلغ (15000) ل.س ستة آلاف ليرة سورية رسم موافقة على النشر من كافة الباحثين.**

المحتوى

اسم البحث	اسم الباحث	الصفحة
أسلوبُ (الرُّجوعِ) في التُّراثِ البلاغيِّ والنقديِّ - دراسةٌ تأصيليَّةٌ -	د.محمد حسن الشعير	26-11
أثر الغزو الإسباني لأمريكا اللاتينية على حضارة المايا خلال القرن السادس عشر الميلادي	روكن محمود حسي أ.د.حسام جميل النايف	62-27
ألمانيا الغربية وفلسطين 1949-1967 (الاعتبارات الأخلاقية، السياسية والداخلية لدعم ألمانيا الغربية للكيان الصهيوني صور وأشكال هذا الدعم)	صبا حكت شعبان أ.د. أيمن صلاط د.وسام عياش	88-63
الأزمة الأوروبية عام 1939 وتأثيرها على الداخل الفلسطيني (وضع ألمانيا وبريطانيا، هتلر وسياسة التهجير القسري، فلسطين ودول المحور)	صبا حكت شعبان أ.د. أيمن صلاط د.وسام عياش	124-89

البعوث والسفارات النبوية (صلح الحديبيةوالسفارة إلى هرقل أنموذجاً)	نور محسن العبد د.عبد السلام زيدان	192-125

أسلوبُ (الرُّجوعِ) في التُّراثِ البلاغيِّ والنقديِّ
– دراسةٌ تأصيليَّةٌ –

د. محمد حسن الشعير

دكتوراه في الدراسات النقديَّة والبلاغيَّة – جامعة حمص

الملخَّص:

سعى هذا البحث إلى التأصيل لأسلوب بلاغيٍّ لم ينل حقَّه اللَّازم من البحث والدراسة، وهو أسلوب الرُّجوع، وذلك عبر المنهجين: التاريخيِّ، والوصفيِّ التحليليِّ.

عرَّف البحث – بدايةً – الرُّجوعَ في اللُّغة، وفي اصطلاح البلاغيّين والنُّقاد العرب القدامى، ثمَّ بيَّن جماليَّاته، ومرادفاته، وموقف هؤلاء العلماء منه وطرائق تعاملهم مع شواهده. ثمَّ خُتم البحث بالنتائج المُستفادة، ومن أهمِّها: أنَّ الرُّجوع أسلوب بلاغيٌّ يخرج لأغراض مختلفة، وأنَّه يعينُ المبدعَ على إنتاج المعاني والدِّلالات بطريقة فنِّيَّة لطيفة، وينقلُ أحوالَه النفسيَّة والانفعاليَّة لحظة الإبداع إلى المتلقِّي.

كلمات مفتاحيَّة: الرُّجوع، البلاغة العربيَّة، النقد العربيّ القديم.

The method of (ruju') in rhetorical and critical heritage

-Rooting study-

Dr. Muhammad Hassan Al-Sha'ir

PhD in Critical and Rhetorical Studies – University of Homs

Abstract:

This research seeks to establish a rhetorical technique that has not received its due research and study: the ruju' technique. This research utilizes two approaches: historical and descriptive-analytical.

The research first defines ruju' in the language and among ancient rhetoricians and critics. It then explains its aesthetics, synonyms, the positions of these scholars on it, and the methods they used to deal with its evidence. The research concludes with the most important findings, the most important of which is that ruju' is a rhetorical technique used for various purposes. It helps the creative writer produce meanings and connotations in a subtle, artistic manner, conveying their psychological and emotional states at the moment of creativity to the recipient.

Keywords: ruju', Arabic rhetoric, ancient Arabic criticism

.

أوَّلاً: المقدِّمة:

استعمل الشاعر العربيُّ القديم بحسِّه الفطريِّ المرهف أساليبَ بلاغيَّة متنوعة، استطاع من خلالها أن يعبر عن دواخله، وما يعتمل في نَفْسه من مشاعر وعواطف، وما يجول في خاطره من أفكار ومعان. وقد نهض علماؤنا القدامى منذ بداية التأليف في علوم العربيَّة إلى تتبُّع هذه الأساليب، وبيان أنواعها وأغراضها وطرائق استعمالها، والاستشهاد عليها. ومن تلك الأساليب التي استعملها الشعراء أسلوب (الرُّجوع)، وهو فنٌّ تنبَّه العلماء إليه في مرحلة مبكرة من مراحل التأصيل للأساليب البلاغيَّة، فسجّلوه وقدَّموا شواهد عليه، وهو ما سيكون مدار البحث والدراسة في هذا المقال، وذلك على سبيل حلِّ **إشكاليَّة** تتأتَّى من جهتين: من جهة الدرس البلاغيِّ والنقديِّ القديم؛ وذلك في تباين مواقف العلماء القدامى من شواهد هذا الأسلوب، والخلط الحاصل بينه وبين التناقض الذي هو عيب من عيوب المعاني الشعرية عندهم. ومن جهة الدرس الحديث؛ في غياب هذا الأسلوب عن الدراسات والبحوث، وعدم إدراجه إلى جانب غيره من الأساليب الفنيَّة في الدراسات البلاغيَّة التطبيقيَّة للنصوص الشعريَّة.

ومن ثمَّ فإنَّ البحث يرمي إلى تحقيق جملة من **الأهداف**، تتمحور حول: تعريف الرُّجوع وبيان معناه، وإظهار الفرق بينه وبين التناقض، وبيان الأغراض البلاغيَّة التي قد يخرج إليها، ودراسة موقف العلماء منه، وما لمصطلح الرُّجوع من مرادفات.

وتكمن **أهميَّة البحث** في هذا الموضوع في لفت أنظار الدارسين والباحثين إلى هذا الأسلوب البلاغيِّ، والإفادة من دلالاته البلاغيَّة والجمالية في دراسة النصوص الأدبيَّة وتحليلها. كما أنَّ للبحث أهميَّة أخرى من جهة أنَّه ينمِّي استخدام هذا الأسلوب عند المتكلمين، ويعزز حضوره ويرسخه في الذائقة البلاغيَّة عندهم، ولا سيَّما ذائقة النشء عند من يمتلك منهم موهبة الشعر.

وأمَّا **المنهج**؛ فقد اعتمدت هذه الدراسة في سبيل تحقيق أهدافها المنهجين: التاريخيَّ في تتبع جهود العلماء في تعريف الرُّجوع والاستشهاد عليه، وذلك بدءًا من جهود ابن المعتز (ق3هـ) ووصولًا إلى جهود القزويني والسُّبكي (ق8هـ). والمنهجَ الوصفيَّ التحليليَّ في دراسة شواهد الرُّجوع وتحليلها وبيان أغراضها.

ثانيًا: العرض والمناقشة:

1 – الرُّجوع في اللُّغة:

يحتوي الجذر اللغويُّ (ر ج ع) مادةً لغويَّة غزيرة فيها أكثر من ثلاثين صـيغة بين فعل واسـم، تكاد تجتمع كلُّها على أداء معاني الانصـراف والعودة والارتداد. جاء في تاج العروس: «رَجَعَ:... انصـرفَ، وفي التَّنْزِيل: ﴿إِنَّ إِلى رَبِّكَ الرُّجْعى﴾ أَي الرُّجوع. رَجَعَ الشـيءَ عن الشـيءِ، ورَجَعَ إليه، ... رَجْعًا ومَرْجِعًا، كَمَقْعَدٍ ومَنزِلٍ: صَـرَفَه ورَدَّه، ... [و] الرُّجوع: العَود»[1].

ومِن الشَّواهد الاستعماليَّة للرجوع، قول الفَرَّاء النحويِّ (ت207هـ): «رجعَ أبو الجراح في كلامـه عن قول [كذا]»[2]؛ أي عـاد عنـه وغيَّره. وجـاء في المثـل: «رجعَ فلانٌ إلى مَحْكِدِه: إذا فعل شـيئًا من المعروف ثم رجعَ عنه»[3]. فالدلالة اللغويَّة للرُّجوع تشـير إلى الانصراف والعودة والتغيير.

2– الرُّجوع في البلاغة العربيَّة:

لا تختلف دلالة (الرُّجوع) في الاصطلاح البلاغيِّ عن دلالته اللغويِّة في العودة عن الشيء وتغييره، ويرجع إلى أبي عُبيدة معمر بن المثنى (ت208هـ) أقدمُ نصٍّ وصل إلينا عن النُّقَّاد والبلاغيِّين العرب القدامى فيه ذكرٌ للرُّجوع، ورد ذلك في سياق تعليقه على قول زهير بن أبي سُلمى: [من البسيط]

قِف بِالدِّيارِ الَّتي لَم يَعفُها القِدَمُ بَلـى وَغَيَّرَهـا الأَرواحُ وَالـدِّيَمُ

قال أبو عبيدة: «أكذبَ نفسَه؛ قال: "لم يعفُها"، ثمَّ رَجَعَ فقال: "بلى..."»[4].

---

(1) **تاج العروس من جواهر القاموس:** مرتضـى الزَّبيدي (ت 1205هـ)، تحقيق مجموعة من المختصين، وزارة الإرشاد – الكويت، 1994م، 65/21. والآية الكريمة في سورة العلق 8.

(2) **معاني القرآن:** أبو زكريا الفرَّاء (ت 207هـ)، تحقيق أحمد يوسف النجاتي وآخرين، دار المصرية للتأليف والترجمة، ط1، 93/2.

(3) **المحكم والمحيط الأعظم:** ابن سيده الأندلسي (ت 453هـ)، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 2000م، 36/3.

(4) **شـعر زهير بن أبي سُلمى صنعة الأعلم الشـنتمري** (ت476هـ): تحقيق فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط3، 1980م، ص 101. والأرواح والدِّيم: الرياح والأمطار.

ولعلَّ ابن المعتز (ت296هـ) أفاد من أبي عبيدة في التأصيل لهذا الأسلوب البلاغيِّ وفي صياغة مصطلح دالٍّ عليه، إذ يعدُّ أوَّلَ من ذكر الرُّجوع وصنَّفه ضمن فنون البديع التي ترد عند الأدباء والشعراء. جاء عنده في سياق تعداد هذه الفنون: «... ومنها الرُّجوع؛ وهو أن يقول شيئًا ويَرْجِعَ عنه؛ كقول بشار: [من الكامل]

نُبِّئتُ فاضحَ أُمِّهِ يغتابُني عَندَ الأَميرِ، وهل عَلَيه أَميرُ![1]».

فقد ذكر بشار بن برد أنَّ المغتاب قد اغتابه عند الأمير، ثمَّ رجع عن ذلك مستنكرًا بعبارة (وهل عليه أميرُ!) أو (وهل عليَّ أمير!) في رواية أخرى[2].

ويفهم من تعليق أبي عبيدة السَّابق، ومن تعريف ابن المعتز للرُّجوع، ومن الشاهدين الشعريين، أنَّ المقصود بالرجوع ليس بأن يرجع الشاعر إلى معنى سابق ليؤكِّده – مثلاً– ويبسطه ويزيد من شرحه، وإنَّما هو رجوع عنه بمعنى تغييره والارتداد عنه وإبطاله.

ثمَّ تابع العلماء بعد ابن المعتز في التأصيل لهذا الأسلوب البلاغيِّ، فنقل عنه الخوارزميُّ (ت387هـ) تعريفه لـ(الرجوع) في كتابه مفاتيح العلوم، وذلك ضمن فصل خاصٍّ وسمه بمصطلحات نقد الشعر[3]، كما تبع ابنَ المعتز مجموعةٌ من النقاد والبلاغيين ثبَّتوا دعائم هذا الأسلوب البلاغي واستطردوا في ذكر شواهده؛ فذكره: أبو هلال العسكري (ت395هـ) في كتابه الصِّناعتين، وأسامة بن منقذ (ت584هـ) في كتابه البديع في نقد الشعر[4].

كما ذكره القزوينيُّ (ت739هـ) في كتابه التلخيص، وعرَّفه بأنَّه: «هو العودُ إلى

(1) **البديع**: عبدالله بن المعتز(ت 296هـ)، اعتنى بنشره وتعليق المقدمة والفهارس إغناطيوس كراتشقوفسكي، دار المسيرة – بيروت، ط3، 1982م، ص60.

(2) البيت في ديوان بشار بن برد: شرح وتكميل محمد الطاهر ابن عاشور، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة، 1966م، 296/3. برواية: (نُبِّئتُ آكِلَ خُرئِهِ) بدل من (نُبِّئتُ فاضحَ أُمِّهِ)، و(وهل عَلَيَّ أَميرُ) بدل من (وهل عليه أَميرُ).

(3) ينظر: **مفاتيح العلوم**: أبو عبد الله الخوارزمي، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ط2، ص 116.

(4) ينظر: **كتاب الصناعتين الكتابة والشعر**، أبو هلال العسكري، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية – بيروت، ١٤١٩هـ، ص 395. و**البديع في نقد الشعر**: أسامة بن منقذ تحقيق أحمد بدوي، وحامد عبد المجيد، الجمهورية العربية المتحدة – وزارة الثقافة، ص120.

الكلام السَّابق بالنَّقْضِ لنُكتةٍ»[1]، وأخذ عنه السُّبكيُّ (ت773هـ) في عَروس الأفراح، وصنَّف الرُّجوع ضمن المحسِّنات البديعيَّة المعنويَّة[2]، كما تبعهما مجموعةٌ مِن العلماء، منهم: ابن حجَّة الحمويُّ (ت ٨٣٧هـ)، والسيوطيُّ (ت911هـ)... إلخ[3].

أمَّا في الدرس الحديث، فقد اكتفى بذكر (الرُّجوع) أصحابُ كتب المصطلحات البلاغيَّة، فعرَّفوا به اعتمادًا على تعريفي ابن المعتز والسُّبكي[4]. في حين غاب هذا الأسلوب عن الكتب الدرسيَّة التي خصَّت علوم البلاغة العربيَّة بقدرٍ من التعمُّق والتفصيل، إذ لا نجد له حضورًا في جواهر البلاغة للهاشميِّ – مثلاً– أو في المُفصَّل لعيسى العاكوب[5]. كما أُهمل درسُه في الدراسات والبحوث الأكاديميَّة للأساليب البلاغيَّة في النصوص الأدبيَّة القديمة والحديثة، بحسب ما كان في مقدورنا الاطلاع عليه

(1) **التَّلخيص في علوم البلاغة**: جلال الدين القزويني، ضبطه وشرحه عبدالرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي – بيروت، ط2، 1932م، ص 359.

(2) ينظر: **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح**: بهاء الدين السبكي (ت ٧٧٣ هـ)، تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط1، ٢٠٠٣ م، 242/2.

(3) ينظر: **خزانة الأدب وغاية الأرب**: ابن حجة الحموي (ت ٨٣٧هـ)، عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال– بيروت، ٢٠٠٤م، 282/2. و**معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم**: جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب – القاهرة، ط1، ٢٠٠٤ م، ص 101. و**الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم**: عصام الدين الأسفراييني (ت ٩٤٣هـ)، حققه وعلق عليه: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 101/1. و**كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**: التهانوي (ت بعد ١١٥٨هـ)، تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ط1، ١٩٩٦م، 846/1. و**حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني**: محمد بن عرفة الدسوقي (ت1230هـ)، عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية – بيروت، 48/4.

(4) ينظر: **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**: أحمد مطلوب، منشورات المجمع العلمي العراقي، 1983م. و**معجم البلاغة العربية**: بدوي طبانة، دار المنارة ودار الرفاعي – الرياض، 1988م، ص239. و**المعجم المفصل في علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)**: إنعام فوَّال العكاوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط2، 1996م. ص 573. و**المصطلح النقدي العربي في التراث الأدبي**: محمد عزام، دار الشرق العربي – بيروت، بلا ت، ص 192.

(5) يُراجع كتاب: **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**: أحمد الهاشمي (ت ١٣٦٢هـ)، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت. و**المُفصَّل في علوم البلاغة العربية**: عيسى العاكوب، منشورات جامعة حلب – سورية، ط2، 1437هـ.

ومراجعته منها.

3- جماليَّة الرُّجوع:

ظهر من تعريف العلماء للرُّجوع أنَّه يكون بنقض المعنى وبإبطاله وتغييره، ومن ثمَّ فإنَّ الحديث عن جماليته يستوجب منا – بدايةً – بيان الفارق بينه وبين (التناقض) الذي عدَّه النقد العربيُّ القديم من عيوب المعاني الشعريَّة.

فأمَّا التَّناقض: فهو أن يُثبِتَ الشَّاعر شيئًا لشيءٍ بعينه ثمَّ ينفيه عنه، أو أن يقولَ بشيء ثمَّ يقول بضدِّه. وهو عيبٌ بإجماع النقاد القدامى؛ لأنَّ الكلام المتناقض لا طريق للفهم إليه؛ لتخالُف أطرافه وتنافُر معانيه ممَّا يُفسد المعاني، ويمنع إيصالها، وهو إلى جانب ذلك دليل على سوء التأليف، وعيب في عقل القائل في أن يجمع بين المعنى ونقيضه بآنٍ[1].

ومن التناقض الذي سجَّله النُّقَّاد قولُ يزيد بن مالك الغامدي: [من الوافر]

أَكُفُّ الجَهْلَ عَنْ حُلَمَاءِ قَومِي ... وأُعْرِضُ عَنْ كَلامِ الجَاهِلِيْنَا

إِذَا رَجُلٌ تَعَرَّضَ مُسْتَخِفًّا ... لَنَا بِالجَهْلِ أَوْشَكَ أَنْ يَحِيْنَا

فقد أشار غيرُ ناقد إلى أنَّ ثمَّة تناقضًا بين البيتين، وعابوه على الشاعر؛ ذلك لأنَّه أوجب في البيت الأوَّل لنفسه الحلم والإعراض عن الجُهَّال، ونفى ذلك بعينه في البيت الثاني بتعدِّيه في معاقبة الجاهل إلى أقصى مراتب العقوبات، وهو القتل[2].

وأمَّا الرُّجوع فهو بحسب ما جاء في تعريف السُّبكي له – الذي أوردناه قبل قليل – يكون «بالنقض لنكتة»[3]، أي: لغرض بلاغيٍّ، وهو ما وضَّحه في تعليقه على قول زهير بن أبي سُلمى: [البسيط]

---

(1) ينظر: **نقد الشعر**: أبو الفرج قدامة بن جعفر (ت 337هـ)، تحقيق وتعليق محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الكتب العلمية – بيروت، ص 195. و**البرهان في وجوه البيان**: إسحاق بن وهب الكاتب (ت335هـ)، تحقيق محمد حفني شرف، مكتبة الشباب ومطبعة الرسالة – القاهرة، 1969م، ص 18. **والوَسَاطة بين المتنبي وخصومه**: القاضي الجرجاني (ت392هـ)، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه – مصر، 1966م، ص 415.

(2) ينظر: **نقد الشعر** 201، **والصناعتين** 89. و«أن يحينا»: أن يأتي حَيْنه وأجله؛ أي: يُقتل.

(3) ينظر: **عروس الأفراح** 242/2.

قِف بِالدِيارِ الَّتي لَم يَعفُها القِدَمُ بَلى وَغَيَّرَها الأَرواحُ وَالدِّيَمُ

قال: «لمَّا وقفَ بالدِّيار حصلتْ له كآبةٌ أذهلته، فأخبرَ بما لم يتحقَّق، فقال: "لم يعفُها"، ثم رجعَ إليه عقلُه فتدارك كلامَه، فقال: "بلى وغيَّرها الأرواحُ والدِّيمُ"، كذا قالوه. وليس مرادُهم ما هو ظاهر العبارة من أنَّه غَلِطَ ثمَّ استدرك؛ لأنَّ ذلك يكون غلطًا لا بديع فيه؛ بل المراد أنَّه توهَّم الغلطَ، وإن كان قالَه عن عمدٍ، إشارة إلى تأكيد الإخبار بالثاني، لأنَّ الشيءَ المرجوع إليه يكون تحقُّقه أشدّ»[1].

وقد أفاد الدَّسوقيُّ من كلام السُّبكي وزاد عليه في بيان جماليَّة بلاغة هذا البيت، فبيَّن بأنَّ الشاعر إنَّما رجع: «لأجل إظهار التَّحسُّر والتَّحزُّن على ما فات، فإذا كان الإنسان مُتولِّهًا بحب شيء صار كالمغلوب على عقله، فربَّما ظنَّ أنَّ الشيءَ واقعٌ وليس بواقع، فإذا أَخْبَرَ بشيءٍ على خلاف الواقع لكونه مرغوبًا له ثمَّ عاد لإبطاله بالإخبار بالحقيقة، يَظهرُ من ذلك أنَّه عائدٌ إلى الصدق كُرهًا، وفي ضمن ذلك التأسُّفُ على فوات ما رغب فيه»[2].

فإذا كان التناقض زللًا من الشاعر، يقع به من دون قصد في الغالب، وهو غلط وعيب، فإنَّ الرُّجوع كما بيَّن لنا السُّبكيُّ والدَّسوقيُّ يقع لغرض بلاغيٍّ جماليٍّ يعينُ المبدعَ على إنتاج المعاني وتوليد الدلالات بطريقة فنيَّة، وهو في بيت زهير أفاد تصوير حجم حزنه وتحسُّره وذهوله لِمَا حلَّ بالديار، فقد أنكر عقلُه ما تراه عينه، إلى أنْ عاد إلى رُشده وأدركَ حالَ الدِّيار على حقيقتها فاعترف – متأسِّفًا – بما آلت إليه من خراب وزوال. وهو من خلال ذلك استطاع التعبير عن أحواله النفسيَّة والانفعاليَّة، وجعل المتلقِّي يعايش تلك الأحوال لحظة إنتاجه الشعري.

ويشبه قولَ زهير قولُ أبي الطيب المتنبِّي مستهلًا إحدى قصائده، قال: [من البسيط]

دَمعٌ جَرى فَقَضى في الرَّبعِ ما وَجَبا لِأَهلِهِ وَشَفى، أَنّى وَلا كَرَبا

فقد ذهب المتنبي في هذا البيت إلى أن بكاءه على الطلل شفى قلبه من الشوق، ثمَّ رجعَ بعبارة: "أَنّى وَلا كَرَبا"، فأنكرَ أن يكون قد شُفي، ما أفاد المبالغة في تصوير شدة حزنه وأساه وشوقه إلى من فارق، قال الواحدي (ت468هـ) في سياق شرحه للبيت: «يعني

(1) عروس الأفراح 242/2.

(2) حاشية الدسوقي على مختصر المعاني 48/4.

أنَّه بكى في أطلال الأحبَّة بدمعٍ قضـــى ما وجبَ لهم وشــفاه مِنْ وجْدِه بهم، ثمَّ رجعَ عن ذلك فقال "أنَّى": أي كيف قضـــى ذلك؟ "ولا كَرَبَ" أي: ولا قاربَ ذلك ولا داناه. يعني لم يقضِ الحقَّ ولا شـفى الوجدَ، وذلك أنَّه أكثرَ البُكاءَ فغلبَ على ظنِّه أنَّه بلغَ قضـاء حقِّهم، ثمَّ عَلِمَ بعدُ أنَّه قاصرٌ عن ذلك فرجعَ عمَّا قال»[1].

فإذا كان البكاء يطفئ نار الشــوق فإنه لم يفلح عند أبي الطيب، بل زاد من شــوقه وحرقته على من فارق. وقريب من ذلك يبرز الرجوع في التشبيب عند أبي بكر الخوارزمي في قوله: [من المتقارب]

إذا مــا ظَـمـئـتُ إلـى ريـقِـه جعلـتُ المُـدامـةَ منــه بَـديلا
وأيـن الـمُـدامَـةُ مِـن ريـقِـه؟ ولـكِن أعلِّـلُ قـلـبـاً عَـلـيـلا[2]

فالشــاعر يبحث عما يسـلِّيه ويعوضــه غياب الأحبة فلجأ إلى الخمرة، ثم رجع في البيت الثاني مســتفهمًا: "وأين المُدامةُ من ريقِه؟ ..."، إذ لا شــيء يمكن له أن يعوضــه الغياب ويروي شوقه. فأفاد الكشف عن شدَّة شوقه حتى أنَّ الخمرة لم تستطع أنْ تسليه وتنسيه، كما أفاد بيان خلابة المحبوب ورقته وسحره الذي فاق فعل الخمرة المُسكر.

وإلى جانب هذه الشــواهد التي أدى الرجوعُ فيها وظيفة بلاغيَّة جماليَّة أفادت بيان شدَّة حزن الشعراء، والأسى والشوق لمن فارقوا، وذُهول عقولهم، وحيرتهم، فإنَّ الرجوع قد يخرج إلى أغراض بلاغيَّة أخرى؛ منها أنَّه يفيد تأكيد المعنى والمبالغة به، ولا ســيَّما في سياق المدح، نحو قول أبي نُواس يمدحُ: [من الرجز]

يا خَيرَ مَنْ كانَ ومَنْ يَكونُ إلّا النَّبِيُّ الطاهِرُ المَيمونُ[3]

فبعد أن جعل أبو نُواس الممدوحَ خيرَ البشر، رجع بعبارة: "إلّا النبــيُّ الطــــاهِرُ المَيــــمــــونُ"، وهذا الرجوع ليس انتقاصًا، إنَّما يفيد المبالغة في المدح؛ ذلك لأنَّه جعل

(1) **شرح الواحدي لديوان المتنبِّي**: تحقيق ياسين الأيوبي وقصي الحسين، دار الرائد العربي – بيروت، ط1، 1999م، 494/1. والبيت في ديوان أبي الطيب المتنبي (354هـ): طبعة صحَّحها وقارن نسخها وعلَّق عليها: عبد الوهاب عزام، لجنة التأليف والترجمة والنشر– القاهرة، ص88.

(2) **معاهد التنصيص** 255/2.

(3) **البديع** 60، والرجز في ديوان أبي نُوَاس (198هـ): شرح غريبه محمود أفندي واصف، المطبعة العمومية بمصر، ط1، 1898م، ص117.

الممدوح في مرتبة تلي مرتبة النَّبيِّ الكريم ﷺ العالية الشـريفة التي لا يدانيها مخلوق، وهذا أقصى ما يمكن أن يكون في المدح، والغاية في الثناء.

وعلى سبيل المبالغة في المدح أيضًا، قال أبو البيداء الرياحيُّ: [من الطويل]

وَمَا لِيَ انتصارٌ إنْ غَدَا الدَّهرُ جائرًا عليَّ، بلى إنْ كانَ مِنْ عندكَ النَّصرُ[1]

فبعد أنْ نفى الشـاعر أن يكون له نصـرٌ إذا الزمان جار عليه، وهو يريد أنَّه لا أحد من الناس في مقدوره أن ينفعه وينصـــره، رجع بعبارة: "بلى إنْ كانَ مِنْ عندَكَ النَّصـــرُ"، فرفع من شأن الممدوح وعظَّمه وأعطاه مزيَّة على غيره.

وعلى عكس ذلك فقد يكون الرجوع من باب الاستصغار والاستخفاف، وهو ما يبرز في بيت بشار: [من الكامل]

نُبِّئـتُ فـاضـــحَ أُمِّـهِ يغتـابُني عَندَ الأَميرِ، وهل عَلَيـه أَميرُ![2]

فرجوعه بعبارة: "وهل عليه أميرُ"، أو بعبارة: "وهل عليَّ أمير" في رواية أخرى، يفيد الاستخفاف بالأمير المقصود والحطَّ من شأنه، وهذا على عادة بشار الجارية في الاستهزاء والاستخفاف بالعامَّة والخاصَّة في كثير من شعره.

تلك هي أظهر الأغراض البلاغيَّة للرُّجوع، والحقيقة أنَّه لا يمكن لنا الإحاطة بها واستقصاؤها، ذلك أنَّها تختلف – كما تبيَّن من الشواهد المذكورة – تبعًا للأغراض الشعريَّة وللسياقات التي ترد فيها.

4- مرادفات الرُّجوع:

لا يخفى أنَّ معظم الأساليب البلاغيَّة التي أصَّل لها القدماء يردُ الواحد منها بأسماء وصـــيغ عديدة، فلا تكاد أن تجد مصـــطلحًا من دون أن يكون له مرادف، من ذلك مثلًا: براعة المطلع، وبراعة الاستهلال، وحسن الافتتاح، وحسن الابتداء، فكلُّها أسماء لأسلوب بلاغيٍّ واحد. ومثل ذلك أيضًـــا: المطابقة والتضـــاد والطباق، والمجانســـة والتجنيس والجناس...إلخ[3].

(1) **الصناعتين** 395، **وخزانة الأدب** 282/2. ولم أعثر على شعر أبي البيداء في ديوان مطبوع.

(2) **البديع** 60. والبيت في ديوان بشار بن برد 296/3.

(3) ينظر: **قضـايا المصـطلح البلاغي – كثرته وتعدُّده، واشـتراكه وصـياغته:** محمد بن علي الصـامل، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج18، ع30، 1425هـ، ص 455.

فأمَّا الرُّجوع فله – بحسب ما توصَّل إليه البحث – مرادفان: الأوَّل (الإكذاب)، وهو متَّفق عليه، وآخر مختلف فيه هو (الاستدراك).

– **الإكذاب:** جاء في تعليق أبي عبيدة على قول زهير: "قفْ بالدِّيار..."»: «أكذب نفسَه؛ قال: "لم يعفُها"، ثم رجع فقال: "بلى..."»[1]. وكما أنَّ هذا النصَّ يعدُّ أقدم نصٍّ وصل إلينا منسوب إلى عالم بعينه فيه ذكر للرجوع بصيغته الفعليَّة (رجع) ، فهو أقدم نصٍّ فيه ذكرٌ للإكذاب أيضًا، وذلك بصيغته الفعليَّة (أكذب). ويراد منه أنَّ نَفْسَ الشاعر أخبرته بالأمر على غير وجه الصواب، فكذَّبها ورجع وأخبر بالحقيقة.

وقد صار الإكذاب مرادفًا للرُّجوع عند بعض العلماء، ومن الذين استعملوا الإكذاب أبو العلاء المعريُّ (ت449هـ)، وذلك في سياق شرحه بيتَ أبي الطيب المتنبي:

دَمعٌ جَرى فَقَضى في الرَّبعِ ما وَجَبا لِأَهلِهِ وَشَفى، أَنّى وَلا كَرَبا

قال أبو العلاء: «وهذا البيت الذي لأبي الطيب فيه الذي يُسمى الإكذاب؛ لأنَّه ادَّعى أنَّ الدمع قضى ما يجبُ للرَّبع، وشفى نفسَه من الوجد، ثمَّ زعم أنَّه لم يفعل ذلك. ومِنْ الإكذاب قول زهير: قِفْ بالدِّيار...»[2].

– **الاستدراك:** استخدم بعض العلماء مصطلح الاستدراك وهم يريدون الرُّجوع، مِن ذلك ما جاء عند ابن معقل الأزديِّ (ت644هـ) في تعليقه على قول زهير "قِفْ بالدِّيار..."، قال: «ذلك النمط يُسمى الاستدراك»[3]. وقد أنكر ابنُ حجَّة الحمويُّ جواز إطلاق هذه التسمية على الرُّجوع، قال: «وأمَّا مَنْ سمَّى هذا النوع استدراكًا واعتراضًا، فتسميته غير صحيحة»، ثمَّ بيَّن سبب اعتراضه في أنَّ الرجوع يكون «بالعود على الكلام بالنقض لنُكتة»[4].

والذي يريده الحمويُّ أنَّ الرُّجوعَ يكون فيه نقض المعنى لغرض بلاغيٍّ وليس لأنَّه

(1) **شعر زهير بن أبي سُلمى** 101.

(2) **اللامع العزيزي:** أبو العلاء المعري (449هـ)، تحقيق محمد سعيد المولوي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية – الرياض، ط1، 2010م، 128/1.

(3) **كتاب المآخذ على شرَّاح ديوان أبي الطيب المتنبي:** ابن معقل الأزدي المهلبي، تحقيق عبد العزيز المانع، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية – الرياض، ط2، 2003م، 62/3.

(4) **خزانة الأدب وغاية الأرب** 282/2.

قيل عن خطأ حتى تصحَّ تسميته بالاستدراك، ذلك أنَّ الاستدراك يحمل في اللُّغة معنى تصحيح الخطأ، في أن يقول القائل شيئًا ثمَّ يكتشف أنَّه كان على خطأ فيستدرك ويصحِّحه، جاء في المعجم: «واستدركَ عليه قولَه: أصلحَ خطأَه»[1].

5- موقف العلماء من الرُّجوع:

يلحظُ الباحثُ في جهود النقاد والبلاغيين القدامى أنَّهم انقسموا ثلاثة فرق إزاء شواهد الرُّجوع، ويمكن لنا تحرير موقفهم على النحو الآتي:

- فريق قَبِلَ الرُّجوع واستحسنه وعدَّه أسلوبًا فنيًّا يلجأ إليه الشعراء لغرض بلاغيٍّ، ويتألف هذا الفريق من جمهور النقاد والبلاغيين، وقد كان مدار الحديث فيما تقدَّم على بيان جهود هذا الفريق الذي كان ابنُ المعتز وأبو هلال العسكري وابن منقذ في طليعته، ثم جاء البلاغيون في القرون اللاحقة، أمثال القزويني والسُّبكي الذي سعوا إلى تقعيد علوم البلاغة وتوضيحها وشرحها، فزادوا على الأوائل بأن حاولوا تأويل بعض شواهد هذا الأسلوب وبيان أغراضها البلاغيَّة.

- وعلى الضفة الأخرى عاب فريقٌ آخر الرجوعَ، وفسَّر المسألة بأنَّها لا تعدو أن تكون تناقضًا بين المعاني وقع به الشعراء، ويمثِّل وجهة نظر هذا الفريق: قدامة بن جعفر (ت337هـ) والمرزبانيُّ (ت382هـ) والقاضي الجرجانيُّ (ت392هـ)، الذين بدا موقفهم المُنكر للرُّجوع من خلال استشهادهم ببيت زهير: "قِفْ بالدِّيار.."، في سياق حديثهم عن عيب (التناقض)، إذ عابوا عليه معنى البيت؛ لأنَّه «نقض بالمصراع الثاني المصراعَ الأول»[2]، فيما ذهبوا.

كما وقف ابنُ جني هذا الموقف المُنكر للرُّجوع، وذلك عند شرحه بعض أبيات أبي الطيب المتنبِّي التي استعمل فيها هذا الأسلوب، من ذلك قوله في مدح سيف الدولة الحمداني: [الكامل]

الشَّمسُ مِنْ حُسَّادِهِ والنَّصرُ مِنْ قُرَنائِهِ والسَّيفُ مِنْ أسمائِهِ

(1) **تاج العروس** 144/27.

(2) ينظر: **الوساطة** 442، وينظر: **نقد الشعر** 201، و**الموشح** - مآخذ العلماء على الشعراء في عدّة أنواع من صناعة الشعر: أبو عبيدالله المرزباني (384هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، ص52.

أَينَ الثَّلاثَةُ مِن ثَلاثِ خِلالِهِ مِن حُسنِهِ وَإِبائِهِ وَمَضائِهِ؟

فقد ذهب ابن جنِّي إلى أنَّ الشاعر نقض في البيت الثاني معنى بيته الأوَّل، فقال عند الثاني: «رجع في هذا البيت عمَّا أعطاه في البيت الذي قبله»[1]. والحقيقة أنَّ مقصد الشاعر من رجوعه ليس سلب الممدوح ما أعطاه، بل الزيادة والإمعان في المدح؛ فهو بعد أن ذكر أنَّ الشمس تحسد الممدوح، علَّل ذلك بأنَّه نتيجة حُسنه، وبعد أن ذكر أنَّ النصر قرينه، رجع متعجِّبًا، أين النصر من إبائه؟! أي: بل إنَّه أكثر إباءً من النصر، وبعد أن ذكر أنَّ السَّيف من أسمائه رجع أيضًا قائلًا: وأين السَّيف من مَضَائِهِ؟! أي: بل هو أمضى من السيف. فالرجوع في البيت الثاني أفاد المبالغة في المدح والزيادة في العطاء والثناء، وليس هناك تناقض بين المعنيين أو انتقاص وتقليل.

وأمَّا الفريق الثالث، فهو فريق لم يسعفه ذوقُه البلاغيُّ في الكشف عن غرض الشاعر من الرُّجوع، لكنَّه في الوقت نفسه لم يتَّهم الشاعر بالتناقض، بل ذهب يحاول إيجاد تأويل للمعاني حتى تستقيم، ومنه ابن سنان الخفاجيُّ (ت499هـ)، يبرز ذلك عنده في محاولته الدفاع عن بيت زهير: "قِفْ بالدِّيار.."، فقد ذهب إلى أن زهيرًا أراد أن الديار لم يدرُسْها ويمسح أثرها تقادم عهدها، وإنَّما دُرست بفعل الرياح والأمطار، قال: «عابوا هذا البيت على زهير، لكنَّه بمجيء "بلى" فيه لم يكن عندي فاسدًا، وقد يمكن فيه من التأويل وجهٌ آخر وهو أنَّ زهيرًا قال: "لم يعفها القدمُ، وغيَّرتها الريحُ والأمطار"، وليس ذلك بمتناقض لأنَّ "التَّغيُّرَ" دون "أنْ تعفو" و"القدم" غير "الريح والمطر". ومَن قال: "لم يقتل زيدٌ عمرًا، بل ضربَه بكرٌ"، لم يكن متناقضًا، وإنَّما المناقضة أن يقول: "لم يقتل زيدٌ عمرًا، وقتله زيدٌ"، ويكون الأوَّل هو الثاني وهذا واضح»[2]. كما أوَّل الأعلم الشنتمري (ت476هـ) المعنى في أنَّ زهيرًا أراد أنَّ الديار «بعضُها عفا، وبعضُها لم يعفُ»[3].

ثالثًا – النتائج المستفادة:

بعد هذا البحث، يمكن لنا أن نخلص إلى النتائج الآتية:

1- أسلوب الرُّجوع أسلوبٌ بلاغيٌّ قديم؛ ورد في أشعار الشعراء الجاهليين مثل زهير

(1) **الفَسْر** 39/1. والبيتان في ديوان المتنبي 342.

(2) **سِرُّ الفصاحة:** ابن سنان الخفاجي (499هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1982م، ص 241.

(3) **شعر زهير بن أبي سُلمى صنعة الأعلم الشنتمري** 100.

بن أبي سُلمى، كما ورد في أشعار شعراء العصور اللَّاحقة.

2- يرجع إلى أبي عبيدة معمر بن المثنى فضلُ التنبُّه إليه وتسجيله، بوصفه صاحب أقدم نصٍّ وصل إلينا عن العلماء القدامى فيه ذكر للرُّجوع.

3- يعدُّ ابن المعتز أوَّلَ من أصَّل للرُّجوع وصاغ مصطلحه، وقد تبعه في ذلك كثيرٌ من علماء البلاغة والنقد القدماء.

4- الرُّجوع أسلوب بلاغيٌّ يخرج لأغراض مختلفة، منها: إظهار التحسُّر والتحزُّن في سياق البكاء على المنازل، وتأكيد المعنى والمبالغة به في سياق المدح، والاستصغار والاستخفاف في الهجاء... إلخ.

5- يعينُ أسلوبُ الرُّجوع الشاعرَ في إنتاج المعاني والدِّلالات ونقل أحواله النفسيَّة والانفعاليَّة إلى المتلقِّي، ممَّا يجعله يعايش المبدع لحظة إنتاجه الشعري.

6- للرُّجوع مرادفان في استعمالات النقاد والبلاغيين، أحدهما: (الإكذاب) وهو متَّفق عليه وقد استخدمه غير عالم، والآخر هو (الاستدراك)، وهي تسمية وردت على لسان بعض العلماء، وهناك مَن طعن بصحة إطلاقها على هذا الأسلوب.

7- ميز البحث بين ثلاثة اتجاهات للعلماء في التعامل النقديّ مع شواهد الرجوع؛ اتجاه استحسن الرجوع وعده لونًا بلاغيًّا له غرض وغاية، وثان منكرٌ فسَّر الأمر على أنَّه تناقض بين المعاني وقع به بعض الشعراء، واتجاه أخير حاول تأويل أبيات الرُّجوع على وجه تصحُّ من خلاله معانيها وتسلم من التناقض.

ختامًا، وفي ضوء النتائج التي تمَّ التوصُّل إليها، يوصي البحثُ بضرورة الالتفات إلى أسلوب الرجوع والإفادة من معطياته الجماليَّة والمعاني والأغراض البلاغيَّة التي يخرج إليها، وذلك في قراءة النصوص الشعريَّة القديمة والحديثة وتحليلها. كما يوصي البحث بضرورة العودة إلى كتب التراث البلاغيِّ ومعاجم المصطلحات البلاغيَّة الحديثة، وتتبُّع الأساليب والفنون التي أصَّل لها القدماء، وخدمة ما يحتاج منها إلى تعريف ودراسة.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

1. **الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم:** عصام الدين الأسفراييني (ت ٩٤٣هـ)، حقَّقه وعلَّق عليه: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميَّة، بيروت – لبنان.
2. **البديع في نقد الشعر**: أسامة بن منقذ (584هـ)، تحقيق أحمد بدوي، وحامد عبد المجيد، الجمهوريَّة العربيَّة المتحدة – وزارة الثقافة والإرشاد القومي.
3. **البديع:** عبدالله بن المعتز(ت 296هـ)، اعتنى بنشره وتعليق المقدِّمة والفهارس إغناطيوس كراتشقوفسكي، دار المسيرة – بيروت، ط3، 1982م.
4. **البرهان في وجوه البيان:** إسحاق بن وهب الكاتب (ت335هـ)، تحقيق محمد حفني شرف، مكتبة الشباب ومطبعة الرسالة – القاهرة، 1969م.
5. **تاج العروس من جواهر القاموس:** مرتضى الزَّبيدي (ت 1205هـ)، تحقيق مجموعة من المختصين، وزارة الإرشاد – الكويت، 1994م.
6. **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع:** أحمد الهاشمي (ت ١٣٦٢هـ)، ضبط وتدقيق وتوثيق: د. يوسف الصميلي، المكتبة العصريَّة، بيروت.
7. **حاشية الدَّسوقي على مختصر المعاني لسعد الدِّين التَّفتازاني:** محمد بن عرفة الدَّسوقي (ت1230هـ)، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصريَّة – بيروت.
8. **خزانة الأدب وغاية الأرب:** ابن حجَّة الحموي (ت ٨٣٧هـ)، عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال– بيروت، ٢٠٠٤م.
9. **ديوان أبي الطيِّب المتنبِّي** (354هـ): طبعة صحَّحها وقارن نسخها وعلَّق عليها: عبد الوهاب عزام، لجنة التأليف والترجمة والنشر– القاهرة.
10. **ديوان أبي نُوَّاس** (198هـ): شرح غريبه محمود أفندي واصف، المطبعة العموميَّة بمصر، ط1، 1898م.
11. **ديوان بشار بن برد:** شرح وتكميل محمد الطاهر ابن عاشور، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة، 1966م.
12. **سِرُّ الفصاحة:** ابن سنان الخفاجي (499هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1982م.
13. **شرح الواحدي لديوان المتنبِّي:** تحقيق ياسين الأيوبي وقصي الحسين، دار الرائد العربي – بيروت، ط1، 1999م.
14. **شعر زهير بن أبي سُلمى صنعة الأعلم الشنتمري (ت476هـ):** تحقيق فخر الدين قباوة، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط3، 1980م.
15. **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح:** بهاء الدِّين السُّبكي (ت ٧٧٣ هـ)، تحقيق الدكتور عبد

الحميد هنداوي، المكتبة العصريَّة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط1، ٢٠٠٣ م.

16. **قضايا المصطلح البلاغيِّ – كثرته وتعدُّده، واشتراكه وصياغته:** محمد بن علي الصامل، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربيَّة وآدابها، ج18، ع30، 1425هـ.
17. **كتاب الصناعتين الكتابة والشعر:** أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية – بيروت، ١٤١٩هـ.
18. **كتاب المآخذ على شُـرَّاح ديوان أبي الطيِّب المتنبِّي:** ابن معقل الأزديّ المهلبيّ، تحقيق عبد العزيز المانع، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلاميَّة – الرياض، ط2، 2003م.
19. **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم:** التهانوي (ت بعد ١١٥٨هـ)، تحقيق: د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، ط1، ١٩٩٦م.
20. **اللَّامع العزيزي:** أبو العلاء المعري (449هـ)، تحقيق محمد سعيد المولوي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية – الرياض، ط1، 2010م.
21. **المُحكم والمُحيط الأعظم:** ابن سيده الأندلسي (ت 453هـ)، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 2000م.
22. **المصطلح النقدي العربي في التراث الأدبي:** محمد عزَّام، دار الشرق العربي – بيروت، بلا ت.
23. **معاني القرآن:** أبو زكريا الفرَّاء (ت 207هـ)، تحقيق أحمد يوسف النجاتي وآخرين، دار المصريَّة للتأليف والترجمة، ط1.
24. **معجم البلاغة العربيَّة:** بدوي طبانة، دار المنارة ودار الرفاعي – الرياض، 1988م.
25. **معجم المصطلحات البلاغيَّة وتطورها:** أحمد مطلوب، منشورات المجمع العلميِّ العراقي، 1983م.
26. **المعجم المفصَّل في علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني):** إنعام فوَّل العكاوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط2، 1996م.
27. **معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم:** جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب – القاهرة، ط1، ٢٠٠٤ م.
28. **مفاتيح العلوم:** أبو عبد الله الخوارزمي (ت ٣٨٧هـ)، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، ط2.
29. **المُفصَّل في علوم البلاغة العربيَّة:** عيسى العاكوب، منشورات جامعة حلب – سورية، ط2، 1437هـ.
30. **نقد الشعر:** أبو الفرج قُدامة بن جعفر (ت 337هـ)، تحقيق وتعليق محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الكتب العلمية – بيروت.
31. **الوَسَاطة بين المتنبِّي وخصومه:** القاضي الجرجاني (ت392هـ)، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه – مصر، 1966م.

أثر الغزو الإسباني لأمريكا اللاتينية على حضارة المايا خلال القرن السادس عشر الميلادي

طالبة الدراسات العليا: روكن محمود حسي إشراف أ. د: حسام جميل النايف

مُلخص:

يسعى هذا البحث إلى دراسة أثر الغزو الإسباني لأمريكا اللاتينية في القرن السادس عشر الميلادي على حضارة المايا العريقة، والتي تُعد من أبرز الحضارات التي قامت في منطقة أمريكا الوسطى، كما يهدف البحث في بدايته إلى إبراز جوانب القوة والازدهار في حضارة المايا قبل الغزو، مُشيراً إلى إنجازاتها المتميزة في علوم الفلك والرياضيات والكتابة والعمارة، ثم يتوجه البحث نحو تحليل مُعمق للأسباب المُتعددة التي اجتمعت لتُفضي إلى اضمحلال حضارة المايا بعد قدوم الإسبان، ويُركز البحث على شرح كيف أدى الغزو إلى هدم مُدن المايا المُستقلة وضمها قسراً للإمبراطورية الإسبانية، وإحلال النظام السياسي الإسباني الاستعماري محل نظام الحكم المايا وي الأصيل، الأمر الذي نتج عنه فقدان النخب المايا وية لسلطتها ومكانتها، وتهميش السكان الأصليين وإقصائهم عن مراكز القرار والتأثير.

الكلمات المفتاحية: أمريكا اللاتينية، حضارة المايا، الغزو الإسباني، انهيار.

The impact of the Spanish conquest of Latin America on the Mayan civilization during the sixteenth

Graduate Student: Roken Mahmoud Hassi Supervised: Prof. Dr. Hossam Jameel Al-Nayef

Abstract:

This research seeks to examine the impact of the Spanish conquest of Latin America in the sixteenth century on the ancient Mayan civilization, one of the most prominent civilizations to have existed in Central America. The research initially aims to highlight the strength and prosperity of the Mayan civilization before the conquest, highlighting its outstanding achievements in astronomy, mathematics, writing, and architecture. The research then turns to an in-depth analysis of the multiple reasons that combined to lead to the decline of the Mayan civilization after the arrival of the Spanish. The research focuses on explaining how the conquest led to the destruction of independent Mayan cities and their forced annexation to the Spanish Empire, and the replacement of the authentic Mayan system of government with the Spanish colonial political system. This resulted in the loss of power and status for the Mayan elites, and the marginalization of the indigenous population and their exclusion from centers of decision-making and influence.

Keywords: Latin America, Mayan civilization, Spanish conquest, collapse.

مُقدمة:

يمثل الغزو الإسباني للأمريكيتين في القرن السادس عشر الميلادي منعطفاً تاريخياً بالغ الأهمية على المستوى العالمي، حيث أفضى إلى تحولات جذرية في المشهد السياسي والثقافي والاقتصادي للقارة الجديدة، ومن بين الحضارات التي واجهت هذا المد الاستعماري، تظهر حضارة المايا العريقة كأحد أبرز الأمثلة، تلك الحضارة التي كانت قد بلغت أوج مجدها في الحقبة الكلاسيكية ثم انحدرت قبل وصول الإسبان.

ولطالما استحوذت مسألة أفول حضارة المايا على اهتمام الباحثين والعلماء، وتنوعت التفسيرات والنظريات حول الأسباب الكامنة وراء تدهور هذه الحضارة العظيمة في القرون التي سبقت وصول الإسبان، غير أن الغزو الإسباني في القرن السادس عشر الميلادي شكل عاملاً محورياً في مسار تاريخ المنطقة، إذ فرض واقعاً جديداً على ما تبقى من تجمعات المايا.

فقد كانت المايا، التي ازدهرت في رقعة جغرافية تمتد عبر ما يعرف اليوم بجنوب شرق المكسيك وغواتيمالا وبليز وهندوراس والسلفادور، حضارة متفردة، تركت أثراً راسخاً في سجل الإنسانية، بإرث ضارب في القدم يمتد لآلاف السنين، ولقد طورت نظاماً كتابياً متقناً، وبرعت في علوم الفلك والرياضيات بدقة لافتة، وأقامت مدناً فخمة ومعابد شاهقة، وأبدعت فنوناً رائعة تعكس رؤية كونية عميقة.

- **أهمية البحث:**

تنبع أهمية هذا البحث من كونه يسلط الضوء على فهم التحولات التي شهدتها الحضارة المايانية في القرن السادس عشر الميلادي، كما يقدم نموذجاً هاماً لتحليل آليات الاستعمار الأوروبي في العالم الجديد، وتأثيراته على المجتمعات الأصلية، ويسعى

البحث لإبراز قيمة التراث الثقافي والحضاري المتنوع الذي كانت تزخر به الأمريكيتان قبل الاستعمار، وتقدير قيمة حضارة المايا وإنجازاتها.

- **أهداف البحث:**

يهدف هذا البحث إلى استكشاف جوانب متعددة من حضارة المايا في القرن السادس عشر الميلادي، بما في ذلك ديانتها وعلومها وعمارتها ويركز بشكل رئيسي على تحليل العلاقة بين الغزو الإسباني والتغيرات العميقة التي طرأت على هذه الحضارة، ويسعى البحث إلى تقييم تأثير العوامل الداخلية: مثل الصراعات الداخلية بين مدن المايا، والتدهور البيئي الذي ربما واجهته، والتغيرات الاجتماعية التي كانت تشهدها مجتمعات المايا قبل الغزو، وتحليل تأثير العوامل الخارجية التي جلبها الغزو الإسباني: مثل انتشار الأمراض الفتاكة، والحروب المدمرة، والاستغلال الاقتصادي والاجتماعي الذي مارسه المستعمرون الإسبان.

- **مشكلة البحث:**

تكمُن مشكلة البحث في تحليل طبيعة العلاقة السببية بين الغزو الإسباني وتدهور حضارة المايا، وتحديد العوامل الداخلية التي ربما كانت تؤثر في مسار حضارة المايا قبل وصول الإسبان، والعوامل الخارجية التي فرضها الغزو الإسباني، وبالتالي، يهدف البحث إلى الكشف عن مدى تأثير الغزو الإسباني تحديدًا في مصير حضارة المايا، **ويمكن صياغة هذه الإشكالية بشكل أكثر تفصيلاً من خلال طرح الأسئلة التالية:**

1. ما هي الإنجازات الحضارية لشعب المايا؟
2. هل يمثل الغزو الإسباني العامل الرئيسي في تفسير انهيار حضارة المايا، أم أنه مجرد عامل ضمن مجموعة من العوامل الأخرى؟
3. كيف تجلى تأثير الغزو الإسباني على مختلف جوانب حضارة المايا؟

4. مـا هـي أهـم النتـائج السياسـية والاجتماعيـة والاقتصـادية والثقافيـة التـي أحـدثها الغـزو الإسباني في مجتمعات المايا؟

- **منهجية البحث:**

تم الاعتماد على المنهج التاريخي التحليلي كوّنه يقوم على دراسة وتحليل الأحداث والظواهر التاريخية، ويسعى إلى تحليل الأسباب، والنتائج، والتأثيرات التي نتجت عن الأحداث، والمنهج الوصفي لوصف الأحداث التاريخية بشكل دقيق.

- **عرض البحث:**

أولاً: الإرث الحضاري لشعب المايا:

1) النطاق الجغرافي وجذور شعب المايا:

أ- النطاق الجغرافي:

تمتد رقعة حضارة المايا الجغرافية، موطن شعب المايا، على مساحة تُقدر بين 311 ألف و325 ألف كيلومتر مربع، ويستند هذا التقدير إلى انتشار الآثار المایاوية في منطقة أمريكا الوسطى، وهي منطقة متنوعة التضاريس والمناخات، ومن الناحية الجغرافية، تبدأ هذه المنطقة من شبه جزيرة يوكاتان شمالاً، الواقعة في جنوب شرق المكسيك، والتي تمثل الحد الشمالي لأراضي المايا، كما تمتد جنوباً عبر غابات وأراضي غواتيمالا والهندوراس، هاتين الدولتين اللتين تقعان جنوب يوكاتان وتشكلان الحد الجنوبي للنطاق الجغرافي للمايا، كما يشمل نطاق المايا أجزاء من بليز والسلفادور، وتتميز هذه المنطقة بتنوعها البيئي، حيث تضم غابات مطيرة كثيفة، وسهول ساحلية، ومرتفعات

جبلية، مما أثر بشكل كبير على تطور الزراعة والاقتصاد والثقافة المایاوية، كما يمكن تقدير الأبعاد التقريبية لهذا النطاق بحوالي 900 كيلومتر طولاً من الشمال إلى الجنوب، وعرض يصل إلى 550 كيلومتر في أقصى اتساع من الشرق إلى الغرب، ليضيق العرض في المناطق الشمالية إلى حوالي 150 كيلومتر، وتقع هذه المنطقة الحيوية ضمن نطاق خطي العرض 14 و20 درجة شمالاً[1].

ب- جذور شعب المايا:

يتفق العلماء والباحثين على أن الدلائل الأثرية تشير إلى ظهور الإنسان العاقل في الأمريكيتين لأول مرة قبل حوالي 20 ألف عام قبل الميلاد، ويُعزى هذا الظهور إلى موجات هجرة متعاقبة انطلقت من قارة آسيا، عبر ممر بيرينغ[2]، وعلى الرغم من الإجماع العام حول هذا المسار، لا يزال تحديد نقطة الانطلاق الدقيقة لهذه الهجرات ضمن قارة آسيا موضع شك، فبينما يرجح فريق من الباحثين أن منطقة سيبيريا كانت نقطة البداية، ويستندون في ذلك إلى وجود تشابهات ملحوظة في المخلفات الأثرية، إذ يرون أن الخصائص المميزة للأدوات والمخلفات المادية التي تركها السكان الأوائل في الأمريكيتين تعكس أنماطاً ثقافية وتقنية مماثلة لتلك التي عُثر عليها في سيبيريا، في المقابل، يتبنى فريق آخر وجهة نظر مختلفة، مؤكدين على أن منغوليا تمثل نقطة انطلاق أكثر احتمالية، ويستدلون على ذلك بتطابق السمات الفيزيولوجية بين السكان الأصليين للأمريكيتين وبين

(1) GENDROP, P1978- **Les Mayas,** Presse Universitaire De France, Paris, Ed:1, P:21.

(2) **شورز**، وليم: **هذا العالم الجديد حضارة أمريكا اللاتينية**، دار نهضة مصر، القاهرة، 1970، ص49.

سكان منغوليا، بل ويتجاوز بعض الباحثين هذه الفرضيات، مشيرين إلى احتمالية أن تكون مناطق جنوب شرق آسيا قد أدت دوراً في هذه الهجرات المبكرة[3].

وفي سياق آخر، تبرز بعض الدراسات الأنثروبولوجية التي تشير إلى فرضية مثيرة للاهتمام حول أصول شعب المايا الأوائل، إذ تظهر هذه الدراسات وجود تشابهات لافتة في الحجم بين جماجم المايا القديمة وجماجم سكان هضبة إيران، مما أثار تكهنات حول احتمال وجود صلة تاريخية، وإن كانت غير مباشرة، بالحضارة السومرية القديمة[4].

تشير أقدم الشواهد على ظهور شعب المايا ونشأة حضارتهم المدنية إلى حوالي عام 2000 قبل الميلاد، وتحديداً في منطقة غواتيمالا، وتفيد الأدلة بأن أصول المايا تعود إلى غرب ما يعرف حالياً بالولايات المتحدة الأمريكية، حيث شكلت هجرتهم هذه المرحلة الثانية من أصل أربع هجرات رئيسية[5]، وقد نجمت هذه التحركات السكانية بشكل أساسي عن تأثيرات التغيرات المناخية، يضاف إلى ذلك عوامل سياسية ودينية.

عايشت حضارة المايا العديد من التجمعات السكانية الأخرى، سواء كانت دولاً قائمة أو قبائل، وتقاسمت معها سمات مشتركة في مختلف الجوانب السياسية والاقتصادية والدينية. وقد تراوحت

(3) **نجم**، حسن طه: **أمريكا اللاتينية أرضاً وسكاناً**، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، 1990، ط1، ص45-46.

(4) THOMPSON,J -1978, **Grandeur Et Décadence De La Civilisation Maya,** Payot, Paris ,1958, P:50.

(5) GENDROP, **Les Mayas,**P:23.

علاقات المايا مع هذه الشعوب بين السلمية، التي تجلت في التبادل التجاري النشط وعلاقات المصاهرة، وبين فترات من الصراعات المسلحة والحروب، لعل أبرز ما ميز حضارة المايا عن بعض الحضارات الأخرى في المنطقة، مثل **الأولمك**[6] و**الأزتك**[7] (مع الأخذ في الحسبان تباين فترات ازدهارها)، هو توجهها السلمي وطابعها المتحضر[8]، فقد كان المايا شعباً يجنح إلى السلم ويتجنب الحرب قدر الإمكان، وركز اهتمامه بشكل كبير على الزراعة وتطوير تقنيات استغلال الأرض ومواردها الطبيعية. كما أظهروا براعة فائقة في العلوم والفنون.

غير أن هذه الحضارة، التي اتسمت بالسلمية والتحضر، شهدت تحولات كبرى في القرن التاسع الميلادي، تضمنت تأثيراً متزايداً من قبل شعوب **التولتك**[9]، بل وغزواً في بعض المناطق. وقد دفع

---

[6] **الأولمك:** هي أقدم حضارة رئيسية ظهرت في منطقتي غواتيمالا والمكسيك، وقد نشأت هذه الحضارة تدريجيًا في منطقة سوكونوسكو والأراضي المنخفضة التي تُعرف اليوم بغواتيمالا، استقر الأولمك في المناطق الاستوائية المنخفضة جنوب ووسط المكسيك، وتحديدًا في ولايتي فيراكروز وتاباسكو الحاليتين، يُعتقد أن حضارة الأولمك تطورت بالاعتماد جزئيًا على ثقافتي موكايا وميكسي زوكي المجاورتين

CHARLES and GEORGE, L-2010, **Maya Civilization**, Lucent Books, United States of America, P:22.

[7] **الأزتك:** مجموعة من قبائل الهنود الحمر التي عاشت في المكسيك، واسمها مشتق من لفظ أزتلان ومعناه الأرض البيضاء ومهدها في الشمال الغربي من بلاد المكسيك الحالية، **مؤنس**، حسين: **الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها**، عالم المعرفة، الكويت، 1978، ص:209

[8] GENDROP, **Les Mayas,** P:50.

[9] **التولتك:** هم شعوب حكموا المكسيك بين القرنين التاسع والثاني عشر الميلادي واسمهم مأخوذ من عاصمتهم تولا، وهي موجودة 80 كم شمال تينوتشتيتلان، وانتهت حضارتهم عندما غزاهم شعب تشيتشيميك وهم من البدو الرحل، مؤنس، **الحضارة**، ص:210.

هذا الوضع أعداداً كبيرة من المايا إلى التحرك شمالاً نحو منطقة يوكاتان، حيث لحق بهم التولتك لاحقاً، وقد أدت هذه التفاعلات إلى تشكيل المرحلة الثانية في تاريخ حضارة المايا[10].

2) الديانة المایاوية:

تكتنف دراسة الديانة والمعتقدات لدى حضارة المايا خلال العصر الكلاسيكي صعوبات جمة، ويعود ذلك بشكل أساسي إلى الشح في المصادر الأولية المباشرة التي تعكس هذه الجوانب من حياتهم، فالمعلومات المتوفرة تقتصر على مجموعة محدودة للغاية من الكتابات، تشمل بعض كتابات القساوسة الإسبان من القرن السادس عشر الميلادي، أبرزها كتابات دي لاندا، إلى جانب نصوص مايانية أعيد تدوينها بالأبجدية اللاتينية مثل كتابي "بوبول فو" و"شيلام بلام"، يضاف إلى ذلك المخطوطات الثلاثة المتبقية التي نجت من التدمير، ونظراً لعدم كفاية هذه المواد لتوفير فهم شامل ومتكامل، اضطر الباحثون للاعتماد المكثف على المخلفات الأثرية والشواهد المادية، وقد تركز الاهتمام بشكل خاص على دراسة النقوش المنحوتة على المباني، كالمعابد والقصور، والتي غالباً ما تحمل في طياتها مضامين دينية وفلسفية وكونية تعبر عن نظرة المايا للعالم وطبيعة طقوسهم، علاوة على ذلك، سمح النجاح في فك رموز الكتابة المايانية بتوسيع نطاق التحليل ليشمل الرسوم

[10] **لنتون**، رالف: **شجرة الحضارة**، تر: أحمد فخري، تقديم: أحمد الشلق، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، 2010، ج3، ص398.

المصورة على الأواني الخزفية، وتُعد هذه الرسوم مصدراً مهماً للكشف عن جوانب مختلفة من الأساطير والمفاهيم المرتبطة بالديانة المايانية[11].

نظر شعب المايا إلى العالم باعتباره كياناً حياً مترابطاً، مما دفعهم إلى إسقاط الصفات البشرية على قوى الطبيعة المتنوعة، وقد ظلوا متمسكين بمعتقدات تقليدية تفترض وجود أرواح في جميع الكائنات الحية[12]، وفيما يتعلق برؤيتهم للكون، اعتقدوا بوجود تسعة عوالم سفلية، يحكم كل منها إله، أما الأرض، التي تمثل عالم الحياة، فقد كانت تقع في موضع وسط بين السماوات والعوالم السفلية، وغالباً ما صورت في رسوماتهم كسلحفاة تسبح في بحيرة[13] .

تشكلت الطقوس الدينية لدى المايا انطلاقاً من اعتقادهم بقصة الخلق، التي تؤكد أن البشر خُلقوا خصيصاً لخدمة الآلهة وتلبية احتياجاتهم، وانعكست هذه الفكرة بوضوح في ممارساتهم الروحية، ولتعزيز هذا الإيمان داخل المجتمع، كان الملوك والملكات من حكام المايا يعيدون تمثيل قصة الخلق من خلال رموز وطقوس دينية تقام في معظم احتفالاتهم.

وتماشياً مع سمات الثقافات الوثنية الأخرى التي تضمنت تنوع الآلهة، اتسمت آلهة المايا بتعدد هوياتها وتغيرها بناءً على قواها ووظائفها، وكان الإله "كينيتش أجاو" مثالاً لافتًا على هذا التعدد،

---

(11) DEAMREST, A-2004, **Ancient Maya, The Rise and Fall of a Rainforest Civilization**, Cambridge University Press ,Newyork,P17.

(12) **موسينيه**، رولان، **لابروس**، أرنست: **تاريخ الحضارات العام**، منشورات عويدات، بيروت، د.ت، ج4، ص455.

(13) DEAMREST, **Ancient Maya**, P179.

إذ جسد الشمس والملكية والحرب والتضحية، ومع ذلك، فإن تمثيله الفني كان يختلف شكلاً واسماً بحسب المنطقة التي يُعتقد أنه يسيطر عليها[14].

تُعد شخصية "إتزامنا" (Itzamnaa)في حضارة المايا أحد أعظم الرموز الإلهية وأكثرها أهمية، إذ يُجسد مفهوم الخالق الأسمى الذي يُمثل مصدر الوجود لكل العناصر، يُشير الباحثون إلى أن "إتزامنا" هو الإله الجامع الذي تتبع منه جوانب الطبيعة المختلفة، مثل الشمس والمطر وغيرها من الظواهر، ويُستدل من اسمه على معنى لغوي يعبر عن "بيت الثعبان الزاحف" أو "بيت العظاءة"[15]، حيث يعكس الثعبان في ثقافة المايا ارتباطه بالعوالم الثلاثة: السماء، الأرض، والعالم السفلي. في الفنون التصويرية لهذه الحضارة، يظهر "إتزامنا" عادةً كعجوز يحمل ملامح مميزة: عينان مربعتان، أنف روماني، فم يحتوي على ضرس واحد، وصدغ بارز، وقد يُجسد في هيئة امرأة مسنة يتوج رأسها ثعبان[16].

أما الإله "شاك" (Chac)، الذي يمثل المطر والرعد والبرق، فقد حظي بمكانة بارزة في معتقدات المايا كرمز للخصوبة والنماء الزراعي، ويُجسد "شاك" قوة واحدة تنبثق في الاتجاهات الأربع، ويُعتقد أنه يمنح الأرض الحياة والازدهار[17]، حيث يتميز بمظهر فريد يشمل وجهه ملامح مستوحاة من

(14) CHARLES and GEORGE, **Maya Civilization,**P69-71.

(15) DEAMREST, **Ancient Maya**, P180.

(16) CHARLES and GEORGE, **Maya Civilization**, P71.

(17) **موسينيه، لابروس: تاريخ الحضارات العام**، ج4، ص455.

الزواحف، خصوصاً الثعبان، مع أنف طويل يشبه الخرطوم وفم ذو أسنان بارزة، يتزين رأسه بزخارف متنوعة تتراوح بين كتل صغيرة تشبه القطن، ورأس أيل، وصولاً إلى عصا للحفر، تُكمل هذه الهيئة أقراط أسطوانية تتدلى من أذنيه، بينما يحمل بيديه أدوات مثل الرمح، الدرع، المجذاف، العصا، الحبل أو المشعل[18].

يتألف البانثيون المایاوي من آلهة متنوعة، تشمل إله الذرة الذي يرمز إلى الوفرة والازدهار كإله شاب، وآلهة أخرى تُعبر عن جوانب مختلفة من الوجود مثل الموت، الحرب، القمر، الانتحار، والأعداد، إلى جانب مجموعة من الآلهة الثانوية التي ترتبط بعناصر الطبيعة والحياة اليومية مثل المطر، الحقول، والأشجار[19].

3) اللغة ونظام الكتابة:

طوّر شعب المايا نظام كتابة فريد يتميز بتشابهه في مظهره الخارجي مع الكتابة الهيروغليفية المصرية، مما جعل البعض يُطلق عليه اسم "هيروغليفية المايا"، اعتمد هذا النظام على استخدام رموز تمزج بين تمثيل الكلمات والأصوات، ليصبح أداة أساسية لتوثيق مختلف أوجه حياتهم؛ فقد تم توظيفه لتسجيل الحسابات الفلكية، ووضع التقاويم، وتوثيق الأنساب، إلى جانب تدوين ملاحظاتهم اليومية.

---

[18] THOMPSON, **Grandeur Et Décadence**, P250.

[19] **موسينيه، لابروس: تاريخ الحضارات العام**، ج4، ص455.

ما يميّز كتابة المايا هو اعتمادها على صور رمزية قابلة للقراءة والنطق، وهو ما جعلها ذات قيمة كبيرة للتعبير عن أفكارهم، وقد خلف المايا آثاراً رائعة من نقوش محفورة على الأعمدة الحجرية وعتبات المنازل، يضاف إلى ذلك مخطوطات صنعت من لحاء الأشجار[20]، ومن الجدير بالذكر أن أقدم آثار لهذا النوع من الكتابة تعود إلى ما قبل عام 250 ميلادي في منطقة "سان بارتولو" الواقعة شمال غواتيمالا، والتي تعد بداية العصر الكلاسيكي في حضارة المايا.

تم العثور على العديد من النصوص التي خلفتها حضارة المايا في أماكن متعددة، بما في ذلك جدران المعابد والكهوف والأواني الخزفية، وأيضاً على الأحجار الكريمة والأصداف والمقتنيات التي استُخدمت في مقابر النبلاء، وتتميز هذه النصوص بوضوحها وجودتها العالية، وتعد المخطوطات التي تركها المايا أبرز المصادر لفهم ثقافتهم وكشف الأسرار المرتبطة بحضارتهم، حيث تتضمن هذه الوثائق تفاصيل الأحداث التاريخية التي عاشوها، بما في ذلك فترة الاستعمار، يضاف إلى ذلك طقوسهم الدينية واستكشافاتهم الفلكية، وقد تم تنظيم هذه المعلومات في صورة جداول وقوائم زمنية تضم تواريخ وأرقام هامة، إلى جانب نصوص مصحوبة بالصور التي توضح مراحل الحكم وانتقال السلطة بين القادة، والأساطير المتصلة بآلهتهم[21].

[20] **تدمري**، محمد غازي: **حضارات التاريخ الكبرى**، دار الكتاب العربي، دمشق– القاهرة، 2017، ط1، ج2، ص307.

[21] CHARLES and GEORGE, **Maya Civilization**, P29.

كما يقوم نظام الكتابة الخاص بالمايا على الجمع بين العناصر الدلالية والصوتية، مما يعطيه طابعاً مميزاً، وتشمل الرموز المستخدمة نوعين رئيسيين:

– اللوغوغرامات: وهي علامات تحمل معاني دلالية كاملة وتمثل كلمات أو جذور كلمات.

– السيلابوغرامات: علامات صوتية تعبر عن المقاطع الصوتية، وتتكون إما من صوامت وصوائت معاً أو من صوائت فقط.

ارتبط نظام الكتابة لدى حضارة المايا بصفة مشتركة مع العديد من أنظمة الكتابة القديمة، مثل المصرية والصينية والمسمارية، فقد اعتمدت هذه الأنظمة على الجمع بين الرموز الدلالية والعناصر الصوتية لتحقيق التوازن بين الدلالة والمعنى الصوتي، فالاعتماد على اللوغوغرامات فقط كان سيؤدي إلى عدد هائل من الرموز وتعقيد الكتابة، مما قد يسبب صعوبة في الفهم والاستخدام، ولتفادي هذا الاشكال، طورت الحضارات القديمة طريقة تُعرف بالمكملات الصوتية Phonetic (Complements)، وهي علامات مضافة توضح النطق الصحيح للرموز الدلالية، وفي كتابات المايا، قامت السيلابوغرامات بدور أساسي كعنصر صوتي إضافي، مما أسهم في جعل النصوص أكثر وضوحاً ودقة[22].

[22] **د.كو**، مايكل، **ستون**، مارك فان: **قراءة رموز المايا**، تر: عزة عزت وأحمد منصور، مكتبة الإسكندرية، مصر، 2011، ص22.

4) الإبداع العمراني والفني:

تميزت مدن حضارة المايا، التي نشأت عبر مراحل تاريخية متعاقبة، بمستوى استثنائي من الابتكار والتفكير المتقدم، حيث برزت هذه القدرات بشكل جلي في الأهرامات الحجرية الشاهقة التي كانت تستخدم كمقابر لملوكهم، وفي مواقع مثل تيكال، تتجلى براعتهم من خلال تصميم أهرامات مزدوجة، حيث يقف معبدان هرميان متماثلان جنباً إلى جنب، ويُعتبر المعبد الأول والمعبد الثاني من أشهر هذه المنشآت.

أما الأهرامات التي شيّدها المايا في مدن مثل تيكال وبالينكي، يضاف إلى ذلك بيدراس نيجراس وكويريجوا وكوبان، فقد تم بناؤها باستخدام الحجر الجيري المُستخرج من المحاجر، مما يعكس مستوى متقدماً من مهارات العمارة وتقنيات البناء التي امتازت بها هذه الحضارة، وقد وصلت هذه الإنجازات إلى حد يُمكن مقارنتها بما حققته الإمبراطورية الرومانية في بعض النواحي، ورغم استعانة المايا بتقنيات الأقواس في مبانيهم، إلا أن تصاميمهم تميزت عن نظيرتها الرومانية؛ إذ ابتكروا الأقواس المقوسة، التي تعتمد على رصف طبقات متتابعة من الأحجار مع انحراف طفيف لكل طبقة، حتى تلتقي في النقطة العلوية، وقد استُخدمت هذه الأقواس المقوسة في مداخل المباني وكذلك في إنشاء أسقف مرتفعة داخل العديد من غرف أهراماتهم[23].

[23] CHARLES and GEORGE: **Maya Civilization**, P52.

اتسمت المعابد في حضارة المايا بطراز معماري مميز، حيث شُيدت على قمم أهرامات شاهقة مكونة من مصاطب متدرجة، وكان الوصول إلى هذه المعابد يتم عبر سلالم واسعة. غالباً ما كانت الأهرامات تُبنى من خليط قوي من الأحجار والتراب، ثم تُغلف بطبقة من الإسمنت أو الحجر المصقول لتكتسب متانة وأناقة، أما المباني المشابهة للقصور، فقد كانت تتألف في معظمها من مجموعات غرف تتربع فوق مصاطب منخفضة وغير منتظمة، ومن المرجح أنها كانت مخصصة لإقامة الكهنة أو الطبقة النبيلة، واشتهر المايا بإضافة طبقات جديدة على المباني الأصلية، مما أدى إلى ارتفاعها بشكل ملحوظ، ومن أبرز الأمثلة على ذلك معبد تيكال، الذي وصل ارتفاعه إلى 53 متراً شاملاً الهرم والطابق العلوي[24].

أما فيما يتعلق بالفنون، فقد أدى الرسم دوراً مهماً في حضارة المايا، على الرغم من عدم وصوله إلى الشهرة التي حققها فن النحت، وقد تجلى ذلك في الرسوم الملونة التي زينت الجدران والزخارف، فضلاً عن الصور الإبداعية التي تميزت بها المخطوطات، وشهدت تقنيات دمج الألوان وتوزيعها تطوراً ملحوظاً، خاصة خلال فترة ما بعد الكلاسيكية، ولم تقتصر الألوان على كونها عناصر زخرفية فقط، بل حملت دلالات رمزية، حيث ارتبط اللون الأسود بالأسلحة، بينما عبر اللون الأصفر عن النبل، وقد بلغت الفنون ذروة تطورها واهتمامها خلال المرحلة الأخيرة من العصر الكلاسيكي[25].

---

[24] **رادين**، بول: **الحضارات الهندية في أمريكا**، تر: يوسف شلب الشام، دار المنارة، دمشق،1989، ط1، ص39-40.

[25] **رودريجث**، أوخينيو، **ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية**، تر: عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 1998، ص564.

5) الأسس الرياضية لعلم الفلك:

لقد كان تقدم المايا في علم الفلك نتيجة مباشرة لتطويرهم نظاماً رياضياً متقدماً يتسم بالتعقيد والابتكار، فقد اعتمدوا في حساباتهم على نظام عددي يقوم على الأساس العشريني، بدلًا من النظام العشري المعروف، أما المدهش في إنجازاتهم هو تبنيهم لمفهوم الصفر قبل نحو عام 36 قبل الميلاد، مما جعلهم من أوائل الحضارات التي أدركت أهمية هذا المفهوم المجرد والمعقد، ولم يصل مفهوم الصفر إلى أوروبا إلا في العصور الوسطى من خلال انتقاله من الهند عبر الحضارة العربية، وهذا الاكتشاف أسس لأساسيات الرياضيات المتقدمة، بعكس الأرقام الرومانية التي افتقرت إلى الصفر كونه رمز يعبر عن العدم، لقد كان اهتمام المايا بالوقت ورصد حركته يتجاوز أي حضارة أخرى، وهو ما دفعهم لتوظيف علم الفلك والرياضيات في إنشاء تقويم دقيق للغاية، سبق التقويم الغريغوري المستخدم حالياً بأكثر من ألف عام، وتميز بكونه أكثر دقة[26].

أما فيما يتعلق بعلم الفلك، فقد أبدع المايا في مراقبة السماء وتتبع حركة الأجرام السماوية مثل الشمس والقمر والكواكب، ما مكنهم من التنبؤ بالظواهر الفلكية وربطها بمعتقداتهم وطقوسهم، حيث كانوا يعتقدون أن الظواهر الكونية تحمل إشارات وعلامات تستوجب الاهتمام، وعلى وجه الخصوص

[26] CHARLES and GEORGE, **Maya Civilization**, P59.

كان للقمر مكانة خاصة، إذ اعتُبر خسوفه نذيراً سيئًا وفقاً لاعتقادات الكتبة الفلكيين في تلك الحضارة[27].

6) نظام التقويم المايانى:

تميزت تقاويم حضارة المايا بكونها واحدة من أكثر النظم التقويمية تعقيداً وتطوراً في تاريخ أمريكا الوسطى القديم، حيث أن الجذور الأولى لهذه التقاويم ظهرت في منطقة الزابوتيك[28] كأداة للتنبؤ بالطقس ومتابعة المواسم الزراعية، قبل أن تنتقل تدريجياً إلى ثقافة المايا عبر التفاعل مع حضارات أخرى مثل الأولمك، إضافة إلى شعوب أخرى كانت تقطن المناطق الغربية والجنوبية الغربية لأراضي المايا.

اعتمدت هذه التقاويم بشكل رئيسي على المراقبة الدقيقة للظواهر الفلكية، حيث شكلت الاعتدالات الشمسية، التي يتساوى خلالها طول الليل والنهار، والانقلابات الشمسية، التي تحدد أطول وأقصر أيام السنة، دوراً محورياً في تشكيل أساساتها، ومن أجل تحقيق دقة عالية في رصد هذه الظواهر، شيد شعب المايا مباني هندسية متقنة التصميم، تم توجيهها بدقة فائقة لتتيح مراقبة

---

[27] **د.كو، ستون: قراءة رموز المايا**، ص41.

[28] **الزابوتيك:** يشير مصطلح الزابوتيك إلى مجموعة لغوية وعرقية تطلق على نفسها اسم بينيزا، أو "شعب السحاب". يقع الزابوتيك في وسط وجنوب أواكساكا بالمكسيك، ويحتلون أربع مناطق بيئية مميزة – الوادي، والمرتفعات، والبرزخ، ومنطقة مياواتلان – ويتحدثون ما لا يقل عن ست لهجات غير مفهومة بشكل متبادل. Leonard, T,2010, **Encyclopedia of Latin America**, Facts On File, Inc. An Imprint of InfoBase Publishing, New York, Vol:1, P325.

شروق الشمس وغروبها، إضافة إلى متابعة الأجرام السماوية من مواقع محددة داخل تلك المنشآت[29].

عرفت حضارة المايا نظاماً تقويمياً استثنائياً يُدعى "الدورة المقدسة"، وهو يمتد على مدار 260 يوماً ويقوم على تداخل 13 رقماً و20 رمزاً يعبر عن الأيام، كل رمز من هذه الرموز ارتبط بكائن إلهي أو قوة خارقة للطبيعة يُعتقد أنها تؤثر في شخصية الأفراد وأقدارهم بناءً على يوم ولادتهم، ولتوضيح هذه العلاقة، أدرج المايا في مخطوطاتهم القديمة جداول تنبؤية دقيقة استعرضت السمات الإيجابية والسلبية لكل رمز يومي، نتج عن هذا التفاعل بين الأرقام والرموز 260 تركيباً تنبؤياً مختلفاً، مما جعل الدورة المقدسة لا تقتصر على الأفراد فحسب، بل تؤثر أيضاً على المجتمع من خلال تحديد توقيت الاحتفالات والمهرجانات الدينية[30].

إلى جانب "الدورة المقدسة"، عرف المايا تقويماً آخر يُعرف بـ "السنة المشتركة" أو "هاب"، الذي امتد لـ 365 يوماً وشكّل دورة زراعية مكتملة، تكوّن هذا التقويم من 18 شهراً، يضم كل منها 20 يوماً، تلتها فترة إضافية من خمسة أيام عرفت باسم "وايب"، وقد اعتبر المايا هذه الأيام مشؤومة ولم تُدرج ضمن أسماء الشهور، ولكل شهر من الأشهر الثمانية عشر كان هناك راعٍ إلهي أو كيان خارق للطبيعة، ما يعكس البعد الديني العميق الذي شكل جزءاً لا يتجزأ من حياتهم وثقافتهم[31].

---

[29] Leonard, **Encyclopedia**.Vol:1, P201-202.

[30] **د.كو، ستون: قراءة رموز المايا**، ص44-45.

[31] CHARLES and GEORGE, **Maya Civilization**, P60.

ثانياً: حركة الكشوف الجغرافية والتوسع الإسباني خلال القرن السادس عشر الميلادي:

ينطلق تاريخ التوسع الأوروبي من عصر الاستكشافات الكبرى الذي بدأ في القرن الخامس عشر الميلادي واستمر حتى القرن السابع عشر الميلادي، وهو عصرٌ شكل منعطفاً محورياً في مسار التاريخ العالمي، لم تكن تلك الاستكشافات مجرد رحلات بحرية عابرة، بل مثّلت بداية لحقبة جديدة اتسمت بإنشاء إمبراطوريات استعمارية مترامية الأطراف خلال القرون التالية، وتحديداً القرون السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر الميلادي، ومن الجدير بالذكر أن الدافع الديني شكل دوراً أساسياً في اكتشاف العالم الجديد، والذي يضم الأمريكيتين الشمالية والجنوبية، حيث كانت رغبة نشر المسيحية خارج القارة الأوروبية دافعاً رئيسياً وراء تلك الرحلات الجغرافية، إلى جانب هذا الدافع شكّلت الطموحات التجارية عنصراً بالغ الأهمية في دفع حركة الاستكشافات، ففي القرن الخامس عشر الميلادي، كانت أوروبا تسعى للحصول على سلع الشرق الثمينة كالحرير والتوابل، والتي كانت تُنقل عبر مسارات تخضع لهيمنة قوى إسلامية مثل الدولة المملوكية والعثمانية، هذا الوضع دفع التجار الأوروبيين إلى البحث عن طرق جديدة وأكثر مباشرة للتجارة، تتخطى الأراضي الإسلامية، وقد تُوجت هذه المساعي بالكشف عن طريق بحري يصل إلى الهند وآسيا، والذي تجسد في اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح.

لم تكن الدوافع التي وقفت وراء حركة الكشوف الجغرافية محصورة في البعدين الديني والتجاري فحسب، بل تداخلت معها عوامل أخرى جوهرية، مثل غريزة الفضول الفطري لدى الإنسان، والتوق

إلى استكشاف المجهول، والرغبة في توسيع المعرفة بالعالم[32]، وقد أسهمت هذه العوامل في تحفيز البحارة الأوروبيين على خوض مغامرات غير مسبوقة، مما أثمر عن إنجازات عظيمة غيّرت مجرى التاريخ، من أبرز هذه الإنجازات اكتشاف الأمريكيتين، الذي تحقق مع رحلة كريستوفر كولومبوس عام 1492م، والتي أطلقت العنان لاستعمار القارة الأمريكية، كما يُعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح عام 1498م بواسطة فاسكو دي جاما محطة بارزة، حيث أتاح هذا الطريق للأوروبيين الوصول إلى آسيا بحراً، ما أدى إلى فتح مسارات تجارية جديدة مع الشرق، وأسهم في تنامي التجارة الأوروبية وتعزيز هيمنتها.

وفي المراحل الأولى من عصر الكشوف الجغرافية، احتلت إسبانيا موقع القيادة بفضل مجموعة من العوامل المتكاملة، فقد كان توحيد المملكة تحت حكم الملكين الكاثوليكيين، إيزابيلا الأولى ملكة قشتالة وفرديناند الثاني ملك أراغون، نقطة تحول كبيرة دفعت البلاد للسعي وراء توسيع قوتها ونفوذها، وشجعت روح المغامرة والتوسع التي هيمنت على تلك الفترة إسبانيا على ترسيخ دورها الريادي[33]، كما فرض استحواذ العثمانيين على طرق التجارة البرية التقليدية مع الشرق تحديات دفعت الإسبان إلى البحث عن بدائل بحرية، ما أدى إلى انطلاق كولومبوس في استكشاف "العالم الجديد"، وخلال أربع رحلات بين عامي 1492 و1504م، تمكن كولومبوس من بلوغ جزر الكاريبي مثل كوبا

[32] **الشيخ**، رأفت غنيمي: **أمريكا والعالم في التاريخ الحديث والمعاصر**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 2006، ط1، ص11-12.

[33] **عمر**، عبد العزيز عمر: **التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2000، ص75.

وهايتي وجامايكا وترينيداد، إضافة إلى استكشاف سواحل أمريكا الوسطى والشمالية لأمريكا الجنوبية[34].

مع انطلاق رحلته الثانية، لم يعد هدف كولومبوس مقتصراً على الاستكشاف فقط، بل اتخذ مساراً واضحاً نحو استعمار الأراضي المكتشفة ونشر المسيحية الكاثوليكية تحت راية إسبانيا، حيث تمكن كولومبوس من إقناع الملكين الإسبانيين بتمويل رحلته التاريخية، ليصل إلى جزيرة سان سلفادور، التي شكلت نقطة دخول إلى القارتين الأمريكيتين، كانت النتائج الرئيسية لهذه الرحلة تدور حول جانبين، الأول: إقدام القيادة الإسبانية على تثبيت ملكيتها للأراضي المكتشفة بسرعة، مدفوعة بتصاعد المنافسة مع البرتغال في مجال الكشوف الجغرافية، الأمر الذي أدى إلى تسريع جهود الاستكشاف والهيمنة الاستعمارية، أما الثاني: فقد فتحت رحلات كولومبوس المجال لمغامرين آخرين لاستكشاف أراضٍ جديدة، مما أسفر عن اكتشاف مناطق واسعة مثل نهر الأمازون، برزخ بنما، مصب نهر ريو دي لا بلاتا، وسواحل البرازيل والمكسيك والبيرو[35].

قام الإسبان بتأسيس مدن جديدة تحولت إلى مراكز حضارية بارزة، مثل ليما، عاصمة بيرو، وبوينس آيرس، عاصمة الأرجنتين، ولم تقتصر أهداف إسبانيا على تحقيق الثروات الهائلة، وإن كانت هذه الأهداف الاقتصادية تحتل الصدارة، لكنها سعت أيضاً إلى نشر المسيحية بين السكان الأصليين، فقد هدفت في البداية إلى جعل المستعمرات مكتفية ذاتياً، لتتحول لاحقاً إلى مورد ربح

---

[34] **الشيخ، أمريكا والعالم في التاريخ الحديث والمعاصر**، ص14.

[35] **عمر، التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث**، ص76.

للتاج الإسباني، بمرور الوقت، طغى طموح الاستغلال الاقتصادي على باقي الأهداف، وأصبحت معظم أراضي أمريكا الوسطى والجنوبية، باستثناء البرازيل، خاضعة للحكم الإسباني.

هذه الأراضي، التي أُطلق عليها فيما بعد اسم "أمريكا اللاتينية"، باتت خاضعة للنفوذ الإسباني لغوياً وثقافياً، حيث أصبحت اللغة الإسبانية هي اللغة الرسمية في هذه المستعمرات. وظلت هذه الأراضي تحت السيطرة الإسبانية حتى اندلاع حركات الاستقلال التي اجتاحت المنطقة في بداية القرن التاسع عشر الميلادي[36].

ثالثاً: حضارة المايا تحت السيطرة الإسبانية:

1) الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لمدن المايا قبيل الغزو الإسباني:

تُعدّ التغيرات المناخية، وبالأخص موجات الجفاف الطويلة والشديدة، من أبرز العوامل التي ساهمت في تدهور وانهيار حضارة المايا، فقد أدى التدهور البيئي المصاحب لتغير المناخ إلى فترات جفاف كارثية، نتج عنها نقص حاد في الغذاء وانتشار للمجاعات، حيث كانت مدن المايا تعتمد بشكل كبير على الموارد الطبيعية، وخاصة مياه الأمطار، لأغراض الزراعة والشرب، ونظراً لموقعهم في بيئة استوائية، كانت مصادر المياه السطحية مثل الأنهار والبحيرات غير دائمة الجريان

[36] **الشيخ، أمريكا والعالم في التاريخ الحديث والمعاصر**، ص15-16.

أو محدودة، مما جعلهم شديدي التأثر بتقلبات هطول الأمطار، وعندما انخفضت معدلات الأمطار لفترات طويلة، استنزفت هذه الموارد المائية الحيوية وتدهورت الأراضي الزراعية بشكل كبير[37].

من جانب آخر، اتسم شعب المايا بالتنقل النسبي، حيث لم تكن مدنهم ذات طبيعة ثابتة دائمة، بل كانوا يميلون إلى هجر المدن القائمة وتأسيس مستوطنات جديدة في مناطق أخرى[38]، يُعزى هذا النمط جزئياً إلى اعتمادهم على الزراعة بنظام "القطع والحرق"، هذه الطريقة تتطلب إزالة الغابات لإعداد الأراضي للزراعة، لكنها تؤدي إلى فقدان سريع لخصوبة التربة، فلا يمكن عادة زراعة نفس قطعة الأرض بفعالية لأكثر من خمس سنوات تقريباً، حيث تنتشر الأعشاب الضارة وتعيق نمو الذرة الصفراء محصولهم الرئيسي، نتيجة لذلك، كان من الضروري إيجاد حقول زراعية جديدة باستمرار، وعندما تصبح الأراضي المحيطة بالمدينة غير قادرة على توفير المحاصيل، كان سكان المايا يضطرون إلى نقل مدينتهم برمتها إلى موقع جديد، يضاف إلى ذلك، أن المايا كانوا يدفنون موتاهم داخل بيوتهم، وربما دفعهم خوفهم من الأرواح إلى هجر هذه البيوت بعد فترة من الدفن، مما قد يكون عاملاً آخر ساهم في طبيعتهم المتنقلة وهجرهم للمدن[39].

ظهرت بوضوح بوادر الضعف في مدن المايا القديمة، حيث شهدت المدن الرئيسية في الجنوب نزوحاً سكانياً كبيراً باتجاه الشمال، لم يكن هذا التغير في توزيع السكان مجرد حركة طبيعية، بل

---

[37] PETERSON, L and HAUG, G,2005 **Climate and the Collapse of Maya Civilization American Scientist,** vol:93, P322-324.

[38] **رادين، الحضارات الهندية في أمريكا**، ص135.

[39] **موسينيه، لابروس: تاريخ الحضارات العام**، ج4، ص456-457.

عكس تفكك المجتمع في الجنوب وتخلي المدن الكبرى عن دورها، فقد تخلت مدن المايا الجنوبية التي كانت يوماً ما مزدهرة وقوية عن سكانها تدريجياً، مما أفضى إلى تضاؤلها وفقدانها لأهميتها.

كما طرأ تغيير كبير آخر في تاريخ المايا تمثل في انضمام شمال المايا إلى مجتمع التولتك، وبذلك فقد المايا استقلالهم السياسي والثقافي المميز، وانصهروا في مجتمع مختلف، لكن يجدر بالذكر أن بعض مراكز المايا البعيدة، التي كانت تقع على أطراف مناطق النفوذ الرئيسية، استمرت في الازدهار والبقاء حتى مجيء الغزاة الإسبان في القرن السادس عشر الميلادي[40]، وهذا يبرز مدى مرونة وتنوع حضارة المايا حتى في مراحل انحسارها.

لم يقتصر تراجع حضارة المايا على تأثير العوامل الخارجية فحسب، بل ساهمت العوامل الاقتصادية الداخلية دوراً جوهرياً في تقويض بنيتها، فقد أولى قادة ومفكرو المايا اهتماماً بالغاً بتطوير مجالات الفنون والعلوم، وحققوا فيها إنجازات لافتة، بيد أن هذا الانشغال بالجوانب الثقافية كان على حساب عدم العناية الكافية بالنظم الاقتصادية والزراعية، وهما الدعامتان الأساسيتان لاستقرار أي مجتمع وتقدمه، ومع تزايد أعداد السكان بمرور الوقت، تفاقم تأثير إهمال الجوانب الاقتصادية والزراعية، فقد أضحت نظم الزراعة التقليدية عاجزة عن تلبية احتياجات النمو السكاني، وبرزت صعوبات في تنظيم الموارد وتوزيعها بشكل عادل، ونتج عن هذا الخلل في التوازن بين التطور

[40] **الجوهري**، يسرى: **دراسات في جغرافية الانسان**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1979، ط1، ص272.

الثقافي وتأمين الاحتياجات الأساسية فقدان دولة المايا لقدرتها على توفير سبل العيش لشعبها، مما أضعف هيكلها الاجتماعي والاقتصادي من الداخل[41].

إلى جانب التحديات الاقتصادية والاجتماعية، واجه شعب المايا ضربة موجعة أخرى تمثلت في تفشي الأمراض والأوبئة، فقد اجتاحت مناطقهم أمراض فتاكة كالملاريا والجدري، وربما الطاعون، حيث أن معظم هذه الأوبئة الكبرى ارتبط ظهورها بوصول الأوروبيين إلى القارة الأمريكية [42].

وفي النهاية، شكّل وصول الإسبان إلى منطقة يوكاتان الضربة القاضية التي أنهت ما تبقى من معالم هذه الحضارة العريقة، لم يجد الغزاة الإسبان أرضاً مزدهرة ومجتمعاً قوياً، بل وصلوا إلى منطقة كانت تعاني بالفعل من الضعف والتدهور، استغل الإسبان حالة الوهن والانقسام التي سادت مجتمعات المايا حينها، وقاموا باحتلالهم وتدمير ما تبقى من مدنهم ومراكزهم.

لقد كان الغزو الإسباني عاملاً حاسماً في زوال حضارة المايا، لكنه لم يكن السبب الأوحد، فقد تضافرت مجموعة من العوامل على مدى قرون لإضعاف هذه الحضارة وجعلها هدفاً سهلاً للغزاة.

2) توغل الإسبان في مدن المايا:

عقب نجاح إسبانيا في إحكام سيطرتها على المكسيك، تحولت الأنظار نحو التوسع جنوباً، وبدأت عمليات التخطيط الجاد لاستكشاف واجتياح منطقتي غواتيمالا والسلفادور، لم يأتِ وصول

---

[41] **لنتون، شجرة الحضارة،** ج3، ص398.

[42] **موسينيه، لابروس: تاريخ الحضارات العام،** ج4، ص458.

الإسبان على حين غرة بالنسبة للشعوب الأصلية من المايا، ففي عام 1519م، أي قبل سنوات من قدوم الحملات العسكرية الإسبانية الفعلية، كان إمبراطور الأزتك مونتيزوما الثاني قد بعث برسالة إلى شعبي الكيتشي والكاكشيكيل من المايا، محذراً إياهم من اقتراب غزاة قادمين من الشرق، ورغم أن أول بعثة استكشافية إسبانية لم تطأ أرض المنطقة إلا بعد انقضاء حوالي خمس سنوات، إلا أن الأمراض الوبائية المدمرة قد سبقت وصول القوات، حيث تفشت في جنوب غواتيمالا بين عامي 1519 و1520م، ولفهم طبيعة التهديد القادم، أوفد الكيتشي والكاكشيكيل مبعوثين للقاء "هيرنان كورتيس" في المكسيك خلال عامي 1521 و1522م، حيث عرضوا إمكانية إقامة تحالفات معه، والتقى لاحقاً "بيدرو دي ألفارادو"، أحد القادة البارزين تحت إمرة كورتيس، بسفراء من الكاكشيكيل في منطقة سوكونوسكو، مما دفع ألفارادو لاتخاذ قرار غزو غواتيمالا، و بناءً على ذلك، انطلق من المكسيك في أواخر عام 1523م على رأس جيش شمل مئات الجنود الإسبان من المشاة والفرسان، يضاف إلى ذلك أفراد أفارقة (عبيد وأحرار)، وآلاف المحاربين من الناهو وحلفاء آخرين من السكان الأصليين[43].

وعقب إحكام سيطرته على قبائل الكيتشي والكاكشيكيل، نجح ألفارادو في تأسيس مدينة غواتيمالا، وتوسيع نطاق الغزو ليشمل منطقة السلفادور، ليصبح بذلك حاكماً لإقليم غواتيمالا، بالتوازي مع ذلك، تم إخضاع منطقة تشياباس بالقوة عبر حملات عسكرية انطلقت من إسبانيا

[43] Leonard, **Encyclopedia,** vol:1, P90.

الجديدة خلال الفترة من 1523 إلى 1528م، وفي سياق آخر، كلف كورتيس "كريستوبال دي أوليد" بمهمة فتح واستيطان هندوراس، وتجدر الإشارة إلى أن الملك كان قد عين بالفعل حكاماً آخرين لهذه المنطقة، لكن أوليد سعى للاستقلال عن سلطة كورتيس، ورغم أن أوليد حقق في البداية نصراً على "جيل غونزاليس دي أفيلا"، إلا أنه لقي هزيمة لاحقاً وقتل على يد أحد أتباع كورتيس، ثم قاد كورتيس بنفسه حملة برية إلى هندوراس، مروراً بمناطق تاباسكو وبيتين، وتمكن من فرض سيطرته هناك قبل أن يعود إلى المكسيك[44].

استمرت عمليات التوسع العسكري في ربيع عام 1529م، بقيادة خورخي، شقيق ألفارادو، حيث امتدت حملاته جنوباً لتصل إلى سان سلفادور، واستهدفت أيضاً قبائل الكيتشي ومجموعات أخرى من شعوب المايا، وقد نجح خورخي في ترسيخ الوجود الإسباني في سان سلفادور وتشيابا وسان ميغيل، وفي عام 1530م، عاد ألفارادو إلى غواتيمالا، حيث استسلمت قبائل الكاكشيكيل بعد أن أنهكتها وطأة الجزية الثقيلة وأعباء أعمال السخرة المفروضة عليها، وفي عام 1535م غادر ألفارادو غواتيمالا متوجهاً إلى إسبانيا عبر هندوراس، في خطوة يُرجح أنها كانت لتجنب مواجهة "ألونسو دي مالدونادو"، حيث كان مالدونادو قد أرسلته محكمة إسبانيا الجديدة (الأودينسيا) للتحقيق في اتهامات خطيرة تتعلق بوحشية ألفارادو، بعد أن قدر الراهب الدومينيكي "بارتولومي دي لاس كاساس" أن ألفارادو وإخوته كانوا مسؤولين عن وفاة ما يقرب من 4 ملايين من السكان الأصليين في غواتيمالا،

[44] **لانجر**، وليم: **موسوعة تاريخ العالم**، تر: محمد مصطفى زيادة، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، مصر، 1963، ج4، ص1300.

و فور توليه السلطة في عام 1536م، سارع مالدونادو إلى تخفيف الأعباء المفرطة التي كانت مفروضة على السكان الأصليين، واستمر في حكم الإقليم حتى عام 1539م[45].

تمكن الحاكم الملكي فرانسيسكو دي مونتيهو من إتمام عملية إخضاع منطقة هيجويراس بشكل كامل، وخلال هذه الفترة قام بتأسيس مدينة كومایاغوا، وعند عودة ألفارادو استعاد ولاية الحكم، إلا أن وفاته في عام 1541م أدت إلى تفكك الإدارة الحكومية وانتشار الفوضى والاضطراب، وقد شهدت هذه الحقبة أيضاً قمع تمرد خطير نفذته قبائل المايا، أما منطقة تاباسكو، التي كانت قد استوطنت في مرحلة مبكرة، فقد وُضعت تحت إدارة مونتيهو، ونجح هو وابنه في استعادة السلام والنظام فيها خلال الفترة الممتدة من عام 1529 إلى عام 1540م، والجدير بالذكر أن إقليم بيتين ظل خارج نطاق السيطرة الاستعمارية حتى أواخر القرن السابع عشر الميلادي[46].

وبهدف تعزيز سلطة التاج الملكي وتوحيد النظام الإداري في المستعمرات، أصدرت إسبانيا قراراً في عام 1543م بإنشاء "محكمة الحدود"، المعروفة أيضاً باسم "الأودينسيا دي لوس كونفينيس"، مُنحت هذه المحكمة سلطات قضائية وإدارية شاملة تغطي أقاليم هندوراس–هيجويراس، وغواتيمالا، وسان سلفادور، ونيكاراجوا، وكوستاريكا، وتشياباس، وتاباسكو. يضاف إلى ذلك، امتدت صلاحياتها

(45) Leonard, **Encyclopedia**, vol:1, P91.

(46) **لانجر، موسوعة تاريخ العالم**، ج4، ص1301.

القضائية القانونية لتشمل إقليم يوكاتان. وقد باشر أعضاء المحكمة مهامهم رسمياً في عام 1544م، وتم اختيار مدينة جراسياس آ ديوس كمقر رئيسي لها[47].

3) سقوط حضارة المايا:

واجه الغزاة الإسبان مقاومة باسلة من دول المايا المتبقية، بيد أن بسالة المايا لم تكن كافية لتعويض الفجوة الهائلة في القدرات العسكرية وخاصة القوة النارية، الأمر الأكثر فتكاً كان افتقار شعب المايا للمناعة ضد الأمراض التي جلبها الأوروبيون، وخلال العقدين الأولين من التواجد الإسباني، اجتاحت أوبئة مميتة مثل الجدري مناطق المايا، حاصدةً أرواح مئات الآلاف، وبحلول عام 1527م، كانت الممالك الجنوبية قد سقطت تحت السيطرة الإسبانية، وتلتها الممالك الشمالية بحلول عام 1546م، ومع ذلك استمرت بعض شعوب المايا في الغابات الجبلية النائية في الصمود حتى عام 1697م[48]، لم يقتصر هدف الغزاة على السيطرة العسكرية، بل كان مسعاهم الأول محو آثار حضارة المايا ومعارفها، وفور إحكام قبضتهم على البلاد، توجهوا لاستهداف العلماء وحملة التراث الفكري الذين كانوا يحفظون هذا الإرث، وفي عام 1562م، قام أسقف يوكاتان، "دييغو دي لاندا"، بجمع مئات المخطوطات الثمينة التي كانت تحوي كنوزاً من علوم التاريخ والفلك والرياضيات، وأمر بإحراقها علناً في ساحة بلدة "مريدا"، ولم يسلم من هذا الدمار سوى عدد محدود جداً من

(47) Leonard, **Encyclopedia**, vol:1, P92.

(48) CHARLES and GEORGE, **Maya Civilization**, P81.

المجلدات التي شُحنت إلى أوروبا، وتُعد مخطوطة درسدن الأثرية أبرز ما تبقى من الشواهد على ثراء إرث المايا المكتوب[49].

على الرغم من سلسلة الكوارث هذه، لم يستسلم شعب المايا. لقد قاوموا النفوذ الإسباني حتى سقوط آخر معاقلهم، تياسال في غواتيمالا، عام 1697م. كما واجهوا بشراسة محاولات فرض المسيحية عليهم، لكن محنة المايا لم تنتهِ بانتهاء الغزو؛ فقد عانوا لقرون تالية من التمييز العنصري، بدايةً من المستعمرين الإسبان، ثم من سلالتهم، اللادينوس، الذين واصلوا الاستيلاء على أراضيهم وتهميشهم[50]، يضاف إلى ذلك الاحتلال، ارتكب الغزاة مجازر بشعة بحق السكان الأصليين، مستخدمين أبشع أساليب التعذيب والإهانة لإخضاعهم، وتروي سجلات المايا عن تلك الفترة الحالكة قائلة: "شرعوا في شنق رجالنا وحرق أيدينا بالنار، واختطفوا أبناء زعمائنا الأثرياء كرهائن"، وبعد القضاء على قياداتهم، وقتل الكهنة، ومنع معتقداتهم، وحرق كنوزهم المعرفية من الكتب، انطفأت شعلة حضارة المايا، وفي غضون سنوات قليلة فقط، نجح الأوروبيون بوحشية لا نظير لها في تدمير ما عجزت عنه قرون من الحروب والأوبئة والمجاعات[51].

---

[49] **لنتون، شجرة الحضارة**، ج3، ص397.

[50] CHARLES and GEORGE, **Maya Civilization**, P82.

[51] **خوري**، موسى: **المايا اكتشاف حضارة عريقة**، وزارة الثقافة، سورية، د.ت، ص49.

الخاتمة:

ختاماً، يتضح بجلاء أن الغزو الإسباني لم يكن مجرد عامل إضافي في مسار حضارة المايا، بل كان بمثابة الضربة القاسمة والتحول الجذري الذي حدد مصيرها بشكل لا رجعة فيه، ففي حين أن بعض التحديات الداخلية ربما كانت قائمة وساهمت في إضعاف جوانب معينة قبل قدوم الأوروبيين، إلا أن وصول الغزاة أطلق سلسلة من الكوارث المدمرة التي تجاوزت بكثير مجرد الصراع العسكري غير المتكافئ، لقد كانت موجة عاتية من التغييرات الشاملة التي اجتاحت كافة جوانب الحياة المايانية بعنف وقسوة.

لم يقتصر الأمر على التفوق في السلاح، بل تضافرت عوامل فتاكة أخرى: الأمراض الوبائية التي وفدت مع الأوروبيين وحصدت أرواح الملايين ممن لا يملكون مناعة ضدها، وحروب الإبادة المستمرة التي استهدفت القضاء على المقاومة، والاستغلال الاقتصادي الوحشي الذي نهب الثروات وحطم البنى الاجتماعية والاقتصادية القائمة، والأهم من ذلك كله، حملة القضاء الممنهج والهمجي على المعتقدات، والممارسات الثقافية، والمعارف المتراكمة عبر قرون بما في ذلك حرق النصوص الثمينة التي كانت تحوي خلاصة علومهم وتاريخهم، وتدمير المراكز الروحية، واستهداف حملة هذا الإرث من الكهنة والعلماء، كل هذه العوامل تضافرت لتفكك البنية الاجتماعية، والروحية، والفكرية لهذه الحضارة العريقة بشكل يصعب ترميمه على المدى القصير.

لقد كانت آثار هذا الغزو عميقة وطويلة الأمد، فبشكل مباشر، تم تدمير المدن والمراكز الدينية والثقافية، ونهب الثروات بلا هوادة، وتشتيت السكان الأصليين وإخضاعهم لنظام استعماري قمعي استمر لقرون متصلة، ومُحيت جوانب لا تُحصى من المعرفة والتقاليد المايانية الأصيلة، وحلت محلها ثقافة، ولغة، ودين المستعمر بالقوة والقسر، في محاولة لطمس الهوية الأصلية تماماً.

إن استعراض هذه الفترة الحالكة لا يمثل مجرد سرد تاريخي، بل يبرز بوضوح أهمية فهم التاريخ من منظور متعدد الأوجه وشامل، مع الاعتراف العميق بالتأثير المدمر للقوى الخارجية، خاصة عندما تكون مدفوعة بالجشع والتعصب، على المجتمعات الأصلية.

قائمة المصادر والمراجع:

المراجع العربية والمترجمة:

1) **تـــدمري**، محمـد غـازي: **حضـــارات التـــاريخ الكبـــرى**، دار الكتـاب العربـــي، دمشـق– القاهرة، 2017، ط1، ج2.

2) **الجـــوهري**، يسـرى: **دراســات فـــي جغرافيـــة الانســـان**، الهيئـة المصـرية العامـة للكتـاب، مصر، 1979، ط1.

3) **خوري**، موسى: **المايا اكتشاف حضارة عريقة**، وزارة الثقافة، سورية، د.ت.

4) **د.كـــو**، مايكـل، **ســـتون**، مـارك فـان: **قـــراءة رمـــوز المايـــا**، تـر: عـزة عـزت وأحمـد منصور، مكتبة الإسكندرية، مصر، 2011.

5) **راديـــن**، بـول: **الحضـــارات الهنديـــة فـــي أمريكـــا**، تـر: يوسـف شـلب الشـام، دار المنـارة، دمشق،1989، ط1.

6) **رودريجـــث**، أوخينيـو، **ثقافـــة وحضـــارة أمريكـــا اللاتينيـــة**، تـر: عبـد الحميـد غـلاب وأحمـد حشاد، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 1998.

7) **شـــورز**، ولـيم: **هـــذا العـــالم الجديـــد حضـــارة أمريكـــا اللاتينيـــة**، دار نهضـة مصـر، القـاهرة، 1970.

8) **الشـــيخ**، رأفـت غنيمـي: **أمريكـــا والعـــالم فـــي التـــاريخ الحـــديث والمعاصـــر**، عـين للدراسـات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 2006، ط1.

9) **عمـــر**، عبـد العزيـز عمـر: **التـــاريخ الأوروبـــي والأمريكـــي الحـــديث**، دار المعرفـة الجامعية، مصر، 2000.

10)**لانجـر**، ولـيم: **موسـوعة تـاريخ العـالم**، تـر: محمـد مصـطفى زيـادة، مؤسسـة فـرانكلين للطباعة والنشر، مصر، 1963، ج4.

11) **لنتـون**، رالـف: **شـجرة الحضـارة**، تـر: أحمـد فخـري، تقـديم: أحمـد الشـلق، الهيئـة العامـة المصرية للكتاب، القاهرة، 2010، ج3.

12) **موســينيه**، رولان، **لابــروس**، أرنســت: **تــاريخ الحضــارات العــام**، منشـورات عويـدات، بيروت، د.ت، ج4.

13) **مـؤنس**، حسين: **الحضـارة دراسـة فـي أصـول وعوامـل قيامهـا وتطورهـا**، عـالم المعرفـة، الكويت، 1978.

14) **نجـــم**، حســن طــه: **أمريكـــا اللاتينيـــة أرضـــاً وســـكاناً**، مطبوعـات جامعـة الكويـت، الكويت، 1990، ط1.

المراجع الأجنبية:

1) CHARLES and GEORGE, L-2010, **Maya Civilization**, Lucent Books, United States of America.
2) DEAMREST, A-2004, **Ancient Maya, The Rise and Fall of a Rainforest Civilization**, Cambridge University Press, Newyork.

3) GENDROP, P1978- **Les Mayas,** Presse Universitaire De France, Paris, Ed:1.

4) **Leonard**, T,2010, **Encyclopedia of Latin America**, Facts On File, Inc. An Imprint of InfoBase Publishing, New York, Vol:1.

5) PETERSON, L and HAUG, G,2005 **Climate and the Collapse of Maya Civilization American Scientist,** vol:93.

6) **THOMPSON**, J -1978, **Grandeur Et Décadence De La Civilisation Maya,** Payot, Paris ,1958.

ألمانيا الغربية وفلسطين 1949-1967
(الاعتبارات الأخلاقية، السياسية والداخلية لدعم ألمانيا الغربية للكيان الصهيوني صور وأشكال هذا الدعم)

طالبة الدكتوراه: صبا حكمت شعبان
قسم التاريخ – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة اللاذقية
إشراف الدكتور: أ.د أيمن صلاط + د. وسام عياش

ملخّص

انتهت الحرب العالمية الثانية بانتصار دول الحلفاء، وكان لذلك تداعيات كبيرة على الصعيدين العربي والعالمي، أما فيما يخص ألمانيا فقد تم تقسيمها إلى قسمين، ألمانيا الغربية وألمانيا الشرقية، انخرطت ألمانيا الغربية منذ تأسيسها في العام 1949 بشكل مباشر بالصراع العربي-الفلسطيني،

إذ سعت لإعادة بناء العلاقات مع الكيان الصهيوني معتبرة نفسها مسؤولة أخلاقياً عن ما حصل لليهود من اضطهاد في العهد النازي، فبدأت بتقديم تعويضات كمحاولة منها لتبرئة ألمانيا والشعب الألماني من ما حصل لليهود من خلال توقيع اتفاقية لوكسمبورغ، يُضاف إلى ذلكدعم الكيان الصهيوني تباعاً سياسياً وعسكرياً متجاهلة بشكل كامل حقوق الشعب الفلسطيني.

استطاع الكيان الصهيوني استغلال واستثمار موضوع الهولوكوست لجعل ألمانيا الغربية تقوم بدعمه مالياً وعسكرياً وسياسياً، إذ تم توقيع صفقة سلاح سرية أيضاً بين الطرفين، وعليه ساهمت ألمانيا الغربية بشكل كبير في تثبيت وتقوية هذا الكيان من خلال إعطائه المال والسلاح ومن ثم الاعتراف الدبلوماسي به عام 1965.

الكلمات المفتاحية: ألمانيا الغربية، الكيان الصهيوني، فلسطين، علاقات، صفقات سرية

West Germany and Palestine 1949-1967(Ethical ,political and internal considerations to support west Germany for the Zionist entity images and forms of this support)

Abstract

The Second world war ended with the victory of alliesand had significant implications at the arab and internationallevels.for Germany twi west Germany and east Germany,western Germany has beenestablished in 1949 directly in the Zionist arab conflict,if you sought to rebuild relations with the Zionist entity, moralism is morally responsible for what happened to the jews of persecution in the nazi covenant.it bestring compensation as an attempt to prevent Germany and the german people from the jewsby signing the Luxembourg convention,as well as supporting the Zionist entity, politically ignoring and intelligentin the rights of the Palestinian people, the Zionist entity was able to exploit and invest a holocaust theme to make west Germany is supporting financially,military and political if a secret weapon is also signed between the two sides.the western Germany has contributed significantly to the establishment and strengthening of this entity by giving money and weapons and then recognition of diplomatic in 1965.

Key worlds; western Germany, the Zionist entity, Palestine, relations, secret deals.

المقدمة:

تُعد القضية الفلسطينية إحدى أهم القضايا التي مثّلت ذروة الصراع العربي– الصهيوني وذلك لعدة أسباب تحكمت بها وبتطورها في مختلف المراحل كالدول الكبرى، الحركة الوطنية الفلسطينية، إذ تبادلت الدول الغربية الأدوار بدعم المشروع الصهيوني ابتداء ببريطانيا التي أصدرت وعد بلفور ووضعت حجر الأساس لتنفيذ المخططات الصهيونية من ثم ألمانيا التي خرجت مدمرة بعد الحرب العالمية الثانية.

شكلت ألمانيا لاعباً أساسياً في مسار الصراع العربي–الصهيوني، ، ولاسيما بعد الحرب العالمية الثانية إذ شكلت ألمانيا بقسميها ازدواجية في المواقف وأصبحت علاقات ألمانيا الغربية تُدار من قبل الحلف الغربي والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا وتمثّل موقفها بالدعم والتأييد للكيان الصهيوني والوقوف ضد مصالح الشعب الفلسطيني ونضاله، وقد كان لموقفها هذا أسباب واعتبارات عدة من ضمنها الجانب الأخلاقي بحيث عدت نفسها أنها مسؤولة عن الهولوكوست وأنها وريثة النازية، وواجب عليها تعويض الكيان الصهيوني عن ما حصل لليهود سواء بالمال أو بالسلاح، و عدتأيضاً أن الكيان الصهيوني كيان صغير ومهدد من جميع الدول التي تحيط به وبالتالي لابد من مساعدته وتقويته ليستطيع الدفاع عن نفسه.

أهمية البحث:

يُعد هذا البحث من الأبحاث المهمة و ضمن سلسة الأبحاث المنجزة بما يخص السياسات الغربية تجاه فلسطين وقضيتها ونستطيع القول أن هذا البحث سوف يصبح مرجعاً مبسطاً لمن يرغب بالتعرف دور ألمانيا الغربية في قضية الصراع العربي–الصهيوني، إذ أنه في ضوء الصراعات التي يشهدها العالم في الوقت الحاضر وقضية فلسطين التي ما تزال الشغل الشاغل للعديد من البلاد العربية والغربية، كان هذا البحث مكملاً لسلسة الأبحاث التي ترجمت نضال الشعب الفلسطيني ضد الكيان الصهيوني والدور الأوروبي والألماني تحديداً في عرقلة أو تأييد هذا النضال.

يعود سبب اختيار هذا الموضوع لسببين احداهما علمي: نظراً لأهمية هذا الموضوع في إبراز وتوضيح سياسة ألمانيا الغربية من القضية الفلسطينية، وكيفية تجاهلها لحقوق الشعب الفلسطيني وتركيز جهودها فقط لدعم الكيان الصهيوني بمختلف المجالات.

والثاني **شخصي:**

رغبتي في معرفة كيفية استغلال الصهيونية فيما بعد هتلر والنازية للمحرقة وللاضطهاد الذي عانى منه اليهود في أوروبا لتثبيت شرعية قيام كيانهم على أرض فلسطين، ومن ثمّ اسقاط ذلك على سياسة ألمانيا الغربية ودفعها باتجاه تقديم تعويضات وصفقات سلاح سرية لها.

أهداف البحث:

ويمكن تلخيص أهداف البحث بما يلي:

1- إماطة اللثام عن موقف ألمانيا الغربية تجاه النضال الفلسطيني والحركة الصهيونية.

2- معرفة الاعتبارات الاستراتيجية والأيديولوجية والدولية التي كانت السبب في صياغة موقف ألمانيا الغربية تجاه طرفي الصراع الفلسطيني-الصهيوني.

إشكالية البحث:

شهدت العلاقات الألمانية-الصهيونية-الفلسطينية تقلبات عدة، كانت للمصالح والاعتبارات والضغوط الدولية أثر كبير في عدم سيرها بطريقة واحدة ما يطرح تساؤلات عدة تدفعنا للإجابة عنها في بحثنا هذا:

1- ما هي أهم العوامل والاعتبارات الأخلاقية_ التاريخية_ الجيوسياسية _الداخلية التي حددت سياسة ألمانيا الغربية من القضية الفلسطينية ابتداءً من عام 1949 وحتى 1967؟

2- ما هو أثر الانقسام الألماني بعام ال1949 على القضية الفلسطينية؟

ومنه ما هو أثر التعاون الألماني الغربي مع الكيان الصهيوني في نجاح تهجير اليهود الألمان لفلسطين، تثبيت وتقوية الكيان الصهيوني، مساعدته في تنفيذ مشاريعه بالمال والسلاح؟

منهجية البحث: اعتُمد في هذا البحث على منهج البحث التاريخي القائم على دراسة المراجع والمصادر وجمع المعلومات من ثم تنسيقها واستخدامها في هذه الدراسة.

الدراسات السابقة:

1- كتاب السياسة الألمانية تجاه القضية الفلسطينية وتطورها 1949-2008: عبير الشيخ حيدر إذ يُعد هذا الكتاب من أهم الكتب المستخدمة في هذ البحث بكونه يجمع بفصوله الأربعة تفاصيلَ مهمة عن ألمانيا وعلاقتها بفلسطين، كدور الإرساليات التبشيرية الألمانية

في فلسطين، وصولاً لعلاقة كل من ألمانيا الغربية والشرقية بالكيان الصهيوني وصولاً للوحدة الألمانية وثبات الموقف الألماني واتضاحه بشكل أكبر فيما يخص النضال الفلسطيني والحركة الصهيونية.

2- مقال في مجلة الدراسات والعلوم الإنسانية والإجتماعية **بعنوان العلاقات السياسية بين جمهورية ألمانيا الإتحادية وإسرائيل 1965 حتى 1969** لعبد المجيد الشناق ،يُعد هذا البحث أيضاًمن الأبحاث المهمة بعدّه يتحدث عن العلاقات الألمانية الاتحادية الصهيونية وتطور هذه العلاقة وتبادل التمثيل الدبلوماسي بينهم وعليه يمكن التركيز على فترة 1965-1967 التي تشمل معلومات ع موقف ألمانيا الغربية التي تأسست 1949 من الكيان الصهيوني بعد قيامه على أرض فلسطين 1948.

3- مقال في مجلة مداد الأدب للدكتورة سمر أحمد ناجي والدكتور عبد الرزاق خليفة رمضا. حول دور الدعم المالي والعسكري الألماني الغربي في تطور المشروع الصهيوني في فلسطين 1952-1989 أيضاً يمثل هذا المقال أحد أهم الأبحاث المنشورة في المجلات إذ يتحدث بمجملة عن ألمانيا الغربية وعلاقتها **بالكيان الصهيوني**.

4- مقال في مجلة بحوث كلية الآداب ل د إنجي محمد أحمد خلف جنيدي بعنوان **الضغوطات الأمريكية على ألمانيا الغربية من أجل إسرائيل صفقة الدبابات الألمانية لإسرائيل 1964،** تتحدث الدكتورة في هذا المقال عن المصالح المشتركة ل أمريكا وألمانيا الغربية فيما يخص دعم الصهاينة بالمال والسلاح ، وأسباب طلب أمريكا من ألمانيا الغربية عقد صفقة الدبابات بشكل مباشر مع الصهاينة، بالإضافة لنتائج هذه الصفقة على كل من الصهاينة وأمريكا و مصر وألمانيا.

5- كتاب مُترجم للكاتب رولفشتاينغر ترجمة د. لورنس الحناوي ومراجعة د. رضوان السيدبعنوان **ألمانيا والشرق الأوسط منذ زيارة القيصر فيلهلم الثاني إلى المشرق في العام 1898 حتى الوقت:** يتشابه هذا الكتاب بمضمونه مع الكتاب السابق إلا أن أكثر شموليةً ويغطي فترة زمنية كبير جداً، يتناول في فصوله السبعة معلومات تُفيد البحث الذي نحن بصدد الكتابة عنه إذ يتحدث عن ألمانيا وعلاقتها بالمشرق العربي قبل الحرب العالمية الأولى وصولاً لجمهورية الفايماروالرايخ الثالث من ثم خلال الحرب العالمية الثانية

وبداية العلاقات الديبلوماسية بين الكيان الصهيوني وألمانيا الغربية في العام 1965 وصولاً لحرب الأيام الستة.

الإطار النظري:

أ. موقف ألمانيا الغربية من حقوق الفلسطينين:

لم يكن لألمانيا الغربية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية إلا هدف أساسي هو محاولة تصفية النتائج الكارثية التي خلفتها النازية لألمانيا، وإعادة بناء هذه الدولة من جديد وإعادتها لصف الأمم الحرة، والاندماج مع الغرب وإعادة التوحيد[1].

تزامن حدوث نكبة فلسطين مع إنشاء جمهورية ألمانيا الاتحادية ، وكما ذُكر سالفاً فإن ألمانيا الغربية أصبحت تُدار من قبل الدول الغربية أمريكا، بريطانيا[2]، فرنسا ومن الطبيعي أن تكون سياستها تابعة وخاضعة لهم [3]، ولذلك فقد تجاهلت ألمانيا الغربية ممثلة برئيس حكومتها كونرادآديناور[4] حقوق الفلسطينيين وكانت أول حكومة ألمانية بعد الحرب سعت للانضمام لحلف شمال الأطلسي والجماعة الأوروبية ومؤتمر التعاون والامن في أوروبا

[1] –خضر. بشارة_أوروبا وفلسطين من الحروب الصليبية حتى اليوم، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2003، ص 427.

[2] – طه. جاد د. ت. ن_ألمانيا إلى أين المصير، دار المعارف، د. م. ن، ، ص115.

[3] – شتانغر. رولف _ألمانيا والشرق الأوسط منذ زيارة القيصر فيلهلم الثاني إلى المشرق في العام 1898 وحتى الوقت الحاضر. تر لورنس الحناوي، مراجعة السيد رضوان ، عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2018، ص82.

[4] – ولد عام 1876 سياسي ورجل دولة ألماني، تعلم في ميونيخ وبون، انضم إلى الحزب الكاثوليكي الذي أوقف النازيون عضويته فيه وقاموا بسجنه لمدة عشر سنوات ، من عام 1934، ثم بعد خروجه أسس الحزب المسيحي الديمقراطي، أصبح عضو المجلس الاستشاري بعد هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى ، ترأس المجلس الاستشاري في بون 1948–1949، وهو أول مستشار لألمانيا 1949–1963، توفي عام 1967 في الولايات المتحدة الامريكية. الكيالي. عبد الوهاب _الموسوعة السياسية. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط،ج7، بيروت–لبنان، 1979،ص 118–119.

[1]، وسعت لإبرام معاهدات واتفاقيات تخدم الكيان الصهيوني وتتجاهل الشعب الفلسطيني كلياً[2].

استغل الصهاينة الاضطهاد الذي لحق بهم في ألمانيا، وعملوا على توظيف سياسة النازية القاسية تجاه اليهود أثناء الحرب العالمية الثانية لتحقيق أهدافهم وتقوية موقفهم[3]، وقاموا بإرسال رسائل يطالبون بها ألمانيا بقسميها الغربي والشرقي بدفع تعويضات، جراء الاضطهاد والخسائر التي لحقت باليهود على يد هتلر، وطالب الكيان الصهيوني بمليار دولار أي ما يعادل 4,2 مليار مارك ألماني[4].

وجرت المباحثات بين المستشار الألماني وبن غوريون[5]، وقد ذكر أديناور بتاريخ السابع والعشرين من الشهر التاسع لعام 1951 "أنه جرى القيام بأعمال شنيعة باسم الشعب الألماني، وهذه الأعمال تجبرنا على التعويض الأخلاقي والمادي عن الأضرار الفردية التي عاناها اليهود وكذلك عن الممتلكات اليهودية على حد سواء" .

[1] – حيدر. عبير الشيخ _ السياسة الألمانية تجاه القضية الفلسطينية وتطورها 1949–2008. الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق،2012، ص 60.

[2] – شتانغر: ألمانيا والشرق الأوسط منذ زيارة القيصر فيلهلم الثاني إلى المشرق في العام 1898 وحتى الوقت الحاضر. ص 82.

[3]– ناجي. سحر أحمد و رمضان. عبد الرزاق خليفة – دور الدعم المالي والعسكري الألماني الغربي في تطور المشروع الصهيوني في فلسطين 1952–1989، مجلة مداد الآداب، الجامعة العراقية–كلية الآداب، عدد خاص بالمؤتمرات ،2018–2019، ص 1192.

[4] –شتانغر: ألمانيا والشرق الأوسط منذ زيارة القيصر فيلهلم الثاني إلى المشرق في العام 1898 وحتى الوقت الحاضر. ص 82.

[5] – ناجي: دور الدعم المالي والعسكري الألماني في تطور المشروع الصهيوني في فلسطين 1952–1989، ص 1192.

والتقى الأخير في السادس من الشهر العاشر لعام 1951 في لندن مع ناحومغولدمان[1] الذي كان رئيس المنظمة المسؤولة عن مطالبات اليهود بالتعويضات المالية في ألمانيا، وأخذت مسألة التعويضات أساساً للمفاوضات بين الطرفين الألماني والصهيوني.

كذلك الأمر فإن شرائح أخرى وفعاليات في ألمانيا بادرت بالقيام ببعض الأمور كتعويض بسيط عن ما حدث لهؤلاء اليهود كالنوادي الطلابية التي قامت بتاريخ السادس عشر من الشهر العاشر لعام 1951 بالاتفاق مع اللجنة الطلابية لبدء مرحلة أسموها (السلام مع إسرائيل) والقيام بجمع تبرعات وإرسالها للمجلس المركزي لليهود في ألمانيا الذي بدوره يقوم بإرسال هذه الأموال للطلبة في الكيان الصهيوني، كذلك الأمر حدثت مبادرات أخرى على شكل غراس زيتون يتم ارسالها لزراعتها أيضاً في الأراضي التي يسيطر عليها الكيان الصهيوني[2].

تم التوصل لتوقيع اتفاقية ثنائية في قاعة بمدينة لوكسمبورغ في 10 أيلول عام 1952 [3]تعهدت فيها ألمانيا الغربية بدفع 3700 مليون دولار خلال عشر سنوات[4]، وهناك مراجع أخرى تتحدث عن دفع 3 مليارات مارك ألماني و 450 مليون مارك الماني للمنظمات اليهودية وقد عُدت صفقة التعويضات هذه بمثابة حقنة تقوية للكيان الصهيوني فقد أدت

---

[1] – زعيم صهيوني وُلد عام 1894 في ليتوانيا ونشأ وتعلم في ألمانيا حيث حصل على الدكتوراه في القانون. انخرط في سلك النشاط الصهيوني في سن الخامسة عشرة وقد حاول أثناء الحرب العالمية الأولى أن يثير اهتمام الحكومة الألمانية بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين برعاية ألمانية ، حضر جميع المؤتمرات الصهيونية منذ عام 1921 وساهم في تأسيس المؤتمر اليهودي العالمي 1936 وتولى رئاسة المؤتمر اليهودي العالمي في الفترة 1953–1977، كما تولى رئاسة المنظمة الصهيونية العالمية منذ عام 1956 حتى عام 1968، توفي عام 1982. GOLDMANN.N_ the jewish paradox, grosset and dunlapweidenfled and Nicolson, London,1978, p11.

[2] – شتاينغر: ألمانيا والشرق الأوسط منذ زيارة القيصر فيلهلم الثاني إلى المشرق في العام 1898 وحتى الوقت الحاضر. ص 83 –84.

[3] Marwecki. D 2018 Germany and Israel: An unlikely Alliance? West German foreign policy towards Israel, the arab-israeli conflict and the Palestine question. thesis submitted for the degree of phd , , university of London,Soas ,p33.

[4] – ناجي: دور الدعم المالي والعسكري الألماني في تطور المشروع الصهيوني في فلسطين 1952–1989، ص 1192.

لإرسال خدمات وسلع يُضاف إلى ذلك تخصيص ثلث المبلغ لشركات النفط البريطانية لتزويد الكيان الصهيوني بالنفط ، كذلك الأمر فقد كان لهذه التعويضات دور في تطوير البنية التحتية في الكيان الصهيوني فتم بناء خط شبكة حديد في بئر السبع مع استبدال نصف خط القدس –تل أبيب ، تحسين شبكات وأنظمة الهاتف والتلغراف وإنشاء خمس محطات لتوليد الكهرباء، تحسين بعض المصانع وبناء مصانع أخرى كمصانع للصلب، أيضاً تزويد الكيان ب تسع وخمسين سفينة ألمانية[1] . يُضاف إلى ذلك إعطاء اليهود حق العودة إلى ألمانيا واعطائهم حقوقهم كاملة بما فيها الجنسية الألمانية إعادة ممتلكاتهم حقهم في الوظيفة وغيرها أيضاً[2].

وقد اعترف موشيه شاريت[3] وزير الخارجية الصهيوني عند توقيع الاتفاقية بما يلي " الاتفاق حدث فريد في العلاقات الدولية– إذ وافق شعب عظيم على دفع تعويضات لجرائم ارتكبها حكم آخر"

وشهدت الفترة ما بين 18–22 آذار 1953 موافقة كل من البرلمان الألماني والكنيستالصهيوني أيضاً، وتم تبادل وثائق التصديق على الاتفاقية بين الصهاينة وألمانيا الغربية مركز الأمم المتحدة في نيويورك لتصبح سارية المفعول ابتداء من 27 آذار 1953 على أن تنتهي مدتها في آذار 1965.[4]

[1] – جنيدي. انجي محمد أحمد خلف الضغوط الأمريكية على ألمانيا الغربية من أجل إسرائيل صفقة الدبابات الألمانية لإسرائيل 1964، مجلة بحوث الآداب جامعة عين شمس، مصر، ص1995.

[2] – حيدر: السياسة الألمانية تجاه القضية الفلسطينية وتطورها 1949–2008، ص 62–71.

[3] – وُلد عام 1894 في أوكرانيا،اسمه موشيه شيرتوك وغير اسمه للعبرية شاريت، هاجر مع عائلته إلى فلسطين عام 1908 ، واستقر في قرية عين سينيا بين نابلس والقدس ، تعلم اللغة العربية ودرس اللغة العبرية ، استلم مناصب عدة منها رئيس الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية(1933 –1948)، أول وزير خارجية للكيان الصهيوني (1948–1956)، وثاني رئيس حكومة(1954–1956)، توفي عام 1965 بعد 71 عام قضى معظمها في تأسيس الدولة اليهودية. –Palestine studies.org.

[4] – شوقي. ايمان–علاقات مصر وألمانيا الغربية الاتحادية (1950–1965)، مجلة بحوث العلوم الاجتماعية والإنسانيةالعدد 1،،مصر،2021، ص 67.

ويُمكن توضيح بنود اتفاقية التعويضات بين الجانبين بالعديد من النقاط:" 1- دفع مبلغ 3 مليارات مارك ألماني للكيان الصهيوني.

2- تدفع ألمانيا الاتحادية مبلغ 450 مليون مارك إضافي تخصص للمنظمات اليهودية العالمية.

3- توضع هذه المبالغ تحت تصرف الكيان الصهيوني لشراء البضائع وتغطية نفقات الخدمات التي تخصص لاستيطان اليهود القادمين لفلسطين.

4- تبدأ عملية الدفع بعد تصديق هذا الاتفاق من قبل حكومتي الدولتين بتاريخ 1953/3/31، ويجب أن تدفع ألمانيا حتى ذلك التاريخ مبلغ 200 مليون مارك وفي ميزانية عام 1953-1954 تدفع أيضاً نفس المبلغ ومع بداية 1954 /4/1 يرتفع المبلغ المخصص سنوياً إلى 310 ملايين مارك.

5- مدة الاتفاق من 12-14 سنة إذا تعذر على ألمانيا الاتحادية مواصلة الدفع بالمستوى المحدد بالفقرة الرابعة.

6- تُعد البعثة الصهيونية في ألمانيا الاتحادية هي المعنية بشراء البضائع وتحديد الخدمات المطلوبة .

7- تلتزم ألمانيا الاتحادية باستثناء الكيان الصهيوني من كافة الشروط التي تطبق على باقي الدول في عملية الشراء والتصدير ويجب توفير كل التسهيلات لها.

8- تلتزم ألمانيا الاتحادية بتثبيت قوائم المواد الملزمة بشرائها من الكيان الصهيوني ولمدة سنتين مسبقاً وبشكل دوري.

9- تلتزم ألمانيا الاتحادية بدفع ثمن شحنات النفط التي يستوردها الكيان الصهيوني ولمدة سنة على أن يغطي ذلك ثلثي احتياجات الكيان النفطية مع إمكانية تحديد المدة بشكل متوقف على مقدرة الوضع للألمان.

10- يدفع الكيان الصهيوني تعويضات إلى الالمان الذين هاجروا من فلسطين أو طردوا منها ولاسيما تلك المجموعات الدينية الألمانية التي استقرت منذ عام 1861 في فلسطين وعرفت باسم تجمع شعب الله في بيت المقدس وجماعة الهيكليين".[1]

ثم تطورت العلاقات بينهما حتى قامت ألمانيا بإرسال بعثة تجارية لتل أبيب، ورد الكيان الصهيوني بإرسال مبعوث له بدرجة وزير مفوض (فلكس شنعار) إلى ألمانيا الغربية[2].

رفض المستشار الألماني الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني والالتزام بأي شيئ يخصه بقوله أن الحكومة الألمانية لا تملك أي حق أو حتى إمكانية تخولها اتخاذ موقف بشأن الفلسطينين في الداخل أو حتى اللاجئين، بعكس اليهود والصهاينة فلهم الحق الأكبر بالدعم بعدّهم المتضررين من الاضطهاد الذي تعرضوا له على أرض بلاده[3].

ولكن هذه الاتفاقية كان لها اتجاهات أخرى ولم يكن الجميع في ألمانيا أو حتى في الكيان الصهيوني راضياً بها، في الوقت الذي برر أديناور هذه الاتفاقية للعرب بأنها تسوية وسطية وأن ذلك لا يجب أن يُفهم أنه ضد العرب، فهو واجب ألماني تتحمل ألمانيا المسؤولية كاملة لما حصل من انتهاكات على أرضها فيما يخص اليهود، وقد حصلت معارضات عدة في الأوساط الصهيونية واندلعت مظاهرات بقيادة مناحيم بيغن الذي أسس حزباً يمينياً أسماه" شرفنا ليس للبيع لايمكن لأي شيئ أن يعوض عن دمنا، دعونا نمحو العار" و في الاجتماع الذي حصل في فاسيمار إحدى ضواحي لاهاي، حيث عبر هؤلاء عن رفضهم لمسألة

[1] – الشناق. عبد المجيد زيد_ اتفاق المصالحة الألمانية– الإسرائيلية الموقع بتاريخ 10/9/ 1952، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج32، عدد 3، الأردن،2005، ص569.

[2]– ناجي : دور الدعم المالي والعسكري الألماني في تطور المشروع الصهيوني في فلسطين 1952–1989، ص 1192.

[3]– حيدر :السياسة الألمانية تجاه القضية الفلسطينية وتطورها 1949–2008، ص 62–71.

التعويضات ورفضوا استخدام هذا المصطلح أيضاً واستبدلوه بالكلمة العبرية شيلوميم أي القصاص، ورفضوا مصافحة الوفد الألماني أيضاً برئاسة فرانس بوهم[1].

وفي الوقت ذاته اعتبر بعض الصهاينة أن هذه التعويضات مكسب لهم فالآن باستطاعتهم العودة لألمانيا إلا أن الذين ذهبوا لم يتجاوزوا ال 4 بالمئة، وبعضهم الآخر اعتبر أنه هذه الأموال ستؤمن لهم حياة كريمة في مستوطناتهم داخل الكيان.

كذلك الامر لم تحصل هذه الاتفاقية على الموافقة الألمانية الكاملة ففي الوقت الذي وافق عليها وزير الاقتصاد وشخصيات كبرى بوزارة الخارجية ومكتب المستشار، رفضها أكثر من نصف نواب الائتلاف الحاكم[2].

وتقدمت كذلك الامر الدول العربية بمذكرتين لوزارة الخارجية الألمانية عبرت من خلالهما عن اعتراضها على اتفاقية التعويضات[3].

باختصار يُمكن القول أن ألمانيا الغربية تجاهلت حقوق الفلسطينيين وتمسكت بادعاءات الصهيونية وتمسكهم بما حصل لهم في ألمانيا، واعتبر الالمان أن هذا الامر يُعد (إرث ألمانيا النازية)وهم يتحملون مسؤوليته كاملة، ونجحت الدول الغربية في تحديد مسار جديد لهذا القسم من ألمانيا وتحييده عن العرب لصالح الصهيونية، بحيث أدت اتفاقية التعويضات إلى احداث تقدم كبير في الجزء الفلسطيني الذي يسيطر عليه هذا الكيان في العديد من الجوانب.

الدعم العسكري للصهاينة (صفقة الدبابات 1964):

[1]– شتاينغر: ألمانيا والشرق الأوسط منذ زيارة القيصر فيلهلم الثاني إلى المشرق في العام 1898 وحتى الوقت الحاضر ، ص 92.

[2]– حيدر :السياسة الألمانية تجاه القضية الفلسطينية وتطورها 1949، ص 62–71.

[3]– شتاينغر :ألمانيا والشرق الأوسط منذ زيارة القيصر فيلهلم الثاني إلى المشرق في العام 1898 وحتى الوقت الحاضر ، ص 92، و شوقي. ايمان: علاقات مصر وألمانيا الغربية الاتحادية (1950–1965)، ص 65.

استمر الاتصال بين ألمانيا الغربية والكيان الصهيوني طيلة فترة تطبيق اتفاقية التعويضات المبرمة بينهما، وحاول بن غوريون في هذه الفترة أي في عام 1957 الحصول على السلاح من ألمانيا الغربية التي رفضت بدورها ذلك لأن بنود اتفاق التعويضات تستبعد أن يكون السلاح من ضمن القائمة التي ستدفعها للكيان الصهيوني، ولكن الولايات المتحدة الامريكية ضغطت على ألمانيا الغربية ما أدى لتسهيل هذا الامر، وهناك تقارير لصحف فرنسية تفيد بحصول الكيان الصهيوني على غواصة عسكرية في 17 كانون الأول عام [1] 1957، وبعدها بدأت ألمانيا الغربية بإرسال السلاح الحديث للكيان الصهيوني سراً عبر الوسيط الفرنسي كذلك تم تشجيع الألمان والمؤسسات الألمانية للاستثمار ودعم الاقتصاد الصهيوني[2].

ولابد من الحديث عن بعض أحداث هذه الفترة أي فترة الخمسينات إذ عدت ألمانيا نفسها الدولة الشرعية الوحيدة وسعت لمنع الاعتراف بألمانيا الشرقية، واتبعت مبدأ هالتشتاين (مبدأ رئيسي في السياسة الخارجية لجمهورية ألمانيا الاتحادية من عام 1955–1970، وقد نص على أن الجمهورية الفيدرالية لن تقيم علاقات دبلوماسية مع أي دولة تعترف بجمهورية ألمانيا الديمقراطية وكذلك يقوم على تهديد أي دولة تقوم بعلاقات مع جمهورية ألمانيا الاتحادية ووقف المساعدات والعلاقات معها.

اتضح لألمانيا الغربية أن الولايات المتحدة الأمريكية مقيدة بالنظام الدولي القائم بعد عام 1945، وذلك بعد العدوان الثلاثي على مصر عام 1956، إذ رفضته وسعت لإفشاله، بالتزامن مع الغزو السوفييتي لهنغاريا فاكتفت بإدانة لفظية فقط، وشعرت ألمانيا أن الولايات المتحدة الامريكية لن تدعم أي نزعة ألمانية تطمح لتغيير أسس النظام الدولي من خلال المطالبة بكامل ألمانيا وأجزاء من بولندا، واتجهت ألمانيا حينها لفرنسا لتعمل على تحسين

[1] – ناجي:دور الدعم المالي والعسكري الألماني في تطور المشروع الصهيوني في فلسطين 1952–1989، ص 1192–1199.

[2] – ربيع. محمد عبد العزيز المعونات الامريكية لإسرائيل. مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت–لبنان،1990،ص126.

قدرتها العسكرية، وحدث تقارب ألماني–صهيوني في الفترة ذاتها، بحيث حصل لقاء سري جمع بين شمعون بيريز وشتراوس عام 1957، لتزويد ألمانيا بالسلاح سراً حتى في غياب علاقات دبلوماسية بينهما[1].

وسارع بعدها الصهاينة للتفاوض من جديد على اتفاقية جديدة تحل محل اتفاقية التعويضات ، لأنه كما ذكرنا سالفاً كانت مدة الاتفاقية السابقة محدودة ما بين ال 12 وال14 سنة، وكان لابد من اتفاقية أخرى يقومون من خلالها بالاستفادة من الوضع القائم في تلك الفترة ومن علاقتهم الجديدة مع ألمانيا الغربية، وعلى اثر ذلك التقى بن غوريون مع المستشار الألماني بتاريخ 14 آذار عام 1960، وتم طرح عدة أمور من ضمنها إعطاء قرض للصهاينة بقيمة 50 مليون دولار وتقديم مساعدات عسكرية للكيان الصهيوني أيضاً تتضمن توريد معدات عسكرية خفيفة .

ومن بعدها جرى التنسيق من قبل الدوائر الصهيونية لجمع المستشار وبن غوريون في أمريكا في عام 1961 للحديث والاتفاق بشكل مفصل حول صفقة الأسلحة السرية التي يرغب الكيان الصهيوني بتوقيعها مع ألمانيا الغربية[2].

إذ جرى اللقاء لوضع اتفاقية عام 1960 التي وُقّعت في نيويورك حيز التنفيذ متضمنةً، إعطاء القرض الذي سبق ذكره للصهاينة بشروط ميسرة ، امدادها بالسلاح، إعلان الصهاينة تبرئة ألمانيا الجديدة من إرث النازية وأنها قامت بواجبها على أكمل وجه جراء ما حصل لليهود، وكان الضامن الرئيس الأمريكي كيندي الذي أيد ما تم الاتفاق عليه ووعد ببقاء صفقة السلاح سرية بالكامل[3].

---

[1] – fisher. L_deciphering Germany's pro-israel consensus, jornal of Palestine studiesvol 48, no 2,2020, p20-42.

[2] – ناجي: دور الدعم المالي والعسكري الألماني في تطور المشروع الصهيوني في فلسطين 1952-1989،ص1195.

[3] – جنيدي:الضغوط الأمريكية على ألمانيا الغربية من أجل إسرائيل صفقة الدبابات الألمانية لإسرائيل 1964، ،ص1999.

تم توقيع الاتفاق بين وزير الدفاع الألماني شتراوس والمسؤولين الصهاينة ممثلاً بشمعون بيريز ليتم تحديد أساسيات هذه الصفقة، واقتصر عدد المطلعين عليها على ثلاثة نواب ممثلين عن الأحزاب الثلاثة الممثلة في البرلمان الألماني، الذين شكلوا اللجنة الاستشارية الخاصة مهمتها مراقبة صرف الاعتمادات المالية السرية لهذا النشاط، وفيما بعد اطلع عليها أحد مساعدي وزير الدفاع الألماني ف 13 كانون الأول عام 1962.

تضمنت هذه الاتفاقية 1- تقديم مساعدات عسكرية للصهاينة[1]بقيمة 60 مليون دولار تشمل مختلف أنواع الأسلحة والتجهيزات والدروع والمدفعية وزوارق الطوربيد، وغواصات وغيرها.

2- تنشيط وتقوية صناعة الأسلحة الصهيونية[2] من خلال شراء الالمان لرشاشات أوزي الصهيونية، مدافع هاون، تجهيز الجيش الألماني بالملابس العسكرية، 40 مدفع هاون مضاد للطائرات بقيمة 20 مليون مارك[3].

ساهمت هذه الاتفاقية بدعم وتقوية الاقتصاد العسكري الصهيوني، وقد أشاد شمعون بيريز بأهمية هذه المعونات العسكرية بقوله: (لقد أعطتنا أمريكا المال، وأعطتنا فرنسا السلاح مقابل المال، وأعطتنا ألمانيا السلاح بلا مال)

أيضاً كما قال عساف رازين أستاذ الاقتصاد في جامعة تل أبيب أن (المعونات الألمانية كانت المصدر الرئيسي للمساعدات الخارجية التي حصلت عليها إسرائيل خلال عقدي الخمسينات والستينات إذ تسلمت الحكومة الإسرائيلية من ألمانيا على مدى 12 عاماً ما مجموعه 1,1مليار دولار)[4].

---

[1] – الشناق:اتفاق المصالحة الألمانية– الإسرائيلية الموقع بتاريخ 10/9/ 1952، ص 575.

[2] – لمعلومات أوفر عن صناعة الأسلحة الصهيونية منصور. جوني و نحاس. فادي المؤسسة العسكرية في إسرائيل تاريخ واقع استراتيجيات تحولات. مدار المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، رام الله–فلسطين،1987، ص 371.

[3] – ناجي: دور الدعم المالي والعسكري الألماني في تطور المشروع الصهيوني في فلسطين 1952–1989،ص 1192–1199.

[4] – ربيع:المعونات الامريكية لإسرائيل، ص 127.

خلف اديناور في منصب المستشارية (ارهارد[1])، وكان للأخير سياسته الخاصة التي تختلف عن سياسة سلفه، حيث لم يرغب بتوثيق العلاقة مع الجانب الصهيوني رغم الدعوات المتتالية التي عبرت فيها الصهيونية عن رغبة رئيس وزرائها أشكول في زيارة ألمانيا الغربية.

وبشكل مفاجئ طلبت الولايات المتحدة الأمريكية من ارهارد تزويد الكيان الصهيوني بصفقة دبابات من طراز m-48 بما يعاد 200 دبابة، لحفظ التوازن في منطقة الشرق أوسط وكضرورة لمحاربة الدبابات الروسية من طراز ت-34 [2] التي تتسلح بها الجمهورية العربية المتحدة (إذ قامت الوحدة بين سوريا ومصر عام 1958 وأصبحت تشكل خطر على الكيان الصهيوني) وما كان من الأخير إلا أن رفض ذلك أثناء لقائه بالرئيس الأمريكي جونسون في الثاني عشر من شهر حزيران لعام 1964 في أمريكا، معللاً سبب رفضه بعلاقته الجيدة مع العرب، وأنه لا يستطيع الدخول بمضمار الصراع العربي-الصهيوني الذي يُعد من المواضيع الساخنة والمعقدة للغاية، وهذه الصفقة ستؤدي لردة فعل عنيفة من الدول العربية خاصةً وأن اجتماع لدول عدم الانحياز كان في طور الانعقاد في القاهرة، وسيؤدي مثل هذا الفعل للاعتراف بألمانيا الشرقية مما سيُعقّد القضية الألمانية، فقد كان لمصر ثقل كبير من بين دول عدم الانحياز في تلك الفترة وعلاقتها جيدة بألمانيا الشرقية[3].

من جهةٍ أخرى وضع الرئيس الأمريكي عدة نقاط ترهيب وترغيب لإرهارد للضغط عليه للقبول بهذه الصفقة من ضمنها أن ألمانيا ستكون بعيدة عن الواجهة وأن الصفقة ستتم عن طريق إيطاليا، كذلك الأمر ذهب الرئيس الأمريكي إلى أبعد من ذلك وبدأ بالضغط عن

---

[1] – لودفيغايرهارت سياسي ألماني وُلد 4 شباط عام 1897 وتوفي في 5 أيار عام 1977، تولى منصب مستشار في ألمانيا الغربية من عام 1963 حتى عام 1966، استمر في اصلاحاته الاقتصادية وعمل وزيراً للاقتصاد في حكومة سلفه أديناور ، وهو صاحب قانون اقتصاد السوق الأساسي الذي يُعتبر المعجزة الاقتصادية الألمانية بعد خروج ألمانيا مدمرة بعد الحرب العالمية الثانية..noor.book.com.

[2] – ناجي. سحر أحمد _دور ألمانيا الغربية في دعم أو تطور المشروع الصهيوني 1952-1989، researchgate.net ، 2022

[3] – ناجي:دور الدعم المالي والعسكري الألماني في تطور المشروع الصهيوني في فلسطين 1952-1989، ص 2002 – 2003.

طريق ورقة المساعدات الامريكية المالية التي تُقدم لألمانيا الغربية، خاصةً وأن مذكرة تفاهم وُقعت سابقاً بين وزير الدفاع الأمريكي روبرت ماكنمارا ووزير الدفاع الألماني فون هاسيل المتعلقة بالجيش الألماني وحلف شمال الأطلسي، وهدده بأن مذكرة التفاهم هذه من الممكن أن تُلغى وبالتالي لن يتم الوقوف لجانبه في حال الهجوم السوفييتي على ألمانيا الغربية ، فاضطر الأخير للموافقة والتوقيع بعد تأكيد الرئيس الأمريكي له بأن الخطة ذكية وموثوقة وستبقى طي الكتمان والسرية وقت طويل، ولاشك أن ارهارد وضع المصالح الألمانية–الأمريكية فوق المصالح العربية –الألمانية[1].

ولكن السؤال هنا لماذا لم تقم الولايات المتحدة الامريكية بإمداد الكيان الصهيوني بالسلاح مباشرةً دون الطلب من ألمانيا الغربية وإجبارها على قبول الصفقة؟

السبب هو رغبة أمريكا بعدم استفزاز السوفييت في هذه الفترة التي كانت الحرب الباردة بينهما على أشدها، إذ أن إمداد أمريكا الصهاينة بالسلاح سيؤدي بدوره لزيادة التدخل السوفييتي في الشرق الأوسط، كذلك الأمر أرادت أمريكا الحفاظ على مصالحها النفطية وممراتها الاستراتيجية في البلاد العربية، فأي محاولة مباشرة لإمداد الصهاينة بالسلاح سيُقابل بتأجيج الموقف السوفييتي وزيادة الدعم والتدخل بشؤون الشرق الأوسط.

فتمت هذه الصفقة من خلال إرسال ألمانيا الدبابات فارغة إلى إيطاليا، وفي إيطاليا يتم تزويد الدبابات بالمدافع الأمريكية وبعد ستة أشهر يتم شحنها للكيان الصهيوني دون الإفصاح عن مصدرها[2].

حاولت ألمانيا إبقاء علاقتها بالكيان الصهيوني على نحو متوازن لكي لا تخسر علاقتها بالدول العربية، وحتى لا يقوم العرب بدورهم بالاعتراف بألمانيا الشرقية، إلا أن الصهاينة استخدموا صفقة الاسلحة هذه كورقة ضغط على ألمانيا الغربية، وقاموا بإعلانها في خريف ال1964 لتأزيم العلاقات بين الطرفين المذكورين، والحصول على

[1] – جنيدي:الضغوط الأمريكية على ألمانيا الغربية من أجل إسرائيل صفقة الدبابات الألمانية لإسرائيل 1964، ، ص 2000–2002.

[2] – ناجي:دور الدعم المالي والعسكري الألماني في تطور المشروع الصهيوني في فلسطين 1952–1989، ص 2011.

اعتراف دبلوماسي ألماني بوجودها[1]، إذ أن استمرار علاقة ألمانيا الغربية مع العرب لم تناسب الصهاينة الذي سربوا خبر الصفقة للصحف الغربية، ونُشرت أسرار هذه الامدادات العسكرية الألمانية إلى الكيان الصهيوني.

بدأت ردود الأفعال العربية تظهر وتوترت الأوضاع، وقامت مصر بدعوة لرئيس ألمانيا الشرقية كمحاولة لإخافة ألمانيا الغربية بأنها ستعترف بها هي والدول العربية الأخرى، وكذلك الأمر فلسطين التي عانت بشكل كبير من ما تقوم به ألمانيا الغربية، فاستنكرت الأخيرة هذه الصفقة، وعدت أن ألمانيا الغربية شريك أساسي بالمأساة الفلسطينية، منذ أيام النازية، وعد الفلسطينيون أن ألمانيا سابقاً وألمانيا الغربية الآن سهّلت قدوم اليهود لأرضهم وما قامت به الآن من تقديم تعويضات وصفقات أسلحة، جعلت الاقتصاد الصهيوني ينمو بشكل متسارع وحتى الصناعة العسكرية الصهيونية أصبحت بأوجها وتمكن الكيان الصهيوني من شراء العديد من الأسلحة بسبب التعويضات والأموال التي حصل عليها من ألمانيا الغربية، إذاً فألمانيا الغربية هي شريك فعلي كما ذُكر بالمأساة الفلسطينية.

وُضعت ألمانيا بمأزق صعب إزاء هذه التطورات وحصل تصدع في الائتلاف الحاكم لديها، فالبعض يريد إيقاف شحنات الأسلحة والإبقاء على المساعدات الاقتصادية والبعض الاخر طلب إيقاف تصدير الأسلحة بشكل كامل وأي مساعدات أخرى تجنباً لابتزاز العرب، وانتهى الأمر بإصدار قرار بإيقاف هذه الشحنات، واستمرار العلاقات الألمانية العربية وعدم اعتراف العرب بألمانيا لشرقية.

إلا تطورات الأحداث فيما بعد اختلفت تماماً ففي الوقت الذي أوقفت ألمانيا الغربية شحنات الأسلحة ، توقعت أن تقوم مصر بإلغاء رحلة أولبريخت إلى أراضيها لكنه لم يلغها، فقامت بتصرف غريب وكبير ومفاجئ، والذي فجّر الأزمة بينها وبين العرب.

فقد كشفت صحيفة دير شبيغل الألمانية، في شهر شباط من عام 1965 عن شحنة جديدة من الأسلحة قُدمت للصهاينة (60 طائرة (طائرات عمودية (هيلوكبتر) ونقل

[1]– حشيشو. نهاد _ ألمانيا والعرب دراسة في العلاقات الألمانية العربية. دار نلسن ، ط1، بيروت، 2016، ص 179.

وتدريب) عشرات من سيارات الإسعاف، 450 سيارة نقل عسكرية ومدافع ضد الدبابات ، و60 دبابة أمريكية الصنع من نوع m48 فضلاً عن مساعدات في مجل البحث العلمي لصناعة الأسلحة[1].

وفي الثاني عشر من الشهر الخامس لعام 1965 اعترفت ألمانيا الغربية بالكيان الصهيوني[2] وأعلنت عن القيام بعلاقات دبلوماسية كاملة معه، وبداية التقارب العسكري والثقافي والاقتصادي العلني ، متجاهلة بذلك جميع العرب وكذلك حقوق الشعب الفلسطيني التي اعتبرت أن قضيته لا تتجاوز التعاطف الإنساني لا أكثر ولا أقل[3].

وأرسلت ألمانيا رولف فريدمان بولس ليكون أول سفير لها لدى الكيان الصهيوني وأشر بن ناتان أول سفير صهيوني في ألمانيا الغربية[4]والذي وعد بدوره عام 1966 الكيان الصهيوني بزيادة العلاقات الدبلوماسية معه والتعاون بمختلف المجالات[5].

وحصل الكيان الصهيوني أيضاً في شهر أيار عام 1966 على صواريخ أرض–أرض من طراز ارنست جو وأصبحت ألمانيا الغربية المورد الرئيسي للسلاح الصهيوني قبل بدء حرب حزيران 1967 [6].

نهايةً لاشك أن تصرف الكيان الصهيوني وتسريبه لصفقة الأسلحة كان لسبب معين فما هو؟

أراد الكيان الصهيوني الاستفادة من صفقة الأسلحة على المستويين العسكري والسياسي، إذ أنه سرب الصفقة بعد حصوله على ثلثي الاسلحة، وهو متأكد بأن تصرفه هذا لن يؤدي لتوقيفها لأن أمريكا هي الضامن، وبالتالي كان إخراج الصفقة

---

[1] – ناجي. سحر أحمد_ دور ألمانيا الغربية في دعم أو تطور المشروع الصهيوني مرجع سابق.

[2]-ظاهر. علي رزاق- العلاقات الإسرائيلية-الألمانية (الاتحادية) في ظل حكومة غولدامائير (1969-1974)، مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية، المجلد 7، عدد 5، العراق،2025، ص98.

[3]– حيدر :السياسة الألمانية تجاه القضية الفلسطينية وتطورها 1949، ص 75–79.

[4]- عفتان. عمر عبد الله- مجالات التعاون بين ألمانيا وإسرائيل للفترة 2005-2015، جامعة كلكامش كلية العلوم السياسية، مج66، عدد 1، العراق،2024، ص 362.

[5] – ناجي:دور الدعم المالي والعسكري الألماني في تطور المشروع الصهيوني في فلسطين 1952–1989، ص 2011.

[6]– ناجي:دور الدعم المالي والعسكري الألماني في تطور المشروع الصهيوني في فلسطين 1952–1989، ص2011.

للعلن ليُحرج ألمانيا الغربية ويدفعها للاعتراف بوجوده وإحداث شرخ بين ألمانيا الغربية والدول العربية.

إذا كان الهدف الأساسي هو تحقيق مكسب سياسي بالإضافة للمكسب العسكري.

الموقف الألماني من حرب ال1967:

شن الكيان الصهيوني عدواناً على الدول العربية المجاورة لفلسطين بعد قلقه من تنامي القوة العسكرية للعرب والتي أصبحت تشكل تهديداً لأمنه إذ اعتبر أن اتجاه الدول العربية للتسلح بمثابة اعلان الحرب عليه، كذلك الأمر توقيع العرب لاتفاقيات دفاع ثنائية وأيضاً تشكيل منظمة التحرير الفلسطينية اثر مؤتمر القمة 1964وانشاء جيش التحرير الفلسطيني، ظهور حركة مقاومة فلسطينية كحركة فتح، تم اعلان الحرب على مصر وسوريا والاردن واستطاع خلال أيام معدودة من تحقيق انتصارات كبيرة أي خلال أيام احتل الصهاينة القسم المعروف بالضفة الغربية وقطاع غزة وسيناء المصرية، والجولان[1] ، ولكن ما هو الموقف الألماني الغربي تجاه هذا التطور والمفاجأة الكبرى في قوة الكيان الصهيوني في أن يستطيع أن يهزم ثلاثة دول عربية في وقت زمني قصير؟

وهل كانت للمساعدات الألمانية المقدمة من ألمانيا الغربية سواء في السلاح والعتاد والأموال سبب في تحقيق هذا الكيان قوة فاعلة ومؤثرة في تلك الفترة ؟

في الحقيقة اختلفت الآراء داخل ألمانيا الغربية، إذ أن الحكومة الألمانية عبرت عن رفضها إغلاق مصر مضائق تيران وصنافير[2] في وجه سفن الكيان الصهيوني ، في تعبير منها على حرية النقل البحري في قناة السويس[3] إلا أنها التزمت الحياد علناً على الأقل في ما يخص هذا الصراع العربي– الصهيوني.

بالمقابل كان للرأي العام الألماني موقف مغاير فقد تعاطف بشكل كبير مع الكيان الصهيوني وأظهر رضى وارتياحاً كبيراً لتحول هذا الكيان لقوة قادرة على الدفاع عن نفسها، إذ اعتبروا أن الكيان

1- الجنابي. حمادي حسين - الحرب العربية الإسرائيلية 1967واثرها في موقف الولايات المتحدة الامريكية من الوحدة العربية، مجلة جامعة بابل،العدد 2725، 2017، ص 5-9.

2 – مضيق تيران هو ممر مائي عرضه 4،50 كم بين شبه جزيرة سيناء وشبه جزيرة العرب ويفصل خليج العقبة عن البحر الأحمر. وتوجد جزيرتان في الممر المائي هما تيران وصنافير المصريتان. مضائق تيران Marefa.org تاريخ التحميل 2024/9/1 الساعة 12:25.

3 – ممر مائي صناعي بمستوى البحر يمتد من مصر من الشمال إلى الجنوب عبر برزخ السويس ليصل البحر المتوسط بالبحر الأحمر، وهي تفصل بين قارتي آسيا وافريقيا وتعد أقصر الطرق البحرية بين أوروبا والبلدان الواقعة حول المحيط الهادي وهي أكثر القنوات الملاحية كثافة من حيث الاستخدام وتستخدمها السفن الحديثة بكثرة عددية كبيرة لأنها الأسرع والأقصر للمرور من المحيط الاطلنطي إلى المحيط الهندي، وتمثل الرسوم التي تدفعها السفن نظير عبور القناة مصدراً هاماً للدخل في مصر.حرب. محمد طلعت_ قناة السويس، مطبعة الجريدة، 1910، ص3.

الصهيوني محاط بدول عربية تسعى لتدميره، في الوقت الذي نجح بالانتصار على ثلاثة دول عربية وهذا ما أعطاهم شعوراً بالرضى والتخلص من عقدة الذنب الألمانية تجاه ما حصل لهم سابقاً على يد النازية.

فهو شعب مُضطهد وناجٍ من أحداث كبيرة في الماضي ولابد له من الاستمرار والدفاع عن وجوده بقوة، وقدم مجلس برلين 100 ألف مارك للصهاينة لشراء الدواء و 30 ألف قُدمت أيضاً لهم من مؤسسة فرانكفورت، كما حدثت وقفات شعبية طلابية واتحادات تجارية وأحزاب حكومية أيضاً في شوارع ألمانيا الغربية دعماً للكيان الصهيوني.

إلا أن توتر الأوضاع بعد أشهر من الحرب، خفف التعاطف الألماني الشعبي قليلاً مع ما يحدث، في الوقت الذي حافظت الحكومة الألمانية على حيادها، وعدم إعطاء دعم رسمي علني للكيان من قبلها، بل أيدت قرار الأمم المتحدة رقم 242 من أجل تحقيق السلام لجميع الأطراف، وقد تضمن هذا القرار، الذي صدر بتاريخ 22 تشرين الثاني 1967 سحب الصهاينة لقواتهم من الأراضي التي احتلوها في هذه الحرب، الحفاظ على سيادة واستقلال ووحدة جميع أراضي أي دولة في المنطقة، ضمان حرية الملاحة في الممرات المائية الدولية في المنطقة، حل مشكلة اللاجئين الفلسطينين بطرق عادلة، إقامة مناطق منزوعة السلاح بين الدول للحفاظ على الاستقلال السياسي لكل دولة[1].

خاتمة:

تميزت السياسة الألمانية تجاه القضية الفلسطينية في فترة الدراسة هذه 1949–1967 بمحاولتها الدائمة لوضع استراتيجية تعيدها إلى البيئة الدولية، فكان موقفها من فلسطين وعلاقتها بالكيان الصهيوني بوابة العبور لما تطمح له، فانخرطت بشكل مباشر في هذا الصراع ودعمت الكيان الصهيوني بالمال والسلاح، ولم تكتف بذلك بل قامت بالاعتراف بوجوده وأقامت علاقات دبلوماسية معه متجاهلة بشكل تام حقوق الشعب الفلسطيني بأرضه ووطنه.

بحيث يمكن تلخيص علاقة ألمانيا الغربية بالكيان الصهيوني على أنها علاقة معقدة ، بدأت في إطار تاريخي حساس مع وجود أعباء الحرب العالمية الثانية، وتطورت لتشمل أبعاداً اقتصادية

[1]– حيدر :السياسة الألمانية تجاه القضية الفلسطينية وتطورها 1949، ص 80–82.

وعسكرية، تتمثل بالتعامل مع تبعات الجرائم التي ارتكبتها النازية ، وخاصة الهولوكوست، وانتهاءً بعلاقات دبلوماسية معه.

وإن علاقة ألمانيا الغربية بالكيان الصهيوني تعد من أبرز التحالفات غير التقليدية التي نشأت في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية ، فقد التقت مصلحتان متناقضتان ظاهرياً، دولة أوروبية مهزومة تبحث عن إعادة تأهيل نفسها دولياً وكسر عزلتها بعد جرائم النازية، وكيان (مزعوم) ناشئ يسعى لتثبيت شرعيته والحصول على موارد مالية واقتصادية تمكنه من البقاء والتوسع.

References:

1-AFTAN. O_ areas of cooperation between Germany and Israel for the period 2005-2015,the university of kolkamesh college of political sciencesVol 66 NO 1,2024,p362.

1_عفتان. عمر عبد الله مجالات التعاون بين ألمانيا وإسرائيل للفترة 2005–2015، جامعة كلكامش كلية العلوم السياسية، مج66، عدد1، العراق،2024، ص 362.

2-FISHER .L_ deciphering Germany's pro-israel consensus, jornal of Palestine studies Vol48 No 2,2020, p20-42.

3-Al-JANABI.H_the Arab Israeli war in 1967 and its impact on the us position from the Arab unity , magazine university of Babylon No2725,2017, p5-9.

3_ الجنابي. حمادي حسينالحرب العربية الإسرائيلية 1967واثرها في موقف الولايات المتحدة الامريكية من الوحدة العربية، مجلة جامعة بابل، العدد 2725، العراق،2017، ص 5–9.

4-HAIDER.A_ _German politics towards the Palestinian cause and its development. Syrian public authority for book, DAMASCUS,,2012,226p.

4_حيدر. عبير الشيخ _ السياسة الألمانية تجاه القضية الفلسطينية وتطورها 1949–2008، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 226،2012صفحة.

5-HASHISHO. N__ German and Arab study in German relation, Dar nelson, edition 1, Damascus,, 2016,438p.

5_حشيشو. نهاد _ألمانيا والعرب دراسة في العلاقات الألمانية العربية. دار نلسن ، ط1، بيروت،438،2016صفحة.

6-GENEIDI.A Us pressure on west Germany for Israel deal of German tanks to Israel 1964,research of artsjornal,P1995-1999.

6_جنيدي. انجي محمد أحمد خلف الضغوط الأمريكية على ألمانيا الغربية من أجل إسرائيل صفقة الدبابات الألمانية لإسرائيل 1964، مجلة بحوث الآداب جامعة عين شمس، مصر، ص1995 –1999.

7- AL-KAYALI.A___ the political encyclopedia. the arabfoundationfor studies and publishing , edition 1, Part 7 ,Beirut,1979, 257p.

7_الكيالي. عبد الوهاب وآخرون_ الموسوعة السياسية. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ، ط1، ج7، بيروت،1979، 257صفحة.

8-KHDER. B__ Europe and Palestine from crusades untile today.arab unity studies center , edition1, Beirut,2003,696p.

8_خضر. بشارة _أوروبا وفلسطين من الحروب الصليبية حتى اليوم ، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت،2003، 696 صفحة.

9- Marwecki. D 2018_ Germany and Israel: An unlikely Alliance? West German foreign policy towards Israel, the arab-israeli conflict and the Palestine question. thesis submitted for the degree of phd, university of London, Soas,p33

10-MANSOUR.J ___ the military foundation in Israel date, reality, strategies, transformations.madar of the Palestinian center for Israeli studies, Ram allah-palestine,1987, 510p.

10_منصور. جوني و نحاس. فادي _ المؤسسة العسكرية في إسرائيل تاريخ واقع استراتيجيات تحولات، مدار المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، رام الله–فلسطين،510،1987 صفحة.

11-NAJI.S _ The role of financial support to Germany in the development of the Zionist project in Palestine, the Iraq university, college of literature A Number of conferences,2018-2019,p1192,1199,2002,2005,2011.

11_ناجي. سحر أحمد و رمضان. عبد الرزاق خليفة_ دور الدعم المالي والعسكري الألماني الغربي في تطور المشروع الصهيوني في فلسطين 1952–1989، مجلة مداد الآداب، الجامعة

العراقية–كلية الآداب، عدد خاص بالمؤتمرات ،2018–2019، ص 1192، 1199 ،2000 ،2002، 2011.

12- RABEE. M___US aid to Israel, center for arab unity studies .edition1, Beirut lebanon,1990, 284p.

12_ربيع. محمد عبد العزيز_المعونات الامريكية لإسرائيل. مركز دراسات الوحدة العربية ، ط1،، بيروت–لبنان،1990، 284صفحة.

13-AL-SHANAQ.A_German-israeli reconciliation agreement on 10/9/1952, Human and social sciences jornalvol 32 No3,2005, p 596.

13_الشناق. عبد المجيد زيد_ اتفاق المصالحة الألمانية– الإسرائيلية الموقع بتاريخ 10/9/ 1952، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج32، عدد 3، الأردن،2005، ص569.

14-SHTANGER. R_Germany and the middle east since the second villhlm visit to the mashreq in 1898 until the present. translation of Lawrence al henawi , review MR. radwan, alam of knowledge national council for culture, arts and literature, AL kuwait,2018, 248p.

14_شتانغر. رولف _ألمانيا والشرق الأوسط منذ زيارة القيصرفيلهلم الثاني إلى المشرق في العام 1898 حتى الوقت الحاضر، تر لورنس الحناوي ، مراجعة السيد رضوان، عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 248 صفحة.

15- SHAWQI. E_Egypt and federation of western Germany, research of social and human sciences jornal, No 1,2021, p67.

15_– شوقي. ايمان_ علاقات مصر وألمانيا الغربية الاتحادية (1950–1965)، مجلة بحوث العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 1، مصر،2021، ص 67.

16- TAHA. J _ Germany to where fate. without publishing place,132p.

16_طه. جاد_ ألمانيا إلى أين المصير.دار المعارف، د. ت. ن، 132 صفحة.

17- ZAHER.A _ Israeli relations (federal under the government of goldamir, farabi magazine for humanities vol7, No 5,2025,p98.

17_ظاهر. علي رزاق العلاقات الإسرائيلية–الألمانية (الاتحادية) في ظل حكومة غولدامائير (1969–1974)، مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية ، العراق، المجلد 7، عدد 5،2025، ص98.

18_HARB.M_ Suez canal, al jarida press,1910,p3.

18–. حرب. محمد طلعت_ قناة السويس، مطبعة الجريدة، 1910، ص3

19_GOLDMANN.N_ the jewish paradox, grosset and dunlapweidenfled and Nicolson, London,1978, p11.
Palestine-studies.org19_
20- noor.book.com
21- Marefa.org

الأزمة الأوروبية عام 1939 وتأثيرها على الداخل الفلسطيني

(وضع ألمانيا وبريطانيا، هتلر وسياسة التهجير القسري، فلسطين ودول المحور)

طالبة الدكتوراه: صبا حكمت شعبان
قسم التاريخ – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة اللاذقية
المشرف الرئيسي الأستاذ الدكتور: أ.د أيمن صلاط
المشرف المشارك الدكتور: د. وسام عياش

ملخّص

شكلت الأزمة الأوروبية عام 1939، التي انفجرت مع اندلاع الحرب العالمية الثانية، نقطة تحول في النظام الدولي، فقد انعكست تداعيات الصراع بين دول المحور على مناطق النفوذ الاستعماري، ومنها فلسطين التي كانت تحت الإنتداب البريطاني، ولأنها ارتبطت مباشرة بالمسألة اليهودية ، أصبحت فلسطين مسرحاً للتوترات الناتجة عن سياسة التهجير القسري لليهود من أوروبا، الأمر الذي فاقم من حدة الصراع العربي_ الصهيوني.

إذ يمكن القول أن الأزمة الأوروبية عام 1939 لم تكن أزمة داخلية أوروبية فحسب ، بل كانت أزمة عالمية ألقت بظلالها على فلسطين ، فقد أدى تصاعد سياسات التهجير القسري لليهود في أوروبا ، وازدواجية الموقف البريطاني بين العرب واليهود، إلى ترسيخ واقع جديد في فلسطين مهد لتفاقم الصراع العربي_ الصهيوني لاحقاً ، وهكذا ارتبطت مأساة الفلسطينيين الداخلية بالتوازنات الدولية، وأصبحت فلسطين رهينة للتجاذبات بين الاستعمار البريطاني وسياسات دول المحور.

الكلمات المفتاحية: ألمانيا ، فلسطين، الأزمة الأوروبية، تأثير داخلي، سياسة التهجير.

The European crises of the 1939 and its impact on the Palestinian interior(Germany's and Britain situation, Hitler and the policy of forced displacement , Palestine and Axis powers)

Abstract

The European crisis of 1939, which erupted with the outbreak of the second world war, represented a turning point in the international order .the conflict between the Axis and Allied powers had direct repercussions on colonial territories, including Palestine, which was under British mandate. closely linked to the Jewish question, Palestine became a focal point for the tensions generated by the forced displacement of Jews from Europe, a development that further intensified the Arab _Zionist conflict, It can be said that the European issue but a global one that cast its shadow over Palestine. The escalation of forced displacement policies against Jews in Europe, combined with Britains ambivalent stance between Arabs and Jews, entrenched a new reality in Palestine that paved the way for the deepening of the Arab_ Zionist conflict. thus, the Palestinian tragedy became tied to international power struggles, leaving Palestine hostage to the interplay between british colonialism and the policies of the axis powers.

Key worlds; Germany, Palestine, the European crisis, internal impact ,the policy of forced displacement).

المقدمة:

تعد الأزمة الأوروبية عام 1939 نقطة تحول حاسمة في التاريخ الحديث، ليس فقط بسبب اندلاع الحرب العالمية الثانية التي غيرت مجرى الأحداث في أوروبا والعالم، بل أيضاً لأنها ألقت بظلالها على مناطق بعيدة عن ساحة الصراع المباشر، مثل فلسطين. فبينما كانت القوى الأوروبية الكبرى مثل ألمانيا النازية وبريطانيا تغرقان في حرب طاحنة من أجل الهيمنة العالمية، كانت فلسطين تعيش في قلب صراع مستمر بين العرب واليهود في ظل الانتداب البريطاني.

كان للتداعيات الاقتصادية والسياسية لهذه الأزمة تأثير بالغ على الداخل الفلسطيني، حيث ازدادت التوترات بين الفلسطينيين واليهود مع تصاعد الهجرة اليهودية إلى فلسطين في خضم الصراع الأوروبي، في هذا السياق، يمكن ملاحظة كيف أن سياسة التهجير القسري التي تبنتها ألمانيا النازية بحق اليهود، والتي تمثلت في إجبارهم على مغادرة الأراضي التي احتلتها، قد ساهمت بشكل غير مباشر في تعزيز المشروع الصهيوني في فلسطين.

لم يكن من الممكن الفصل بين الأحداث الكبرى وبين مواقف بريطانيا التي كانت تدير شؤون فلسطين تحت الانتداب. فقد كانت بريطانيا بين المطرقة والسندان، من جهة كان عليها التصرف بحذر في تعاملها مع العرب في فلسطين الذي كانوا قد خاضوا ثورة ضد الاستعمار البريطاني منذ عام 1936، ومن جهة أخرى، كانت بريطانيا تحت ضغط متزايد من الحركة الصهيونية التي سعت لتعزيز وجود اليهود في فلسطين، هذا التوتر كان يزداد مع مرور الوقت، في ظل تزايد أعداد اللاجئين اليهود الذين فروا من نير الاضطهاد في أوروبا، مما زاد من تعقيد الوضع الداخلي الفلسطيني.

من ناحية أخرى تبرز دول المحور، وفي مقدمتها ألمانيا النازية، كعوامل مهمة في تأجيج الأزمة، كانت ألمانيا تسعى إلى حل المسألة اليهودية، من خلال التهجير القسري أو القضاء على الوجود اليهودي في المناطق التي كانت تسيطر عليها. هذا التوجه النازي دفع العديد من اليهود إلى البحث عن ملاذات آمنة، وكان لفلسطين نصيب كبير من هؤلاء اللاجئين مما أضاف إلى مشاعر القلق والمقاومة لدى الفلسطينيين الذين عدّوا ذلك تهديداً مباشراً لمستقبلهم على أرضهم.

وبينما كانت الحرب العالمية الثانية تشتعل، كانت فلسطين نقطة التقاء لمصالح متعددة و متضاربة، تداخلت فيها الأبعاد المحلية والإقليمية والدولية. أدى تصاعد الهجرة اليهودية إلى فلسطين في ظل الأزمة الأوروبية إلى تفاقم الصراع العربي_ اليهودي، وتوسيع دائرة المواجهات السياسية والعسكرية في المنطقة. في هذه المرحلة كان للمواقف البريطانية والإجراءات النازية تأثيرات عميقة على مصير فلسطين، وبدأت ملامح الواقع السياسي الجديد تظهر بوضوح مع نهاية الحرب العالمية الثانية.

أهمية البحث:

يُعد هذا البحث من الأبحاث المهمة التي تعطي صورة واضحة حول تأثير الأزمة الأوروبية عام 1939 على فلسطين في سياق الحرب العالمية الثاني، وربط الأحداث المحلية بالديناميكيات الدولية، ويوضح كيف ساهمت ألمانيا النازية في التهجير القسري لليهود في زيادة الهجرة إلى فلسطين وتصعيد الصراع العربي_ اليهودي، وفي الوقت نفسه كيف واجهت بريطانيا ضغوطاً متناقضة بين العرب والصهاينة.

كما يبرز البحث دور القيادة الفلسطينية مثل الحسيني في محاولة الحصول على دعم ألماني لمواجهة النفوذ البريطاني والصهيوني، ويوفر إطاراً أكاديمياً لربط الصراع الفلسطيني بالقوى العالمية الكبرى، ويضف البحث قيمة في فهم الأبعاد الإنسانية والسياسية للأزمات العالمية وتأثيرها على المجتمعات المحلية.

يعود سبب اختيار هذا الموضوع لمدى أهمية الربط بين المحلي والعالمي، إذ يعكس الموضوع العلاقة بين الأحداث الأوروبية الكبرى، مثل الأزمة الأوروبية عام 1939 والحرب العالمية الثانية، وتأثيرها المباشر على فلسطين وهو جانب غالباً ما يهمل في الدراسات التاريخية.

فيضيف البحث بُعداً جديداً يربط بين السياسة الدولية والواقع الفلسطيني، مما يجعله مرجعاً مهماً للباحثين والطلاب في دراسة تاريخ فلسطين ضمن سياق عالمي.

أهداف البحث:

ويمكن تلخيص أهداف البحث بما يلي:

1- فهم تأثير الأزمة الأوروبية على فلسطين.

2- دراسة دور ألمانيا النازية في التهجير القسري لليهود وتأثيره على الداخل الفلسطيني.

3- تحليل مواقف بريطانيا في التعامل مع الهجرة اليهودية والصراع العربي_ اليهودي.

4- تسليط الضوء على جهود القيادة الفلسطينية مثل الحسيني في الحصول على دعم ألماني.

إشكالية البحث:

1- كيف أثرت الأزمة الأوروبية عام 1939 والحرب العالمية الثانية على الداخل الفلسطيني؟

2- ما دور سياسات ألمانيا النازية وبريطانيا والتهجير القسري لليهود في تصعيد الصراع العربي_ اليهودي ؟ وإلى أي مدى حاول الفلسطينيون استغلال هذه الأزمة لتعزيز موقفهم السياسي؟

منهجية البحث: اعتُمد في هذا البحث على منهج البحث التاريخي القائم على دراسة المراجع والمصادر وجمع المعلومات من ثم تنسيقها واستخدامها في هذه الدراسة.

الدراسات السابقة:

1. كتاب السياسة الألمانية تجاه القضية الفلسطينية وتطورها 1949-2008: عبير الشيخ حيدر إذ يُعد هذا الكتاب من أهم الكتب المستخدمة في هذا البحث بكونه يجمع بفصوله الأربعة تفاصيلَ مهمة عن ألمانيا وعلاقتها بفلسطين، كدور الإرساليات التبشيرية الألمانية في فلسطين، وصولاً لعلاقة كل من ألمانيا الغربية والشرقية بالكيان الصهيوني وصولاً للوحدة الألمانية وثبات الموقف الألماني واتضاحه بشكل أكبر فيما يخص النضال الفلسطيني والحركة الصهيونية.

2. DOCUMENTS ON GERMAN FOREIG POLICY 1918-1945: وثائق وزارة الخارجية الألمانية 1918-1945، ترجمة إلى اللغة الإنكليزية بواسطة حكومة الولايات الأمريكية ، واشنطن العاصمة، 1954. يحتوي هذا الكتاب على العديد من المجلدات التي نشرتها وزارة الخارجية الألمانية فيما يخص سياستها تجاه الشرق الأوسط، ومن ضمنها سلسلة تحتوي على وثائق تتعلق بالمسألة الفلسطينية (1937-1945)، خاصة الفترة التي افتتحت فيها الحرب العالمية الثانية واستقبال هتلر لأمين الحسيني عام 1941، وكان الوثيقة رقم 515 من أهم الوثائق المستخدمة لاحتوائها على محضر اجتماع أمين الحسيني مع هتلر بتاريخ 28 /11/ 1941.

3. العلاقات الألمانية الفلسطينية 1841–1945 لعلي محافظة يُقدم هذا الكتاب صورة واضحة للعلاقات الألمانية الفلسطينية فقد تدرجت فصوله الخمس بدايةُ باهتمام الألمان بدراسة أحوال فلسطين في القرن التاسع عشر من ثم المستعمرات الألمانية 1868–1918 والجزء الأهم من هذا الكتاب هو الفصل الثالث الذي يتحدث عن ألمانيا العنصرية والحركة الصهيونية محور هذا البحث الذي بين أيدينا وكذلك الأمر الفصلين الرابع والخامس يعتبران تتمة وتوضيح حول العلاقات الألمانية الفلسطينية في فترة ما بين الحربين العالميتين.
4. كتاب مُترجم للكاتب البولندي لوكاز هيروزيز بعنوان **ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي:** ترجمة أحمد عبد الرحيم مصطفى وتقديم عبد الخالق محمد لاشين، يُعد هذا الكتاب من الكتب الهامة أيضاً، يتناول بالدراسة الفترة التي خضعت فيه ألمانيا للحكم النازي بقيادة هتلر وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية عام 1945 وسقوط هتلر والنازية، وعلاقتها بالدول العربية ومن ضمنها فلسطين إذ شملت بعض فصوله الأربع عشر، معلومات عن مصالح ألمانيا في فلسطين عن ألمانيا النازية وموقفها من تقرير لجنة بيل، عن المفتي الحسيني في العراق وعلاقته بأجهزة الحكم النازي.
5. كتاب مُترجم للكاتب رولف شتاينغر ترجمة د. لورنس الحناوي ومراجعة د. رضوان السيد بعنوان **ألمانيا والشرق الأوسط منذ زيارة القيصر فيلهلم الثاني إلى المشرق في العام 1898 حتى الوقت:** يتشابه هذا الكتاب بمضمونه مع الكتاب السابق إلا أن أكثر شمولياً ويغطي فترة زمنية كبير جداً، يتناول في فصوله السبعة معلومات تُفيد البحث الذي نحن بصدد الكتابة عنه إذ يتحدث عن ألمانيا وعلاقتها بالمشرق العربي قبل الحرب العالمية الأولى وصولاً لجمهورية الفايمار والرايخ الثالث من ثم خلال الحرب العالمية الثانية وبداية العلاقات الديبلوماسية بين الكيان الصهيوني وألمانيا الغربية في العام 1965 وصولاً لحرب الأيام الستة.

الإطار النظري:

الأزمة الأوروبية عام 1939 وتأثيرها على الداخل الفلسطيني:

بدايةً كيف كان وضع ألمانيا في هذه الفترة ووضع بريطانيا أيضاً وما تأثير ذلك على الوضع الداخلي في فلسطين ؟

تحددت علاقة ألمانيا بالمسألة الفلسطينية بين عامي 1936–1939 بعدة اعتبارات الناحية الأولى اعتبارات ترتبط بالعلاقات الألمانية–البريطانية الناحية الثانية اللاسامية_ وأيضاً كانت الشؤون العربية ذات أهمية ثانوية بالنسبة للنازيين على الرغم من رغبتهم بدعمها بطريقة سرية مطلقة.

فبدايةً سيتم الحديث عن تأزم الوضع في أوروبا ومحاولة بريطانيا تجنب قيام الحرب واثر هذه السياسة على فلسطين ، من ثم استئثار ألمانيا واشعالها للحرب وسياستها تجاه اليهود في هذه الفترة وظهور مصطلح الهولوكوست الذي كان إحدى الركائز التي استغلتها الصهيونية.

أولاً: بريطانيا وألمانيا وتأثير الأزمة الأوروبية على الداخل الفلسطيني:

1_ بريطانيا:

ترك ماكدونالد حكومة بريطانيا عام 1935 وجاء بعده بلدوين الذي توقع أنه من الممكن الوصول لاتفاق مع هتلر وزادت هذه الفكرة أكثر بعد وصول زعيم حزب المحافظين نيفيل تشمبرلن[1] لكرسي رئاسة الوزراء البريطانية في الشهر الخامس عام 1937 معه، لكن التناقضات بينهما كانت كبيرة جداً [2].

إذ أكد هتلر لبريطانيا أن الخلاف الوحيد بين لندن والنظام النازي يتعلق بمسألة المستعمرات الألمانية السابقة وعند سؤاله عن مقابل لهذه المستعمرات تحدث قائلاً بأن ألمانيا لا ترغب بالحصول على

[1]– نيفل تشمبرلين(1869–1940): سياسي ورجل دولة بريطاني دخل البرلمان عام 1918 وبعد خمسة أعوام أصبح وزيراً للمالية، ثم وزيراً للصحة فوزيراً للمالية حتى تولى رئاسة الوزارة عام 1937، واستقال في الشهر الخامس عام 1940 على اثر الهزائم التي منيت بالحلفاء في مطلع الحرب العالمية الثانية، الكيالي. عبد الوهاب: الموسوعة السياسية الكيالي. عبد الوهاب وآخرون_ الموسوعة السياسية. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت–لبنان، ط1،ج1، 1979 ، ص743.

[2]– كاظم. قحطان حميد و عبد. أحمد محمد جاسم_ الوجيز في تاريخ أوروبا في القرن العشرين. المطبعة المركزية، جامعة ديالى، 2015 ، ص 86.

مستعمرات في الصحراء الكبرى أو على سواحل البحر الأبيض المتوسط[1]، إذ أن الأخيرة لم تتدخل بشؤون الإمبراطورية البريطانية وأن هتلر كان على استعداد لعقد صلح مع بريطانيا بشرط إطلاق يده في أوروبا مقابل أن لا تتعرض ألمانيا بأي شكل لمناطق النفوذ البريطانية[2].

2_ألمانيا والحرب العالمية الثانية:

جمع هتلر السلطة بيده بعد وفاة الرئيس الألماني هندبنرغ وقد كان عام 1934 النقلة الأكبر في حياته فحكم ألمانيا جميعها وأطلق على نفسه لقب زعيم ألمانيا ومستشارها، وبدأ بوضع طموحاته في إعادة إحياء المملكة الألمانية من جديد ، وخلال سنوات قليلة نجح في تخليص ألمانيا من أزمتها الاقتصادية وتحويلها لدولة صناعية قوية والبدء بخطته التي كانت تهدف للسيطرة على العالم وتسمية هذه الخطة بالنظام الجديد وبدأ حروبه الخارجية بإرسال قوات إلى منطقة الراين وضم النمسا لألمانيا عام 1938 ثم طالب بضم إقليم السوديت التابع لتشيكوسلوفاكيا بحجه أنه تقطنه أغلبية ألمانية .

حاولت ألمانيا أن تتعامل مع القضية النمساوية فيما يخص السوديت بنوع من الحكمة دون اللجوء للقوة بحيث عهدت بتنفيذ المشروع إلى زعيم حزب ألمان السوديت ذو التوجه النازي، إلا أن سوء المعاملة التي تعرض لها أحد نواب الحزب آنف الذكر من قبل أحد أعوان الشرطة التشيكية أثناء المظاهرات التي نظمها أنصار الحزب في هذه المدينة ، أدى لردة فعل ألمانية ضد سياسة الحكومة التشيكوسلوفاكيا، وكانت الحجة لدخول هذا الإقليم ذو الأكثرية الألمانية.

حاولت الحكومة التشيكية القيام بالعديد من الأمور من أجل تهدئة الوضع والتقرب من ألمانيا الهتلرية، إلا أن الفهرر رد على هذه المبادرات بأن بلاده تقترح دمج عشرة ملايين ألماني يقيمون

[1] – هيرزويز. لوكاز_ ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي. تر مصطفى أحمد عبد الرحيم، تقديم عبد الخالق محمد لاشين، المركز القومي للترجمة، 2015 ، ص 57–58.

[2] – حيدر. عبير الشيخ_ السياسة الألمانية تجاه القضية الفلسطينية وتطورها 1949–2008. الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ، ص54.

خارج ألمانيا إلى أحضان الرايخ الثالث، هذا ما دفع قائد أركان الجيش التشيكي للتأهب تحسباً لأي طارئ، وجمعت ألمانيا قواتها على الحدود التشيكية وبدأت على اثر ذلك التدخلات البريطانية الفرنسية كمحاولة لتفادي قيام الحرب، إذ استفسرت بريطانيا من ألمانيا عن هذا الحشد وجاء الرد الألماني مطمئناً للإنكليز، إلا أن مقتل ألمانيين اثنين على الحدود التشيكية ، جعل ألمانيا تخرج وتؤكد على عزمها الثأر لمقتل مواطنيها، حاولت بريطانيا ثنيها ، بقولها أن استمرار الحشد الألماني على هذه الحدود من شأنه أن يدفع فرنسا للقيام بالتعبئة وعندها لا يمكن لبريطانيا البقاء خارج الصراع[1].

عملت بريطانيا على ترضية هتلر ودعت لعقد اجتماع جمع بين رئيس وزرائها تشمبرلن ورئيس الوزراء الفرنسي ادوارد داليبيه والزعيم الإيطالي موسوليني[2] وهتلر ووقعوا على **معاهدة ميونيخ الدولية**[3] وحصل هتلر على أرض السوديتين وتصلب في رأيه وأراد ضم تشكوسلوفاكيا فانهارت المفاوضات[4] وسرعان ما أخذ تشيكوسلوفاكيا[5]، بحيث وافقت بريطانيا على احتلال ألمانيا للنمسا

---

[1] – كاتب غير محدد_ الأزمات الأوروبية الحادة مابين 1936 و1939 من خلال الوثائق الدبلوماسية الأوروبية. وقفية الأمير غازي للفكر القرآني، 2004–2005، ص96.

[2] – ولد بنيتو موسوليني في 29 /7 عام 1883 في برايدابيو في إقليم روماني وهي منطقة عرفت بالثورات والتمردات منذ القدم ، كان أبوه حداداً معدماً ، وكانت أمه معلمة، واشتغل هو نفسه بالتدريس ثم كره هذه المهنة وعمل بالبناء في سويسرا، وكان دائم المشاكل ، طُرد عدة مرات من عمله وحكم عليه بالسجن عدة مرات، ثم سافر لباريس وطُرد منها بتهمة التشرد، ثم انخرط في الجيش واشتغل بالصحافة وعارض دخول إيطاليا الحرب ضد تركيا 1911وحرض العمال على تخريب السكك الحديدية لمنع ارسال الجنود والمؤن على ساحات القتال ، ثم عمل محرراً في صحيفة اشتراكية ولكنه عارض الاشتراكيين المنادين بعد دخول إيطاليا الحرب وطالب بدخولها الحرب وبدأن نجمه يبزع بعد الحرب العالمية الأولى. نوار. عبد العزيز سليمان و نعنعي. عبد المجيد _ التاريخ المعاصر أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية. دار النهضة العربية، بيروت–لبنان، 2012، ص 534.

[3] – Yahya .faris_ Zionist relations with nazi Germany. Palestine research center ,Beirut– Lebanon, 1978, p27.

[4] – النائب.إحسان عبد الهادي سلمان_ المسألة الألمانية من وحدتها إلى إعادة توحيدها. أكاديمية التوعية وتأهيل الكوادر(الاتحاد الوطني الكردستاني)، السليمانية العراق، 2013 ،ص146.

[5] – سنيدر. لويس_ أدولف هتلر . ترجمة وتعريب طارق السيد خاطر، www.kotobarabia.com.

وتشكوسلوفاكيا وكان لهذه السياسة دوراً كبيراً في إهمال تسليح الجيش البريطاني والاطمئنان البريطاني بأن سياستهم المتبعة ناجحة، إلا أن الخطر الألماني أعاد وأثار مخاوفهم فاتبعت بريطانيا سياستين في تلك الفترة الوقوف بجانب فرنسا والاتحاد السوفييتي لعقد حلف تعاون في حال أي اعتداء بالإضافة لسياسة ثانية سرية مع هتلر تقوم على دفعه نحو الشرق وإيجاد صيغة للتفاهم معه، لكن بريطانيا وفرنسا وجدتا أنه لا يمكن الثقة بوعوده وأن أطماعه تتجه لبولندا[1].

3_ تأثير هذه الاحداث على الداخل الفلسطيني:

رأي هتلر أن بريطانيا العدو الأول لألمانيا منذ ظهورها كقوة عام 1871، حيث تحدث قائلاً في خطاب له عام 1939 في مدينة فيلهلمسهافن الألمانية " أن بريطانيا قابلت صعود ألمانيا وظهورها كقوة بكراهية وحسد، وأن الوثائق التاريخية أكدت على أنها عملت بسياسة كان الهدف منها تطويق ألمانيا بشكل محكم، وإسقاطها عسكرياً، مما يضمن لكل مواطن بريطاني حياة أفضل، وأن الخطأ الوحيد الذي نلوم عليه النظام الألماني آنذاك إدراكه لهذه الخطة الشيطانية، ولم يكن لديه القدرة على اتخاذ القرارات المناسبة لدرئها في الوقت المناسب، إذ ترك هذا التطويق ينضج حتى بداية الكارثة أي الحرب العالمية الأولى"[2].

ومن الطبيعي أن هذه الصورة التي خرج بها هتلر سوف تشكل تهديد كبير لبريطانيا خاصةً أن الأخيرة حاولت مراراً وتكراراً تجنب قيام الحرب وذهب وزير خارجيتها ثلاث مرات لألمانيا لتهدئة الوضع والخروج بحل يرضي ألمانيا خاصةً أن بريطانيا أصبحت تنظر لهتلر نظرة مختلفة هذا الشخص الذي جعل من ألمانيا قوة عظمى، وبالتالي لم يكن بصالحها الدخول معه بحرب وأوضاع مستعمراتها كذلك الأمر تعاني من الاضطرابات، فأثارت هذه الأحداث مخاوف بريطانيا سواء على

[1] – النائب.إحسان عبد الهادي سلمان_ المسألة الألمانية من وحدتها إلى إعادة توحيدها. ص146.

[2] – عبد القادر. أحمد عبد القادر محمد_ سلاح الإرهاب النفسي عند هتلر وأثره على موقف بريطانيا إزاء الأزمة التشيكوسلوفاكية (1938–1939).مجلة الدراسات التاريخية والحضارية المصرية، العدد التاسع، 2020، ص324–325.

مصالحها في الشرق العربي أو حتى على إمبراطوريتها الواسعة ككل، خاصة أن صراع مسلح على وشك أن يقوم بينها وبين ألمانيا[1].

بحيث بدأت بريطانيا بعد التوتر الكبير في أوروبا ومؤتمر ميونيخ بمراجعة سياستها في مستعمراتها[2] وحاولت حل المشكلة الفلسطينية وكما ذُكر سابقاً دعت مندوبين عن العرب والصهيونيين لمؤتمر لندن 1939 [3] لعلها تخرج بوفاق بين الصهاينة والعرب ولكن هذا ما لم يتحقق[4]، واستمرت الخلافات و آثرت بريطانيا تهدئة العرب على الصهاينة ، فأصدرت الكتاب الأبيض لعام [5] 1939 ، وذلك كمحاولة منها لإبعاد ألمانيا عن ساحة فلسطين خاصةً وأن الزعماء الفلسطينيين كانوا دائمي الاتصال بها في هذه الفترة الحساسة، ولأنها تعرف نظرة الصهاينة وموقفهم حيال النزاع الدولي المقبل نظراً لسياسة ألمانيا اللاسامية[6]، فوقف بعض عرب فلسطين إلى جانبها على أمل أن تقدر لهم موقفهم وتبر بوعدها وتطوع من شبانهم الكثير في وحدات التطوع البريطاني[7]]وساهموا معها فعلا في الحرب، ووقف اليهود لجانبها أيضاً على الرغم من المناوشات

[1] – عبد الغني. عبد الرحمن_ ألمانيا النازية وفلسطين 1933–1945 . مؤسسة الدراسات الفلسطينية، فلسطين، د. ت. ن، ، ص 226.

[2] – عبد الغني. عبد الرحمن_ ألمانيا النازية وفلسطين 1933–1945 . ص 6.

[3] – خضر. بشارة_ أوروبا وفلسطين من الحروب الصليبية حتى اليوم. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2003 ص206.

[4] – عبد الهادي. عوني_ مذكرات عوني عبد الهادي. تقديم وتحقيق خيرية قاسمية ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2002 ، ص237.

[5] – الجبوري. صالح صائب_ألمانيا 1789–1871، دراسة في دور بروسيا في توحيد ألمانيا. أطروحة دكتوراه، جامعة المستنصرية، كلية التربية– العلوم الإنسانية، قسم التاريخ،2004، ص 113.

[6] – مقدادي. اسلام جودت يونس_ العلاقات الصهيونية _ البريطانية في فلسطين 1936–1948 . رسالة ماجستير، كلية الآداب–قسم التاريخ والآثار، غزة–فلسطين، 2009، ص 78.

[7]–العيد. يوسف _ هؤلاء أضاعوا فلسطين نبذة عن تاريخها السياسي المعارك الحربية التخاذل التقاعس والخيانات العربية . حقوق الطبعة محفوظة للمؤلف، ص17.

بسبب الكتاب الأبيض، وحصلت صدامات بين الصهاينة والبوليس البريطاني 1939، ودخلت أمريكا الحرب فيما بعد وتوجهت انظار الصهيونية لها[1] .

ثانياً: هتلر وسياسة التهجير القسري (الهولوكوست وتبعاته على فلسطين):

واستكمالاً لأحداث الحرب العالمية الثانية وسياسة هتلر الثنائية التي تقوم على متابعة سياسته التوسعية الخارجية والتخلص من اليهود (الحجة التي ارتكز عليها الصهاينة في إقامة وطنهم):_وقبل البدء يمكن ملاحظة شيئ هام هنا أن أحداث الحرب العالمية الثانية وسياسة هتلر الثنائية كما ذكرنا تجعل وضع فلسطين تحديداً سيئٌ جداً فمن جهة بريطانيا وألمانيا التناقضات والحرب التي جعلت منهم عدوين في الوقت الذي يسعى عرب فلسطين للاستناد بألمانيا، وتقوم ألمانيا بدورها باضطهاد اليهود وإعطائهم الحجة لتحقيق هدفهم وكسب عطف العالم أجمع، فمَن الجاني في هذه المرحلة هل بريطانيا وسياستها أم ألمانيا وسياستها؟ وكيف يمكن لهذه السياسة أن تكون سيفاً ذو حدين الأول معاداة ألمانيا لليهود واتفاقها مع العرب بذلك، ومن جهة أخرى إعطاء الصهيونية حجتها الكبرى لاستعطاف العالم والتسريع بالاعتراف بحقيقة وجودهم ؟.

غزا هتلر تشيكوسلوفاكيا مشكلاً بذلك محوراً مع اليابان وإيطاليا في مقابل التحالف الفرنسي البريطاني الأمريكي السوفييتي وثم مع غزو هتلر لبولندا عام 1939 بدأت حرب عالمية ثانية استولى بعدها هتلر على النرويج والدانمارك من ثم الانتقال السريع للأراضي المنخفضة وفرنسا[2].

[1] – مصطفى. أحمد عبد الرحيم_ بريطانيا وفلسطين 1945–1949 دراسة وثائقية. دار الشروق، القاهرة، ط1، 1986، ص 7–9.

[2] – تايلور. أ. ج. ب_ أصول الحرب العالمية الأولى. تر مصطفى كمال خميس ، مراجعة محمد أنيس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ، مصر، 1990، ص281.

عجزت دول الحلفاء عن مواجهته ومن ثم نجحت القوات الألمانية في التوغل لمسافات بعيدة داخل الاتحاد السوفييتي، سقطت مناطق كبيرة من الاتحاد السوفييتي بقبضة الألمان[1] وعلى الرغم من هذا التقدم السريع للقوات الألمانية إلا أنه ما لبث أن توقف بعد عدة أشهر بسبب العوامل الجوية وقدوم فصل الشتاء والذي لم يكن بحسبان هتلر وقد ذهب ضحية هذه العوامل الجوية ما يقارب المليون جندي الماني[2]]وتمكن السوفيات من سحق الجيش الألماني في معركة ستالينجراد الدموية الشهيرة التي استمرت عدة شهور[3]]من ثم تلتها هزيمة أخرى في معركة العلمين بمصر في النصف الثاني من عام 1942 أمام الحلفاء وأخذ الجيش الألماني بالانكسار حتى تراجع لألمانيا.

1_هتلر وسياسة التهجير القسري:

شكلت توجهات هتلر الفكرية فيما يخص اليهود مساره السياسي، اذ استمرت سياسته تجاه اليهود بخطى متوازية مع عملياته الحربية [4] ،و اتبع خطوة تمثلت بملاحقة اليهود في كافة أنحاء العالم[5] ومحاولة تجميعهم في مكان واحد في أقاصي بولونيا أي في مؤخرة البلاد، ثم عاد مجدداً وأحس أنه ليس الحل المثالي للتخلص من اليهود خاصة في حال نشوب حرب داخلية، ويجب إبعادهم عن الألمانيين وعن أعمالهم وحياتهم اذ قال "لا يصلح أن يعمل اليهود الا في مؤسسات منفصلة عن الالمان والا فإنهم سيسممون النفسية الألمانية.

---

[1] – صبح. علي_ الصراع الدولي في نصف قرن 1945–1995. دار المنهل اللبناني، بيروت–لبنان،ط2، 2006، ص 12.

[2] – الصمد. رياض _العلاقات الدولية في القرن العشرين. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، 1986، ص 35–45.

[3] – تشويكوف.. فاسيلي ايفانوفيتش_ ستالينغراد ملحمة العصر. تر محمد عدنان مراد، مراجعة وتدقيق ماجد علاء الدين ، د.م. ن،(جميع الحقوق محفوظة للناشر)، ط1، 1986، ص7 .

[4] – حشيشو. نهاد_ ألمانيا والعرب دراسة في العلاقات الألمانية العربية. دار نلسن، بيروت، ط1، 2016.، ص107.

[5] – الشمري. نهاد حسن حجي: الهولوكوست اليهودي عبر التاريخ دراسة سامية مقارنة، مجلة جامعة دهوك ،العراق، مج 24، عدد1، ص 279.

وأثناء عملياته الحربية كان يتم طرد اليهود من مختلف المناطق التي يسير بها وتجميعهم في تلك النقطة، فقد عانى اليهود من الطرد وكانوا يهربون عراة وحفاة ويتعرضون لخطر بنادق الألمان أثناء عبورهم الخط الفاصل بين البلدين (ألمانيا–بولونيا)، بدأ التراخي في مسألة جمع اليهود في هذه النقطة لأنه أدرك أيضاً أن مسؤولية معيشتهم ستقع على عاتقه في الدولة البولندية التي ينوي إقامتها باعتقاده أن ذلك يتوجب عليه احتراماً للرأي العام الأمريكي على الأقل[1].

ومن هنا يجب الإحاطة بأنهم وصلوا لمرحلة الملل من هذه القضية، وآثروا فكرة نقلهم خارج حدود ألمانيا، الشيئ الذي ساعد الصهاينة في مكان ما بما يخص مشروعهم القادم، فجمع هذا العدد الكبير من اليهود في نقطة واحدة سيسهل عملية نقلهم فيما بعد لفلسطين أو مبدأياً لمستعمرة فرنسية أو أمريكية من ثم لفلسطين.

جعل هتلر مسألة تهجير اليهود هدفاً أساسياً لسياسته، لذلك عمد منذ عام 1939 على وضع الدول الغربية بشكل عام أمام خيارين هما قيام إحدى هذه الدول باستقبال يهود أوروبا جمعهم ووضعهم في نقطة واحدة على أن يتكفل هو بكل ما يخصهم، المهم بالنسبة له كان ابعادهم عن المانيا ، وان مقصد هتلر هو تدويل قضية اليهود وإبراز مسعاه بأنه على استعداد لتحويل جميع مستحقاتهم للدولة التي ترغب باستقبالهم ومن الممكن أن يكون مخططه يسير بخطوات تدريجية تمثلت الأولى بتدويل القضية ومحاولة إبراز مساعيه من ثم إذا لم ينجح ذلك يسعى لإبادتهم كحل منه لقضيتهم وعدم مساعدته من إحدى الدول وأنه بذل قصارى جهده ولكن دون جدوى معهم، فلا لوم عليه بما يتصرف بعد ذلك، فقد كان مصراً على تسهيل سفرهم لمستعمرة خارج أوروبا وعدم التفكير بمصيرهم الذي يؤدي لقتلهم جميعاً[2]، ولكن كُشفت هذه الأمور فيما بعد ما اضطر هتلر لتوقيفها بأمر منه في آب عام 1941، وقد كان هتلر يصف ما قام به هو تخليص ألمانيا من مخلوقات دنيا.

1– [1] – بوران. فيليب_ هتلر واليهود. مكتبة علاء الدين الالكترونية manuscrits.com، 2009، ص 61–75.

[2] – بوران. فيليب_ هتلر واليهود. ص 56–60.

2_الهولوكوست[1]:

بداية يجب الإشارة إلى أن الهولوكوست هذا المصطلح الذي أصبح متداولاً ولاشك أن اللوبي الصهيوني كان السبب والمسبب به وذلك لجعله شماعة يعلق عليها جميع ما ينوي القيام به.

تحركت الصهيونية بعد اكتشافها لما ذُكر سالفاً وأخذت توجه جميع ما حدث لصالحها وتتحدث عن الإبادة وغرف الغاز وذلك لتحقيق هدف واحد هو توجيه اليهود لفلسطين وكسب عطف العالم[2].

ويمكن أن يُطرح سؤال هنا لماذا لم يقم السوفييت بتسمية ما حصل مع جنودهم في معسكرات هتلر بإحدى التسميات لإدانة ما قام به هتلر والمتاجرة بذلك فقد أبيد ما يقارب الثلاثة ملايين جندي سوفيتي أسير في معسكرات هتلر؟

يمكن الإجابة عن هذا السؤال بأن الهولوكوست تُعتبر إحدى ركائز الصهيونية التي أقامت عليها أكاذيبها المتتالية وبالتالي فإن المتاجرة بهذا الموضوع والحديث عنه كان لغاية ولسبب معروف.

ففي عام 1938 قُتل الملحق العسكري الألماني في باريس على يد فتى يهودي وكان الرد قاس فقد قامت فرق الجستابو بحملة شملت كل أنحاء ألمانيا وقامت بتكسير زجاج واجهات المتاجر والحوانيت والمنازل وسميت بليلة الكريستال، ولكن أخطر ما وصلت غليه النازية كان مشروع الحل النهائي

[1] – كلمة الهولوكوست ذات أصول يونانية قديمة جاءت بمعنى الحرق الكامل للقرابين المقدمة لخالق الكون، واستعملت لوصف الإبادة الجماعية التي تعرض لها اليهود على يد ألمانيا النازية. الشمري. نهاد حسن حجي_ الهولوكوست اليهودي عبر التاريخ دراسة سامية مقارنة . ص 271.

[2] – جريوعة. محمد_ تبرئة هتلر من تهمة الهولوكوست. د.ت. ن، د. م .ن، ص 11.

سنة 1941 في مدينة فانزة[1] الذي يقضي بتصفية كل اليهود جسدياً في ألمانيا ومختلف أنحاء أوروبا بحيث تم نقل اليهود بقطارات إلى معسكرات التجمع وتم قتلهم خنقاً بغرف الغاز السامة[2].

لم يكن هتلر سوى ورقة لإخراج مصطلح الهولوكوست إلى الواقع، وقد أدرك الصهاينة بأن اليهود لا يتحركون إلا تحت السوط كما حدث عام 1881-1882، عندما هربوا من مذابح القيصر وكان لابد من إيجاد سبب وحل لترحيل هؤلاء اليهود لفلسطين فقد كان اليهود قرباناً قدمته الصهيونية لتحقيق مشروع دولتهم المزعومة[3].

ثالثاً: تطور العلاقات بين زعماء الحركة الوطنية والنازيين والتنافس الألماني البريطاني لاستمالة القيادات العربية:

بدأ التنافس الألماني البريطاني على استمالة القيادات العربية منذ بدء هتلر بتحركاته في أوروبا[4] فقد خشيت بريطانيا على مستعمراتها في الشرق الأوسط وسعت لاستمالة أعضاء الحركة الوطنية الفلسطينية وإقناع العرب الفلسطينيين بعد إصدارها للكتاب الأبيض[5] بأنها تسعى لكسب ودهم وإعطائهم الاستقلال في محاولة منها لمنعهم من الانقلاب للمعسكر الألماني-الإيطالي الذي ما فتئ هو الآخر بالقيام بعدة أمور لاستمالة القيادات أيضاً.

فإذاعة إيطاليا تحدثت عن خيانة إنكلترا وخداعها للعرب وحثهم في المقابل للإنضمام لمعسكرها، والقادة الألمان بدورهم لم يوفروا فرصة في خطاباتهم إلا وتحدثوا عن رغبتهم في حصول الدول

[1] – ليلة الزجاج المكسور موسوعة الهولوكوست_ encyclopedia.ushmm.org، آخر تحديث 5/5/ 2022.

[2] – ديديش. أسماء_ الدكتاتوريات العسكرية في أوروبا(النازية في ألمانيا أنموذجاً 1918-1945. رسالة ماجستير، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، شعبة التاريخ، تخصص تاريخ معاصر،2015-2016،ص 40ص41.

[3] – جربوعة. محمد_ تبرئة هتلر من تهمة الهولوكوست . ص15-17.

[4] – كاظم. قحطان حميد و آخر_ الوجيز في تاريخ أوروبا في القرن العشرين ،.ص106_107.

[5] –مقدادي. اسلام جودت يونس_ العلاقات الصهيونية _ البريطانية في فلسطين 1948-1936 . ص68.

العربية على استقلالها وتخلصهم من نير الاستعمار الفرنسي والبريطاني ، وبالأخص فلسطين التي تعاني من خطرين بريطاني ويهودي[1].

استطاعت بريطانيا إقناع بعض هؤلاء القياديين إلا أن رفضها طلبات المفتي فيما يخص رفاقه ورفضهم تزعمه للوفد الذي سيحضر مؤتمر لندن، جعله يتأكد تماماً من أن نية بريطانيا في إعطاء العرب استقلالهم مجرد وهم وأن تصرفها هذا محاولةً منها لتقويض مركزه[2]، فذهب لبغداد [3]وأصبحت مركزاً له في نضاله ضد بريطانيا والصهيونية[4]، وعند وصوله إلى هناك وجد أن تأثير الأزمة الأوروبية على الداخل العراقي لم تكن بأقل تأثير مما كانت عليه في فلسطين، وأن بريطانيا وألمانيا كانتا تعملان أيضاً لاستمالة القيادات العربية في إطار التنافس بينهما ، وأصبح العراق مسرحاً لحرب دبلوماسية بين أطراف الصراع.

ومرت العلاقات الألمانية–الفلسطينية في هذه الفترة بنوع من الفتور بسبب تداعيات إصدار الكتاب الأبيض وتواجد أغلب قادة الحركة الفلسطينية خارج فلسطين[5]، وكذلك الامر قطع العراق _التي أصبحت مركز المفتي _ لعلاقتها بدول المحور في فترة حكومة نوري السعيد الثانية بين 1939 و1940 [6].

[1] – خضر. بشارة_ أوروبا وفلسطين من الحروب الصليبية حتى اليوم. ص 211.

[2] – عبد الغني. عبد الرحمن– ألمانيا النازية وفلسطين 1933–1945 .ص 231.

[3] –الأدهمي. محمد مظفر_ الابعاد القومية لثورة مايس 1941 في العراق. منشورات دار الجاحظ ، بغداد، 1980، ص12.

[4] – العمر. عبد الكريم _مذكرات الحاج محمد أمين الحسيني. الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا–دمشق، ط1، 1999، ص18.

[5] – الكيالي. عبد الوهاب_ تاريخ فلسطين الحديث . ص303.

[6] – عبد الغني. عبد الرحمن_ ألمانيا النازية وفلسطين. ص232.

فقد وُجد في العراق عدة تيارات سياسية وكل تيار يسعى لتنفيذ ما يرغب به[1]، فهناك تيار يمثله نوري السعيد[2]رئيس حكومة العراق والذي نادى بالوقوف إلى جانب بريطانيا في الحرب وقطع العلاقات مع دولتي المحور ألمانيا وإيطاليا[3]، وهناك أيضاً عناصر راديكالية كناجي شوكت ويونس السبعاوي ورشيد عالي الكيلاني من المدنيين وأربعة ضباط[4] على رأسهم سعد الدين صباغ هؤلاء نقدوا اتفاق عام 1936 وطالبوا نوري السعيد بالحفاظ على استقلال العراق ورفض قطع العلاقات مع دول المحور ، وقد افتقر هذا الإتجاه لشخصية مركزية توحد جهوده[5].

وبوصول المفتي لبغداد [6]واتفاقه مع هذا الإتجاه الذي تناسب مع سياسته التي تقوم على الوقوف ضد بريطانيا فشكل هو هذه الشخصية التي عملت على توحيد التيارات السياسية الراديكالية بقيادة رشيد عالي الكيلاني دون رفض وساطة نوري السعيد الذي ووجد أن إيجاد اتفاق وتعاون بين بريطانيا

---

[1] – حداد. عثمان كمال_ حركة رشيد عالي الكيلاني سنة 1941. المكتبة العصرية –صيدا، د.ت. ن، ص 7.

[2] – وُلد في بغداد في كانون الأول عام 1888 ، ألف بأربع عشرة وزارة في العراق بين سنتي 1930–1958، تلقى تدريبه كضابط عثماني وقاتل في حرب البلقا 1912 وانضم إلى الجمعيات السرية العربية وهرب عشية الحرب العالمية الاولى وأصبح رئيساً لأركان الأمير فيصل في حملة الصحراء لسنة 1916–1918، وبعد أن استقر في خدمة فيصل خلال فترة حكمه القصيرة في دمشق وقبيل تتويجه كأول ملك للعراق، عاد نوري السعيد إلى بغداد، وتوفي فيصل الأول سنة 1933، وربطت نوري السعيد بالملك فيصل الثاني قبل تتويجه وبعد علاقة وثيقة، إلى حين القضاء على كليهما في ثورة 1958 . السعيد. عصمت_ نوري السعيد رجل الدولة والإنسان. مبرة عصام السعيد، لندن، 1992، ص 359.

[3] – باشا. سندرسن_ مذكرات سندرسن باشا طبيب العائلة الملكية في العراق 1918–1946. تر وتعليق سليم طه التكريتي، مكتبة المثني، بغداد، 1980، ص208.

[4] – القادة الأربعة هم، العقيد صلاح الدين الصباغ (قائد الفرقة الثالثة) ، العقيد محمد فهمي سعيد (مسؤول القوات الآلية)، العقيد محمود سلمان(قائد سلاح الجو)، العقيد كامل شبيب(قائد الفرقة الأولى)، أطلق عليهم الإنكليز "المربع الذهبي" الزبيدي. كريم مطر حمزة : مرجع سابق، ص 88. كريديه. سعيد إبراهيم_ أثر حركة رشيد عالي الكيلاني في العراق على علاقات ألمانيا النازية بدول الانتداب الفرنسي في بلاد الشام (سوريا ولبنان). دار الرشاد للطباعة والنشر، بيروت–لبنان، 2018، ص3.

[5] – ياغي. إسماعيل أحمد_ حركة رشيد عالي الكيلاني دراسة في تطور الحركة الوطنية العراقية. دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1974، ص40.

[6] – زعيتر. أكرم_ لحركة الوطنية الفلسطينية 1935–1939. مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط2، بيروت، 1992، ص 611.

والمفتي سيؤدي لتقويض هذا التيار، وسيعيق التعاون مع دولتي المحور (1940–1941)، وسيوجه هذا التيار لدعم بريطانيا إذ اتصل الأخير بوزارة الخارجية البريطانية محاولاً إيجاد صيغة تفاهم بين اللاجئين السياسيين الفلسطينيين في بغداد وعلى رأسهم المفتي وبريطانيا، طالباً من الجانب البريطاني تنفيذ بعض بنود الكتاب الأبيض كإقامة مؤسسات إدارية فلسطينية، الا أن الوزارة ارتأت تأجيل تنفيذ ذلك لما بعد الحرب، واستمر رشيد عالي الكيلاني والمفتي في اتصالاتهم بمبعوثي دولتي المحور في بغداد وأنقرة[1]].

حاول المفتي استغلال وضع بريطانيا في هذه الفترة، ووقف إلى جانب الكيلاني لعله يستطيع انتزاع ضمانات لإنقاذ فلسطين من الصهيونية، في الوقت الذي استغلت به بريطانيا التناقضات الكثيرة التي كانت عند الحكام العرب، وعملت على تشتيت جهودهم[2]، فقد عمدت إلى إطلاق سراح عدد من المعتقلين السياسيين وأغرت آخرين بالمال وسمحت لهم بالعودة لفلسطين شريطة ترك العمل السياسي 1941، ووافق على ذلك عدة شخصيات من ضمنهم حلمي باشا، فؤاد سابا، عوني عبد الهادي، موسى العلمي[3] وغيرهم أيضاً، فقد أعرب بعض القادة الفلسطينيين عن رغبتهم بالتعاون مع الحكومة البريطانية ، وهذا ما كانت تسعى إليه الأخيرة، فقد قام موسى العلمي بالدعوة للتعاون مع بريطانيا لكسب عطفها على قضية بلاده، وأسس مكاتب في القدس ولندن[4].

---

[1] – عبد الغني. عبد الرحمن_ ألمانيا النازية وفلسطين 1933–1945. ص8.

[2] – شوفاني. الياس_ الموجز في تاريخ فلسطين السياسي منذ فجر التاريخ حتى 1941 . مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، د. ت. ن ، ص493.

[3] – موسى العلمي (1897–1984)وُلد في القدس من أسرة ذات نفوذ، إذ طان والده فيضي العلمي رئيساً لبلدية القدس أيام العثمانيين ثم أحد ثلاثة نواب في مجلس المبعوثان عن متصرفي القدس ،درس القانون في جامعة كمبردج في إنكلترا وشغل منصب المدعي العام في فلسطين خلال الثلاثينات ،امتنع في البداية من الخوض في السياسة إلا أن التطورات في فلسطين خلال فترة الانتداب قادته إليها، لم ينتم لحزب معين فكان موضع ثقة ومحل معارضة في الوقت نفسه، تولى مهمات صعبة في مسيرة الحركة الوطنية على الصعيد الخارجي وخصوصاً ماكان له صلة بالمفاوضات مع بريطانيا ومع الأجهزة العربية. قاسمية. خيرية_ المذكرات والسير الذاتية كمصدر لتاريخ فلسطين في القرن العشرين. مجلة الدراسات الفلسطينية، مج16، عدد 64، 2005، ص6.

[4] – ياسين. عبد القادر_ لحركة الوطنية الفلسطينية 1935–1939. مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط2، بيروت، 1992، ص 147.

وسعت ألمانيا بدورها لاستغلال علاقتها ببعض قادة الحركة الوطنية الفلسطينية أثناء الحرب العالمية الثانية لجعلهم أداة ضغط على بريطانيا من دون إعطائهم وعود بالاستقلال[1].

طلبت ألمانيا من شركائها إحاطة تقديم المساعدة للثوار الفلسطينيين بكثير من السرية وخاصةً بالسلاح ، وقد رفض قسم الشؤون الخارجية للحزب النازي ارسال السلاح عبر بلدان ، وأرسل تعليمات للندن والقدس وبغداد تطلب منهم تجنب الاتصالات الخاصة بإرسال السلاح للثوار في حال عدم السرية التامة وكذلك الأمر حرموا على المستعمرين الالمان الدعم للثوار أو المجاهرة بذلك رغم المساعدة الفنية والمالية لهم.

رأى قسم الشؤون الخارجية للحزب النازي أنه بالإمكان الاتفاق مع إيطاليا للقيام بعمل مشترك داعم للفلسطينيين، خاصة أن الأخيرة كان ضد قرار التقسيم أيضاً، وترفض زيادة قوة اليهود بدعم بريطاني لأن ذلك سيؤدي بالمقابل لزيادة قوة مركز بريطانيا، لكن تراجع عن ذلك قسم الشؤون الخارجية حفاظاً على سرية موقفها أيضاً.[2]

بعد هروب المفتي من لبنان للعراق واتفاقه مع التيار السياسي آنف الذكر، بدأ اتصالاته مجدداً مع ألمانيا وقد تمت عبر عدة أشخاص: ناجي شوكت وزير العدلية في وزارة الكيلاني (31 آذار 1940– 31 كانون الثاني 1941 _ وغبرائيلي المفوض الإيطالي ببغداد_ و عثمان كمال حداد السكرتير الشخصي للمفتي، وقد اتصل المفتي بغبرائيلي وأصبح الوساطة بين العراق والدول العربية بشكل عام ودول المحور نتيجة قطع العراق لعلاقاتها مع ألمانيا وهذا ما لم تحبذه بريطانيا[3] التي طلبت من نوري السعيد توضيح هذا الأمر وخاصة بعد دخول إيطاليا الحرب إلى جانب ألمانيا وضرورة قطع اتصالات العراق معها أيضاً وعندها تم تشكيل وفد مؤلف من نوري السعيد وناجي شوكت للسفر لتركيا لمعرفة موقفها من ذلك والتقى ناجي شوكت بالمفتي قبل سفره والذي شجعه على الذهاب

---

[1] – schwantiz.Wolfgang G_ GERMANY AND THE MIDDLE EAST 1871–1945. Frankfort,2004,p98. ,

[2] – هيرزويز. لوكاز_ ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي. ص 61.

[3] –الزبيدي. كريم مطر حمزة_ المفتي أمين الحسيني وأثره في السياسة العراقية . د. م. ن، د. د .ن، ،، ص101–103.

و أرسل رسالة في 20 حزيران عام 1940 معه للسفير الألماني في إسطنبول فون بابن[1] [2] تضمنت الرسالة تهنئة بالانتصارات التي حققتها ألمانيا في القارة الأوروبية طالباً منه التفاوض مع ناجي شوكت حول المسألة العربية ومسألة فلسطين والعمل على إبرام معاهدة صداقة بين ألمانيا والعرب ، تسمح للعرب في الحصول على مساعدات ودعم ألماني في صراعهم الحالي وقام المفتي بتشكيل لجنة عربية برئاسته في بغداد[3].

وعلى إثر محادثات شوكت–فون بابن جاء العامل في وزارة الدعاية البريطانية نيوكمب إلى بغداد وأجرى محادثات مع الحسيني ونوري السعيد والكيلاني وتطرقا للكتاب الأبيض وكانت هذه المحادثات محاولة لإقناع الدوائر العربية عامة والفلسطينية خاصة للإكتفاء بالأمر الواقع ، ولكنه لم يكن مخولاً بإعطاء أي وعد ، ولم تسفر محادثاته ومحاولاته هو ونوري السعيد بأي نتيجة[4].

حصل إنقلاب على حكومة الكيلاني وقدم الأخير استقالته وذلك بسبب الضغط البريطاني الكبير وفرضها قيوداً على تجارة العراق وجمدت أرصدة الحكومة العراقية في البنوك البريطانية في محاولة منها لوقف اتصالات الكيلاني والمفتي بدول المحور ووجهت بريطانيا تهديداً للكيلاني واتهمته بالتآمر مع دول المحور خاصة بعد رفض الأخير قطع علاقاته مع إيطاليا، إذ أن اجتماع شوكت–فون بابن كان مكشوفاً لهم، وعليه كان لابد من التحرك للحصول على معدات حربية ومساعدات من ألمانيا[5]

.

[1] – فراتزفون بابن_ مستشار ألمانيا للفترة من حزيران إلى كانون الأول 1932، تقلد عدة مناصب سياسية منها . الملحق العسكري لألمانيا في واشنطن أيام الحرب العالمية الأولى ونائباً لهتلر في فترة مستشاريته ، وله مذكرات مهمة. محمد. محمد صالح: الدول الكبرى بين الحربين العالميتين 1914–1945، بغداد، 1984، ص190.

[2] – حيدر. عبير الشيخ_ السياسة الألمانية تجاه القضية الفلسطينية وتطورها 1949–2008. ص55.

[3] – محافظة . علي_ العلاقات الألمانية الفلسطينية 1841–1945 من انشاء مطرانية القدس البروتستانتية وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية. المؤسسة الربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1981، ص 243.

[4] – عبد الغني. عبد الرحمن _ ألمانيا النازية وفلسطين 1933–1945 _ ص 10 .

[5] – عبد الغني. عبد الرحمن_ ألمانيا النازية وفلسطين 1933–1945 . ص17.

ولذلك استمر الحسيني بمحاولاته الحصول على دعم ألماني واضح وصريح فقد أرسل سكرتيره عثمان كمال حداد إلى برلين بتشرين الثاني 1940 والذي أجرى مباحثات مع مسؤولي وزارة الخارجية الألمانية عارضاً عليهم مطالب الشعوب العربية ومن ضمنها فلسطين وطلب منهم مده بالسلاح وبالمال، ودعم حصول هذه الدول على استقلالها من نير الاستعمار الفرنسي والبريطاني وتأكيد دول المحور أنه ليس لها مطامع بهذه الدول وأنها لن تقوم باتباع سياسة الإنتداب التي اخترعتها عصبة الأمم ، وإعلان رفضهم لإقامة وطن قومي مزعوم لليهود على الأراضي الفلسطينية [1] وبالمقابل أكد المفتي أن الدول العربية عامة وفلسطين خاصة ستحترم أملاك المانيا وإيطاليا في فلسطين فيما يخص الكنائس والأديرة والإرساليات المسيحية وحرية إقامة المسيحيين لطقوسهم وحماية مؤسساتهم ودُورهم في فلسطين وجاء الرد بالموافقة على هذا الطلب.

كذلك الأمر فإن عثمان كمال حداد أكد للمسؤولين الالمان برغبته بتوثيق العلاقات بين اللجنة العربية في بغداد برئاسة المفتي وبين ألمانيا ، والإتفاق بينهم على مجموعة من الخطط والأمور للاستثمار في العراق والتخلص من نوري السعيد الذي يدعم بريطانيا، أيضاً قيام ثورة في فلسطين يتم التجهيز لها في سوريا ، بحيث يتم تزويد الثوار بالسلاح من مستودعات الجيش الفرنسي الواقع تحت تصرف لجنة الهدنة الإيطالية، وتقديم الدعم المادي المقدر ب 30 الف جنية تدفع اللجنة العربية ثلث هذا المبلغ وما تبقى تتقاسمه ألمانيا وإيطاليا [2].

ترافقت هذه الزيارة بحصول إنقلاب في العراق بقيادة رشيد عالي الكيلاني ونجاحه بذلك وسيطرته على بغداد وعُين رئيساً للوزراء واعترفت ألمانيا بهذه الحكومة الجديدة الموالية لها، وعن استعدادها مع إيطاليا لتقديم السلاح والمال لها، أما بريطانيا فلم تعترف بها وكان الصراع على أشده فالوصي

[1] – يوسف. أيمن_ الحاج أمين الحسيني بين العقائدية التقليدية والواقعية السياسية دراسة حالة في النخبة السياسية . مجلة جامعة النجاح للأبحاث العلوم الإنسانية، مج21، عدد 2، 2007، ص558.

[2] –محافظة. علي_ العلاقات الألمانية الفلسطينية 1841–1945 من انشاء مطرانية القدس البروتستانتية وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية . ص243.

على العرش عبد الاله[1] ونوري السعيد كانا يريدان التخلص من حكومة الكيلاني لإيقاف العداء مع بريطانيا، واجتمع الكيلاني والمفتي وقررا إرسال عثمان حداد مرة ثانية إلى برلين لإجراء محادثات وغادر الأخير بغداد ب22 كانون الثاني [2] 1941 ، للحديث عن حاجات العراق العسكرية وعن ضغط بريطانيا كما أن الحسيني أرسل رسالة لهتلر تحدث بها عن تاريخ السياسة البريطانية وعن إتفاقية سايكس بيكو في المشرق العربي وعن وقوف هذه الدول ضد استقلال الشعوب العربية، كذلك تحدث عن فلسطين وعن الصهيونية، وعن أهمية بلدان المشرق في الطريق إلى الهند وتحدث عن أهمية كل دولة عربية على حدا وختم رسالته بإسمه وبإسم أقوى تنظيم عربي داعياً ألمانيا لتعاون مخلص وثيق.

اجتمع حداد أيضاً بمسؤولي وزارة الخارجية الألمانية وكان أهم اجتماع هو الذي عقده مع فورمان (مساعد سكرتير وزير الخارجية الألماني)في 26 شباط 1941تحدث فيه عن السياسات العربية وعن الإمداد المالي والعسكري للعراق وجميع ما ذُكر أن ألمانيا وإيطاليا وعدتا حداد ببذل قصارى جهودهما لإرسال المساعدات ، وأثناء محادثاته سقطت حكومة الكيلاني نهاية كانون الثاني 1941 والف الهاشمي حكومة جديدة وحاولت بريطانيا إبعاد الضباط الأربع وإبعاد كل من يحاول الاتصال بدول المحور ، عاد حداد من بغداد في الأسبوع الثاني من آذار 1941، ولكن حكومة الهاشمي لم تستطع الإستمرار ونجح الكيلاني في العودة للحكومة ، في هذه الأثناء كان الهجوم الألماني على الجبهة المصرية 31 آذار من ثم هجوم على البلقان 6 نيسان ، هذا ما أثار مخاوف بريطانيا على

---

[1] –الأمير عبد الله بن الملك علي بن الشريف حسين الهاشمي ولد في مدينة الطائف في الحجاز ابن ملك الحجاز علي بن حسين شقيق الملك فيصل الأول، التجأ وعاش مع عائلته في مصر بعد تولي العائلة السعودية المنافسة للعائلة الهاشمية لمقاليد الأمور في الحجاز وشبه الجزيرة العربية ، كان عبد الاله قد تزوج من الاميرة ملك فيضي ثم الاميرة فائزة طرابلسي وهي مصرية ، وتزوج بعد ذلك من هيام ابنه أمير ربيعة حيث لاقى زواجه منها قبولاً شعبياًلكونها عراقية وابنة شخصية معروفة، تلقى عبد الاله علومه في كلية فكتوريا في الإسكندرية بمصر، وفي عام 1939 اختير وصياً على عرش العراق بعد مقتل الملك غازي الأول الذي لم يكن ابنه الوريث فيصل الثاني قد تجاوز عمره الست سنوات، وكان عبد الاله يرتبط بصلة الخال للملك حيث أن شقيق أم فيصل الثاني الملكة عالية ، واستمر وصياً على العرش حتى عام 1953 وتم تتويج الأمير فيصل الثاني ملكاً على العراق في الثاني من شهر أيار عام 1953. .Artsandculture.google.com

[2] – حداد. عثمان كمال_ حركة رشيد عالي الكيلاني سنة 1941. ص85.

طريق العراق–شرق الأردن –فلسطين فأمرت بتعزيز قواتها، ولم تعترف بريطانيا بحكومة الكيلاني وبدأت وسائل الاعلام البريطانية تتحدث عن ترحيب الشعب العراقي بمجيئ القوات البريطانية ، ومدحت عدم قيام الكيلاني بالرد على زيادة بريطانيا لعدد قواتها وهو ما يخالف الشروط المتفق عليها مُسبقاً واعتبرت أن ذلك ضربة قاسية لدول المحور التي تتظاهر بصداقتها للعرب، واتباع بريطانيا لهذه السياسة كان هدفه إبعاد وصرف العرب عن أهدافها الحقيقية للتحركات البريطانية واستمرت بذلك حرب دبلوماسية حتى 27 نيسان –2 أيار 1941 وهو تاريخ هجوم القوات البريطانية على الجيش العراقي[1] .

بدأت بريطانيا هجومها على العراق بإلقاء قنابل على القوات العراقية المرابطة قبالة قاعدة الحبانية [2]وهنا عزمت حكومة الكيلاني على مقاومة بريطانيا وتم إرسال رسائل لهتلر بضرورة تزويد العراق بكافة أنواع الأسلحة[3]، عندما تطورت الأوضاع إلى صدام مسلح بين بريطانيا والعراق رأى الحسيني أن الفرصة مواتية لإشعال الثورة في فلسطين[4]، أعلن المفتي النفير العام للوقوف لجانب دور المحور والعمل ضد بريطانيا، وكانت الأخيرة تعلم ما معنى هذا فعملت على زيادة قوة مركزها وشكلت قاعدة جوية لها لأنها كانت تعلم أن هتلر سيسلك خط سوريا –العراق– إيران باتجاه الهند، وأن العراق ستكون مفجر الثورة في المنطقة العربية، إلا أن العراقيين هاجموا هذه القاعدة وبدأ الصراع بينهم وبين بريطانيا.

وطلب المفتي من غروبا في 17 أيار 1941 إرسال خمسين رشاش خفيف و100 مسدس رشاش جديد مع ذخيرتها إلى دمشق لهذا الغرض، إلا أن ألمانيا طلبت من المفتي أن لا يبدأ بهذه الثورة

[1] – عبد الغني. عبد الرحمن _ ألمانيا النازية وفلسطين 1933–1945 .ص289–294.

[2] – وزارة الحرب البريطانية وونستن تشرشل_ حوادث العراق في 1941. تر خيا. جعفر، دار الكشاف، بيروت–لبنان، 1954، ص6–30.

[3] – العمر. عبد الكريم: مذكرات الحاج أمين الحسيني، ص 66.

[4] محافظة. علي_ العلاقات الألمانية الفلسطينية 1841–1945 من انشاء مطرانية القدس البروتستانتية وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية . ص 249.

من أجل إيطاليا فاستجاب المفتي[1]، وعلى إثر اشتداد القتال على جبهة بغداد فكرت الحكومة العراقية في الإنسحاب للموصل واتخاذها مركزاً للدفاع ومنه فقد خرج مايقارب ال 80 مجاهد فلسطين ورابطوا في الموصل بانتظار التعليمات العراقية[2]،

وكانت قوات هتلر في هذه الأثناء تتجهز للقتال على الجبهة الروسية[3] فكانت مترددة بإرسال دعم للقيادات العربية في العراق، إلا أنها اتخذت الخطوة وقررت ارسال دعم لهم[4]، وتم إرسال خمس طائرات محملة بالأسلحة ، وأربعين مدفع رشاش و عشرين مدفع مضاد للدبابات و اثنتا عشرة طائرة مقاتلة، بالإضافة لإعطاء الكيلاني من غروبا عشرة آلاف جنية ذهب و ،وخمسة عشرة دولار للمفتي[5].

ذهب المفتي إلى برلين بعد زيارته لروما ووصلها في 9 نوفمبر عام 1941 [6]، وكان في استقباله في المحطة رئيس التشريفات وزير الدولة الدكتور اوتومايستر والدكتور ملتشرز مدير القسم الشرقي في وزارة الخارجية ورحبوا به بإسم هتلر والحكومة واستضافوه في قصر شلوس بيلفو[7] التاريخي،

---

[1] – محافظة. علي_ العلاقات الألمانية الفلسطينية 1841–1945 من انشاء مطرانية القدس البروتستانتية وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية .،ص249.

[2] – العمر. عبد الكريم_ مذكرات الحاج أمين الحسيني. ص69.

[3] – كاظم. قحطان حميد و عبد. أحمد محمد جاسم_ الوجيز في تاريخ أوروبا في القرن العشرين. ص161.

[4] – شتاينغر. رولف_ ألمانيا والشرق الأوسط منذ زيارة القيصر فيلهلم الثاني إلى المشرق في العام 1898 حتى الوقت الحاضر. تر لورنس الحناوي، مراجعة السيد رضوان، عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2018 ، ص 67–70.

[5] – هيرزويز . لوكاز_ ألمانيا الهتلرية والمشرق العربي. ص 219–225.

6 – الزبيدي. كريم مطر حمزة_ المفتي أمين الحسيني وأثره في السياسة العراقية . ص129.

[7]– قصر بيلفو بناه المهندس مايكل فيليب بطلب من الأمير أغسطس فرديناند الأخ الأصغر لفرديريك الكبير بين عامي 1785–1787، بأسلوب يمزج بين عناصر الباروك والكلاسيكية الحديثة، وكانت الحديقة الواسعة حول القصر ذات منظر خلاب وهو ما منح القصر اسم بيلفيو، وكان القصر مصمماً ليكون مقراً سكنياً ، واستضاف أول متحف للفن الوطني المعاصر في بروسيا من عام 1844 إلى عام 1865، وبعد الحرب العالمية الأولى ظل القصر والحديقة على حالهما وفي عام 1928 انتقلت الملكية من آل هوهنزولرن إلى ولاية بروسيا واستخدم المبنى الرئيسي لمعرض برلين الكبير للفنون، ومنذ عام 1935 أصبح القصر مقراً لمتحف التاريخ الشعبي الألماني وفي عام 1938 أجريت أعمال ترميم في القصر لتحويله إلى دار ضيافة

وعند إقامته في القصر تعرضت برلين للقصف من طائرات الحلفاء ما أدى لاختبائه في مخبأ للقصر على عمق عشرات الأمتار في جوف الأرض ، مجهز بكل شيئ ، وقد التقى المفتي أثناء إقامته هناك عدد كبير من رجال وزارة الخارجية الألمانية وأيضاً عدد من نزلاء ألمانيا في تلك الفترة من قادة وكبراء العرب والمسلمين (زعماء الهند وأفغانستان وأذربيجان والقوقاز)، وانتقل بعدها لمنزل في حي غوته شتراسه في ضاحية تسلندروف التي تبعد16 كم عن برلين، وتمت دعوته من قبل رجال الدولة الألمان عدة مرات تم الحديث فيها عن قضية فلسطين والقضية العربية بشكل عام.

والتقى أيضاً بوزير الخارجية الهر فون روبنتروب الذي دعاه للقائه وتحدث عن إعجابه به وبكفاحه وعن قضية فلسطين التي لا يمكن أن تكون إلا عربية ولابد من حل مشكلتها، وتحدث أيضاً عن العراق وإعجابه بثورتها أيضاً متمنياً لو أن ظرف الثورة كان في وقت آخر غير وقت الحرب، لكان بالإمكان تقديم المساعدة بشكل أكبر فالعراق بعيدة وعلى الرغم من ذلك فقد أمر هتلر بإرسال ما أمكن من المساعدة العسكرية كطائرات حربية وأسلحة فرنسية عديدة من رشاشات وبنادق ولو لم تؤدي اللازم.

ثم حُدد تاريخ معين ليلتقي به المفتي مع هتلر ، وتم الحديث مع الوزير أيضاً عن وضع فلسطين والخطط لتحررها والسياسة التي لابد من اتباعها لتحصل الدول العربية على استقلالها أيضاً تم التطرق للحديث عن رغبة فلسطين ممثلة بالمفتي بالحصول على دعم ألماني واضح وتوقيع اتفاقية ومعاهدة تعترف به دول المحور باستقلال البلاد العربية وضرورة التخلص من الإستعمار والقضاء على فكرة الوطن اليهودي في فلسطين، وكذلك الأمر تقديم ألمانيا وعد أشد صراحة وقوة ووضوح بدعم المشروع العربي، وقد أبدا الوزير الألماني دعمه وحسن استماعه للمفتي واستعداده للتعاون مع العرب لتحقيق أهدافهم.

للرايخ ، واثناء الحرب العالمية الثانية دمرته قنابل حارقة ثم فيما بعد بعام 1959 أُعيد بناؤه وأصبح المقر الرئيس لإقامة الرئيس الألماني منذ عام 1994 ويقع في برلين بألمانيا. تاريخ قلعة بيلفيو_ .2025 , bundespraesident.de

وقابل المفتي بعد ذلك هتلر في الساعة السابعة بعد ظهر يوم الجمعة 28 تشرين الثاني 1941 [1]وكان استقباله رسمياً في دار المستشارية الشهيرة ، فوصل لقاعة الاستقبال الكبرى والتقى برئيس تشريفات رئاسة الدولة الذي بدوره ادخله إلى غرفة الفوهرر[2] هتلر الخاصة، واستقبله الأخير بحفاوة كبيرة [3]وكان إلى جانبه حاشيته وعدد من رجال الدولة وترجمانه الدكتور شميدت، وأعرب هتلر عن سعادته بلقاء المفتي وبوصوله بسلامة إلى برلين وعبر له عن إعجابه بكفاحه ونضاله، ورغبته في إبداء رغبة الأمة العربية بالوقوف لجانب ألمانيا في هذه الحرب كذلك الأمر إعجابه بكفاح أهل فلسطين ضد بريطانيا واليهودية العالمية[4].

أعرب هتلر للمفتي كذلك الأمر عن الصعوبات السياسية والعملية التي ستترافق مع إعلان البيان الذي يرغب المفتي في الحصول عليه كوثيقة مكتوبة بوقوف ألمانيا إلى جانب الدول العربية في صراعها مع المحتل البريطاني، وحدثه عن ساعة التحرير عندما تجتاز الجيوش الألمانية جبهة القفقاس وتقترب من إيران، وأن هتلر سوف يقوم بإخراج هذا البيان وتوقيع وثيقة مع العرب فيما بعد والإكتفاء حالياً بالوعد الشفهي ريثما يتم البت بالأوضاع الحربية والسياسية في تلك الفترة، وعليه فقد فشلت محاولات المفتي في الحصول على وثيقة مكتوبة من هتلر.

شعر المفتي أن هتلر لا يرغب بتوقيع اتفاقية واضحة معه تحدد بموجبها المهام والمسؤوليات والمصالح بقوله " لما أدركت أن هتلر لا يرغب في اعلان التصريح الرسمي الذي طلبته منه

[1] – هناك اختلاف في تاريخ الزيارة بعض المراجع تذكر أن الزيارة بتاريخ 21 تشرين الثاني، العمر. عبد الكريم: مذكرات الحاج أمين الحسيني مصدر سابق، ص103–109.وبعضها الاخر يتحدث أن الزيارة كانت ب 28 تشرين الثاني الزبيدي. كريم مطر حمزة: ص129.

[2] – كلمة فوهرر أو بلفظ دقيق فيورر أو فورر كلمة ألمانية يُقصد بها القائد في السياسة ترتبط هذه الكلمة بالنازي أدولف هتلر. m. youm7.com تاريخ التحميل 2025/6/20 الساعة 11:08 صباحاً

[3] – معتدل. ديفيد_ في سبيل الله والفوهرر النازيون والإسلام في الحرب العالمية الثانية. تر محمد صلاح علي، مراجعة محمد عبد العزيز ، مركز الجزيرة للدراسات، 2021، ص3.

[4] – العمر. عبد الكريم_ مذكرات الحاج أمين الحسيني . ص103–109.

بالاعتراف باستقلال الامة العربية وسيادتها ووحدتها وأنه يرى إرجاء ذلك إلى ما بعد انتهائه من فتح القوقاز واطمئنانه إلى موقف ألمانيا العسكري ، اقترحت عليه عقد اتفاقية أو معاهدة سرية بين ألمانيا والعرب بدل من التصريح العلني فقال أن اتفاقاً أو معاهدة سرية يُعرف بها أشخاص عديدون لا تبقى سراً مكتوماً ولا تلبث أن تُعرف لقد أصدرت في حياتي قليلاً من التصريحات على عكس الانجليز الذين أصدروا تصريحات وقطعوا عهوداً كثيرة ولم يوفوا بها[1]".

وذكرت المذكرة الرسمية الصادرة عن موظف في أمانة سر وزير الخارجية (محضر محادثة)، المكان برلين الحديث جرى في 1941/11/28، والمذكرة كُتبت في 30 /1941/11، المشاركون ، أدولف هتلر (الفوهرر)، الحاج أمين الحسيني (المفتي الأكبر للقدس)، يواخيم فون روبينتروب (وزير الخارجية)، فريتس غروبا (خبير/وزير للشؤون الشرقية")، وكانت خلاصة اللقاء وما قاله المفتي بدايةً عبارة عن شكر وثناء وتعاطف متبادل : بدأ بشكر هتلر على استقباله وأكد أن العالم العربي يُعجب بألمانيا وبخطابات هتلر المتعاطفة مع العرب خصوصاً في الشأن الفلسطيني ، العرب حلفاء طبيعيون قال إن للعرب والألمان أعداء مشتركية: البريطانيين، اليهود، و الشيوعيون ، لذلك فالعرب مستعدون للتعاون مع ألمانيا بكل قلوبهم.

أشكال المشاركة المقترحة، سلبياً: التخريب وإثارة الانتفاضات ضد البريطانيين، إيجابياً: تشكيل فيلق عربي يقاتل إلى جانب ألمانيا، وأكد أن نداء منه سيستقطب متطوعين كثراً بخاصة من العرب(عرب/جزائريين/تونسيين/ مغاربة)الموجودين في ألمانيا، وأنه يمتلك تأثيراً في عموم البلدان الإسلامية يمكن توظيفه لصالح القضية المشتركة، الهدف السياسي العربي: الإستقلال والوحدة (ذكر فلسطين والعراق وسوريا صراحة)، الطلبات الأساسية من ألمانيا: إصدار إعلان /تعهد علني يؤيد استقلال العرب ووحدتهم ويتعرف بحقهم في حل المسألة اليهودية في فلسطين وسائر البلدان العربية

[1] – يوسف. أيمن_ الحاج أمين الحسيني بين العقائدية التقليدية والواقعية السياسية دراسة حالة في النخبة السياسية _ص557.

بما يوافق مصالحهم القومية، المساعدة العملية: سلاح تدريب، خبرات، ودعم لتشكيل الفيلق العربي والدعاية البث الموجه للعالم العربي.

خلاصة رد هتلر كما سجله المحضر: تأكيد الهدف النازي المركزي: أوضح أن الهدف الألماني في هذه الحرب هو القضاء على الوجود اليهودي ضمن مجال النفوذ الألماني في أوروبا، وأنه سيُنجَز خطوة خطوة، بشأن الإعلان العلني الآن، قال إن الوقت لم يحن لإصدار بيان رسمي للعرب لأسباب استراتيجية ودبلوماسية(سير العمليات، اعتبارات تركيا/فرنسا/) وأن ألمانيا تؤيد استقلالهم ولن تطالب بمكاسب ترابية في المنطقة، التعاون العمي السري: شجع استمرار التنسيق غير العلني مع وزارة الخارجية وغروبان وتكثيف الدعاية الموجهة والتحضير لعمليات تخريب/ انتفاضات ضد البريطانيين في فلسطين، شرق الأردن، العراق وغيرها، إلى أن تسمح ظروف الحرب بإجراءات أكبر ،حدود الالتزامات الفورية: امتنع عن تعهد مكتوب أو خطوة علنية فوريا، لكنه جدد التطمينات السياسية بأن ألمانيا تقف ضد العرب المشروع الصهيوني ولن تعارض تحرك العرب حياله حين تحين اللحظة العسكرية، ودعوة للمفتي لمواصلة العمل من برلين ضمن قنوات الاتصال الألمانية.

المحصلة: لم يصدر إعلان رسمي فوري. حصل المفتي على وعود مؤجلة مشروطة بالتقدم العسكري الألماني شرقاً، عزز اللقاء التعاون الدعائي والسري(بث إذاعي، تعبئة متطوعين، تحريض على عمليات ضد البريطانيين)، وثقت المذكرة نقاط وأهداف، النازيون يركزون على القضاء على اليهود في أوروبا، والمفتي يطلب ترجمة ذلك إلى إلغاء الوطن القومي اليهودي، و دعم استقلال العرب، وتعكس الوثيقة رؤية دعائية/ سياسية من الطرف الألماني: فهي محضر رسمي ألماني وليست نصاً حرفياً متفقاً عليه من الطرفين[1].

---

1. [1]

DOCUMENTS ON GERMAN FOREIG POLICY 1918–1945: وثائق وزارة الخارجية الألمانية 1918–1945، ترجمة إلى اللغة الإنكليزية بواسطة حكومة الولايات الأمريكية ، واشنطن العاصمة، 1954.

في الفترة ذاتها وصل الكيلاني لألمانيا[1] وطلب استقلال العراق ولم يُقابل طلبه بالرفض التام، وبعث روبنتروب إلى الكيلاني في 19 كانون الأول رسالة تهنئة أكد فيها استحقاق حصول العراق على سيادتها الكاملة وتخلصها من الاحتلال البريطاني وأعرب عن أمله في عودته للعراق وأن يصبح رئيساً لها، هذا ما أثار انزعاج المفتي الذي بذل جهوداً كبيرة وبقي حوالي الشهرين يحاول الحصول على وثيقة مكتوبة في الوقت الذي حقق الكيلاني غرضه بإسبوعين، ولكن المفتي استمر بعمله باعتباره الناطق بإسم العرب واتفق مع الكيلاني على تشكيل محضر موقع من شخصيات عربية كعادل أرسلان[2] وأبو غنيمة واسحاق درويش تتضمن دعم البلاد العربية التي تعاني من الإحتلال البريطاني في كفاحها من أجل التحرير والإعتراف باستقلال البلاد العربية في المشرق والواقعة تحت الاحتلال والسيطرة البريطانية، وموافقة دولتي المحور بإزالة الوطن القومي اليهودي في فلسطين والمطالبة بتوقيع اتفاقية واضحة وصريحة مع دولتي المحور، صاغ هذا المحضر المفتي والكيلاني[3].

أيضاً بعد فشل الحسيني باجتماعه مع هتلر[4] أعاد مرة أخرى الإجتماع بغروبا في 11كانون الثاني 1942وطرح فكرة تبادل الرسائل بينهما على نسق مراسلات الحسين مكماهون[5]، لكن أيضاً قوبلت

---

[1] – الزبيدي. كريم مطر حمزة_ المفتي أمين الحسيني وأثره في السياسة العراقية. ص130.

[2] – وُلد الأمير عادل أرسلان عام 1887 في الشويفات، ابن الأمير حمود بن حسن أرسلان ، وآل أرسلان هم أمراء بلاد الشوف وينتهي نسبهم إلى اللخميين،تلقى دروسه في مدرسة الحكمة ، تعلم الفرنسية، درس العربية، وبعدها تابع دراسته في الكلية الإسلامية حيث أتقن اللغة التركية ، وسافر لاستانبول وتابع تحصيله العالي في كلية الحقوق والإدارة العامة ، عُين بعدها موظفاً في وزارة الداخلية في بيروت، انتُخب نائباً عن جبل لبنان في مجلس المبعوثان العثماني وانتقل إلى استانبول(1916–1918)وكان اصغر النواب سناً، مات الأمير عادل عام 1954 في بيروت. أرسلان. عادل_ الأمير عادل أرسلان المذكّرات الجزء الأول (1934–1945). تحقيق يوسف إيبش، الدار التقدمية، الشوف–لبنان، 2009، ط2، ص7.

[3] –عبد الغني. عبد الرحمن_ ألمانيا النازية وفلسطين 1933–1945 . ص 23–25.

[4] – معتدل. ديفيد_ في سبيل الله والفوهرر النازيون والإسلام في الحرب العالمية الثانية. ص 3 _4.

[5] – مراسلات الحسين مكماهون هي عبارة عن مكاتبات معينة حصلت عامي 1915 و 1916 بين السير هنري مكماهون المندوب السامي البريطاني في القاهرة و الملك حسين ملك الحجاز فيما بعد .دوني. هـ. ف _ تقرير اللجنة المؤلفة لدراسة مراسلات حسين–مكماهون 16 آذار 1939 . مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ص1.

بالفتور، من ثم جاءته دعوة للذهاب لروما هو والكيلاني فاعتبرها فرصة ومحاولة لتحقيق ما لم يستطع تحقيقه في ألمانيا[1].

لاشك أن الحسيني كان يحظى باهتمام واحترام داخل الأوساط الألمانية بوصفه رمزاً دعائياً، وكان يتقاضى مبالغ كبيرة لقاء جهوده وله سكن خاص ومرافقة وقُبيل اعلان ألمانيا الاستسلام سلمت الحسيني لفرنسا خشية تحمل أي تبعيه، والتي لم تجرؤ الأخيرة على محاكمته كمجرم حرب خوفاً من حدوث انتفاضة في العالم الإسلامي[2].

ولاشك أن تراجع ألمانيا على جبهة الإتحاد السوفييتي 1943 تحولت قضية العرب لمسألة ثانوية، وأصبح جميع ما ترغب به هو الدفاع عن مواقعها على الجبهات الأوروبية[3].

ولاشك أن بريطانيا استغلت كما ذُكر سالفاً الاختلافات والتناقضات بين زعماء الحركة الوطنية الفلسطينية، وبين حكام العرب وعملت على استمالة عدد منهم، وطرحت فكرة إقامة الجامعة العربية وتم اختيار موسى العلمي بموافقة الأحزاب الفلسطينية مندوباً عن فلسطين وتم وضع ميثاق جامعة الدول العربية 12 آذار 1945[4].

أما عن الحركة الصهيونية في هذه الفترة أيضاً فقد عقدت آمالها على الولايات المتحدة الامريكية وعقدت مؤتمر بلتيمور 1942 الذي حددت فيه سياسة الصهيونية الجديدة القائمة على الارتباط بالسياسة الامريكية[5]، فقد اعتبرت أن الحرب العالمية الثانية هي فرصتها لإقامة كيانها فنقلت مركز .نشاطها إلى أمريكا، وربطت مصير مشروعها الاستيطاني بدور أمريكا في الحرب[6]

---

[1] – عبد الغني. عبد الرحمن_ ألمانيا النازية وفلسطين 1933–1945 . ص 23–25.

[2] – معتدل. ديفيد_ في سبيل الله والفوهرر النازيون والإسلام في الحرب العالمية الثانية . ص 4.

[3] – حيدر. عبير الشيخ_ السياسة الألمانية تجاه القضية الفلسطينية وتطورها 1949. ص 56.

[4] – شوفاني. الياس_ الموجز في تاريخ فلسطين السياسي منذ فجر التاريخ حتى 1941. ص494.

[5] – النتشة. رفيق شاكر وياغي. إسماعيل وأبوعلية. عبد الفتاح حسن_ تاريخ فلسطين الحديث والمعاصر. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت–لبنان، ط1، ص120.

[6] –شوفاني. الياس_ الموجز في تاريخ فلسطين السياسي منذ فجر التاريخ حتى 1941 . ص485.

خاتمة:

يتضح أن الأزمة الأوروبية عام 1939 وما تبعها من اندلاع الحرب العالمية لم تكن حدثاً أوروبياً داخلياً فحسب ، بل تركت آثاراً عميقة على فلسطين. فقد ساهمت سياسات ألمانيا النازية في التهجير القسري لليهود في دفعهم نحو الهجرة إلى فلسطين، مما زاد من حدة الصراع العربي_ اليهودي. وفي الوقت ذاته ، وجدت بريطانيا نفسها أمام معادلة صعبة بين تلبية مطالب الحركة الصهيونية والحفاظ على ولاء العرب في ظل الحرب. هذه التطورات أدت إلى إضعاف الحركة الوطنية الفلسطينية وتعزيز القوة العسكرية والسياسية لليهود، وهو ما مهد الطريق لتفاقم الصراع بعد انتهاء الحرب. كما أدت الأزمة إلى ظهور تقارب بين بعض الفلسطينيين والألمان، في إطار محاولات الفلسطينيين مواجهة النفوذ البريطاني والصهيوني، كمحاولات الحسيني لقاء هتلر والسعي للحصول على الدعم الألماني ، وبذلك شكلت الأزمة الأوروبية عاملاً مفصلياً ربط بين التوازنات الدولية والصراع المحلي، ورسخت جذور المأساة الفلسطينية في سياق عالمي.

أظهرت الدراسة أيضاً أن الأزمة الأوروبية عام 1939، التي بلغت ذروتها مع صعود ألمانيا النازية، كانت من أبرز العوامل التي غيرت ملامح القضية الفلسطينية في تلك المرحلة. فقد أدت سياسات ألمانيا تجاه اليهود، القائمة على الإضطهاد والتمييز، إلى تسريع موجات الهجرة اليهودية نحو فلسطين، الأمر الذي أسهم في زيادة التوترات داخلها ورفع حدة الصراع العربي_اليهودي. كما بينت النتائج أن ألمانيا، من خلال صراعها مع القوى الاستعمارية الأوروبية، ولاسيما بريطانيا وفرنسا، ساهمت في زعزعة التوازن السياسي في الشرق الأوسط، مما جعل فلسطين تتأثر بصورة مباشرة بالتقلبات الدولية. وقد اتخذت الدعاية الألمانية من فلسطين ساحة للتأثير في الرأي العام العربي عبر إبراز العداء المشترك لليهود وللاستعمار الغربي، في محاولة لكسب التعاطف العربي مع سياساتها. وأسهمت التطورات في ربط المسألة الفلسطينية بالأزمة الأوروبية الكبرى، إذ أصبحت فلسطين متأثرة بالنتائج السياسية والإنسانية الناجمة عن التوسع الألماني وسياسات التهجير القسري في أوروبا. وبذلك يتضح أن السياسة الألمانية خلال تلك الأزمة لم تقتصر آثارها على أوروبا وحدها، بل امتدت

إلى فلسطين، حيث ساهمت بشكل غير مباشر في تصعيد الهجرة اليهودية، وفي إعادة توجيه الاهتمام الدولي نحو هذه المنطقة الحساسة.

References:

1-AL-ADHAMI.M_ the national dimensions of the may 1941 revolution in Iraq. al jahiz publishing house,Baghdad,1981.

2- ABDEL HADI.A__ memoirs of awni abdel hadi, introduction and verification by khayriya qasimiya. center for arab unity studies,Beirut,2002.

3-ABDEL QADER, A_ the weapon of psychological terror under hitler and its impact on britain's position regarding the Czechoslovak crisis 1938-1939. Egyptian jornal of historical and civilizational studies ,issue 9,2020.

4-ABD AL-GHANI.A_ nazi Germany and Palestine 1933-1945. institute for Palestine studies ,Palestine , no place of publication.

5-ARSLAN.A_ memoirs of prince adel arslan, part one 1934-1945. edited by Youssef aybash, dar al-tagaddumiyya , 2nd ed, Lebanon ,2009.

6-BRITISH war office and Winston Churchill_ events in Iraq in 1941. translated by khia jaafar, al kashaf publishing house, lebanon, 1954.

7-BORAN. PH_ hitler and the jews. alaa al –din electronic library,manuscrites.com,2009.

8-CHUKOV.V_ Stalingrad the epic of the age. translated by Mohamed adnan murad, revised and edited by majid alaa al –din , no place of publication indicated ,all rights reserved by the publisher. 1st ed .1986.

9-DIDICH.A_ military dictatorships in Europe; Nazism in Germany as a model 1918-1945. Master's thesis, faculty of humanities and social sciences, department of history , specialization in contemporary history ,2015-2016.

10-DUNEY,H_ report of the royal commission to study the Hussein-mcmahon correspondence, march 16,1939,institute for Palestine studies.

11-DOCUMENTS ON GERMAN FOREIG POLICY 1918-1945. translated in to English by the government of the united states of America , washinton , d.c, 1954.

12-AL-EID.Y_ those who lost Palestine ;a brief account of its political history ,military battles, arab negligence and betrayals .all publication rights reserved by the author.

13-HAIDER.A_ _German politics towards the Palestinian cause and its development. Syrian public authority for book, DAMASCUS, ,2012.

14-HASHISHO. N_ _ German and Arab study in German relation, Dar nelson, edition 1, Damascus, , 2016.

15-HADDAD. O_ the Rashid ali al gaylani movement of 1941, alasriya library,sidon, no date of publication.

16-HERZZOG,L_ hitler's Germany and the arab east, translated bu mostafa ahmad abdel Rahim, introducation by abdel khaliq Mohamed lasheen , national center for translation,2015.

17-JARBOA.M_ exoneration hitler from the accusation of the holocaust. No date of publication, no place of publication indicated.

18-AL-JABOURI.M_ Germany 1789-1871; a study on the role of Prussia in the unification of Germany .doctoral dissertation, college of education ,humanities, department of education ,humanities ,department of history , al mustansiriya universitu,2004.

19-AL-KAYALI.A ___ the political encyclopedia. the arab -1 foundationfor studies and publishing , edition 1, Part 7 ,Beirut, 1979.

20-KASEM.Q_ a concise history of Europe in the twentieth century, central library ,university of diyala,2015.

21-KHDER. B _ _ Europe and Palestine from crusades untile today. arab unity studies center , edition1, Beirut, 2003.

22-KREIDEH.S_ the impact of the Rashid ali al gaylani movement in Iraq on nazi germany's relations with the French mandate states in the levant Syria and lebanon. dar al rashad for printing and publishing, Beirut, lebanon, 2018.

23-MIQDADI, I_ Zionist-british relations in Palestine1936-1948. master's thesis, faculty of arts , department of history and archaeology, Gaza. Palestine,2009.

24-MOSTAFA._ Britain and Palestine 1945-1949, a documentary study . al shorouk publishing house, , 1st ed , cairo, 1986.

25-MOHAFEZA.A_ German relations 1841-1945. arab foundation for studies and publishing, 1th ed, Beirut ,1981.
26-MOHAMMED.M_ the great powers between the two world wars(1914-1945). Baghdad, 1984.
27-MOTDEL.D_ in the path of god and the fuhrer ;nasism and islam in the second world war. translated by Mohamed salah ali, revised by Mohamed abdel aziz, al Jazeera center for studies,2021.
28-NUWAR.A AND NA'NAYI.A_ modern history Europe from the French revolution to the second world war,beirutlebanon. no date of publication.
29-AL-NA'IB.I_ the german question from its unification to its reunification. academy for awareness and cadre qualification,patriotic union of Kurdistan, sulaymaniyah,Iraq,2013.
30-AL- NATSHEH.R ET AL_ the modern and contemporary history of palestione. arab institution for studies and publishing, 1st ed ,Beirut lebanon,1991.
31-PASHA.S_ memoirs of sanderson pasha,physicianto the Iraqi family 1918-1946,translated and annotated by salim taha al tikriti, al muthanna library, Baghdad,1980.
32-QASIMIYA.KH_ memoirs and autobiographies as a source for the history of Palestine in the twentieth century. Jornal of Palestinian studies , vol.16, no.64,2005.
33-SNEDR,L; adolf hitler. translated and Arabized by tareq el_sayed khater,www.kotobarabia.com.
34-SUBH.A_ international conflict in the twentieth century, university institution for studies and publishing, Beirut, 1986.
35-AL-SAID.I_ nuri al said ;the statesman and the human being. isam al said foundation, London,1992.
36-AL-SAMAD.R_ international relations in the twentieth century. university institution for studies and publishing, Beirut,1986.
37-AL-SHAMMARI.N_ the jewish holocaust throughout history , a comparative political study. University of duhok jornal, Iraq, vol .24, no 1.
38-SHOUFANI.E_ a brief history of the political history of Palestine from the dawn of history until 1941, Palestinian studiesest,Beirut,without publishing date.
39-SHTANGER.R_ Germany and the middle east from Kaiser Wilhelm ll's visit to the orient in 1898 to the present, translated by Lawrence al

hannawi,revised by sayyid radwan ,alam al ma'rifah series,national council for culture,arts and letters,Kuwait,2018.

40−schwantiz.W_GERMANY AND THE MIDDLE EAST 1871−1945.

Frankfort,2004.

41-TAYLOR.A_ the origins of the first world war, translated by mostafa kamal khamees, revised by Mohamed anis , the Egyptian general book

42- Unspecified Author_ the severe European organization, Egypt, 1990. crises between 1936 -1939 through European diplomatic documents, al amir ghazi foundation for quranic thought ,2004-2005.

43-AL-UMAR.A_ memoirs of haj amin al husseini,al- ahali printing. publishing and distribution, Damascus Syria,1st ed,1999.

44-YAGHI.I_ the Rashid ali al gaylani movement a study in the development of the irag national movement. dar al tali's for printing and publishing , Beirut,1974.

45-YOUSSEF.A_ haj amin al husseini between ideology and political realism , a case study of the political elite, an-najah university jornal for research humanities, vol 21, no.2,2007.

46−Yahya.F_ Zionist relations with nazi Germany. Palestine research center ,Beirut−Lebanon, 1978

47-YASSIN.A. the nationalist movement in the twentieth century. center for arab unity studies, no place of publication, no date if publication.

48-ZAITER.A_ the palestin national movement 1935-1939, institute for Palestine studies,2nd ed, Beirut,1992.

49-AL- ZUBAIDI,K_ the mufti amin al husseini and his influence on Iraq politics. no place of publication, 1994.

50- youm7.com

51- bundespraesident.de

البعوث والسفارات النبوية
(صلح الحديبية والسفارة إلى هرقل أنموذجاً)

تقديم طالبة الدكتوراه: نور محسن العبد
قسم التاريخ- كلية الآداب – جامعة حمص
إشراف الدكتور: عبد السلام زيدان

ملخص البحث

شهدت السفارات تغيرات عديدة بظهور الدولة العربية الإسلامية، فأصبحت أهم من مجرد العلاقات التجارية، وأصبح للبعوث والسفارات منهجاً ذا قواعد ونظم محددة تعتمدها الدولة العربية الإسلامية في تسيير علاقاتها بغيرها من الدول، فلقد اقتضت طبيعة الرسالة أن يتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم من السفارات والبعوث وسيلة لنشر دعوته وسبيلاً إلى تأليف القلوب، ودستوراً في علاقاته العامة في الجزيرة العربية ومع الأمم من الشعوب الأخرى.

لما جاء الإسلام اجتمعت القبائل وتكونت دولة ذات نظام وإدارة منضبطة وقامت بينها وبين الممالك المجاورة كفارس وبيزنطة ومستعمراتهما علاقات سياسية،كان لها أثرها في معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم بأحوال الدول والمجتمعات المجاورة، وبمجرد تمكنه صلى الله عليه وسلم من ترسيخ دولة الاسلام في المدينة وعقده صلح الحديبية مع قريش فقد اتجه الى مراسلة الملوك والامراء يطلب منهم الدخول في الاسلام مما أدى إلى نشره في كثير من المناطق والدول خارج الجزيرة، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم هو المعلم الأول للسفراء المسلمين، وهو مؤسس نظام السفارات وواضع أصولها الثابتة وقواعدها المحددة ومنهاجها القويم الذي اتبعه خلفاؤه من بعده في سبيل بناء الدولة العربية الإسلامية والدفاع عن عقيدتها وكيانها إنه رسول السماء إلى الأرض، وهو المؤهل بالنبوة وبالتنشئة ليكون الإمام والحَكم والمصلح.

السفارات النبوية موضوع مهم يعكس التواصل الفكري أو المعرفي بين العرب المسلمين والأمم الأخرى،إذ أن تلك البعوث والسفارات كانت لسان حال السلطة العربية الإسلامية وما يناظرها من

سفارات لملوك وأمراء أمم اتصلت بالعرب عن طريق التجارة والحروب، لذلك مثلت تلك البعوث السفارات صورة مشرقة من الحوار السياسي والدبلوماسي،للتوصل إلى أسس المشتركات الدينية والثقافية بين الشعوب، ولذلك أسست تلك البعوث والسفارات في القرن الأول الهجري أسس وقواعد دبلوماسية لكل سفارات الخلفاء المسلمين في العصور الإسلامية الوسطى.

وسيقتصر البحث على شرح البعوث والسفارات النبوية المتبادلة في صلح الحديبية وسفارة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى هرقل وماأسفرت عنه من نتائج سياسية أو عسكرية أو إقتصادية.

الكلمات المفتاحية: صلح الحديبية_السفارة النبوية_ صفات السفيرالنبوي_رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم لملك الروم هرقل.

Research and prophetic embassies

(Baghdh Al -Hudaybiyah and the embassy to Hercules as a model)

Abstract

Summary of the research The embassies witnessed many changes in the emergence of the Arab -Islamic state, so they became more important than mere commercial relations, and the envy and embassies have a method with specific rules and systems adopted by the Arab Islamic state in the conduct of its relations with other countries, the nature of the message required that the Prophet (peace and blessings of God be upon him) take from the embassies and the envoy a means to spread his call and a way to compose hearts, and a constitution in its general relations in the Arabian Peninsula and with the other Arabs.

When Islam came, the tribes gathered and formed a state with a system of disciplined and established and established between them and the neighboring kingdoms as a knight, Bezantah and their colonies, political relations, had an impact on the knowledge of the Prophet (peace and blessings of God be upon him) in the conditions of countries and neighboring societies, and just: (peace and blessings of God be upon him) to consolidate the state of Islam in the city and its contract of Hudaybiyah with Quraysh, he went to the correspondence of the kings and princes asking them to enter Islam He published it in many regions and countries outside the island.

The prophetic embassies is an important topic that reflects the intellectual or cognitive communication between the Arabs and other nations, as these envoys and embassies were the mouthpiece of the Arab Islamic Authority and the consequences of the kings and princes And diplomatic rules for all embassies of Muslim caliphs in the middle Islamic ages.

The research will be limited to explaining the scholars and the prophetic embassies in the reconciliation of Al -Hudaybiyah and the Messenger of the Messenger(peace and blessings of God be upon him) to Hercules and the results of political, military or economic results

أولاً: المقدمة :

البعوث والسفارات تعد وسيلة مهمة من وسائل العلاقات الدولية السلمية إذ أنه يعد ذا طبيعة سلمية، وهو باب لإبرام المعاهدات والتوصل إلى الاتفاق، والبعوث والسفارات في العهد النبوي كانت تجرى لإنهاء المنازعات، أو التمكين من نشر الدعوة الإسلامية ،أو لمنع حدوث نزاع أو مواجهة عسكرية بين الأطراف المتنازعة، أو لإقرار علاقات حسن الجوار، أو لتقوية أواصر الود والتعاون، أو لإبرام المعاهدات الثقافية أو الاقتصادية.

لما بعث الله نبيه محمداً وأوحى إليه بالشـــريعة العامة، كان للســـفارة والســـفراء والمبعوثين دورهم ومكانتهم في الدعوة العربية الإســـلامية، وأخذت العلاقات العامة مظهراً جديداً، فإن كانت ســفارات العرب في الجاهلية قد قامت على الأسس التجارية، فإن سفارات الرسول صـلى الله عليه وسلم قد اسـتهدفت الدعوة إلى الإسـلام ونشـر الدين الجديد، لذلك اسـتهل الرسـول صـلى الله عليه وسـلم علاقاته الخارجية بإرسـال الرسـائل، وإيفاد المبعوثين من الصـحابة إلى الملوك والحكام، فضـلاً عن تلك الكتب التي بعثها الرسـول صـلى الله عليه وسـلم مع مندوبي القبائل الذين توافدوا عليه، على اختلاف موضـــوعاتها وأهدافها، وكان ذلك ســـبباً لتطور كبير في أغراض الســـفارات الســـياســـي والعسـكري والاقتصـادي، وامتيازات السـفراء، فقد اسـتقبل الرسـول صـلى الله عليه وسـلمالسـفراء والوفود، ورسـم القواعد الضـابطة لاسـتقبالهم وحقوقهم وامتيازاتهم، وبعث الرسـول صـلى الله عليه وسلم الرسل والسفراء والمبعوثين خلال العهد النبوي وكان الرسول صلى الله عليه وسلم هو المعلم الأول والقدوة المثلى للسفراء.

أهمية البحث :

يتناول هذا البحث موضوع البعوث والسفارات النبوية المتبادلة في صلح الحديبية وسفارة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى هرقل وما أسفرت عنه من نتائج سياسية أو عسكرية أو اقتصادية، وتتجلى أهمية البحث من أهمية الموضوع لكونه يلقي الضوء على عدة أمور منها: جاء عنوان البحث البعوث والسفارات النبوية (صلح الحديبية والسفارة إلى هرقل أنموذجاً) ليسلط الضوء على دور السفراء والمبعوثين في عهد الرسول محمدصلى الله عليه وسلم وأثرهما في الإسلام والإنسانية، وتم التركيز على العهد النبوي لأنه المنطلق الأول والتشريع الأصيل للعلاقات السلمية بين الجماعات والدول، وبالتالي فإن أي تشريع أو عمل لا ينطلق من هذه الرحمة للعالم لن يكون ضمن جوهر الرسالة الإسلامية.

قدمت لنا السفارات النبوية دروساً في فن الحكم والتدبير السياسي، حيث أظهرت كيفية التعامل مع القادة السياسيين وكيفية الدعوة إلى الإسلام بحكمة ومرونة وهذا يبرز الفهم العميق للأمور السياسية، ووجود رؤية إستراتيجية وتوجيه واضح في القيادة، والرغبة في تحقيق السلام والتعايش السلمي في العالم، وكيفية التفاوض والحوار مع القادة الآخرين وبناء علاقات سلمية، ونشر القيم السياسية والإنسانية والدينية التي يمكن أن تسهم في تطوير المجتمعات وبناء علاقات دولية أفضل.

الهدف من البحث:

يكمن الهدف من اختيار البعوث والسفارات النبوية (صلح الحديبية والسفارة إلى هرقل أنموذجاً) من عدة أسباب:

1- أن العهد النبوي بقسميه المكّي والمدني، كان مرحلة تأسيس وبناء لكيان الدولة العربية الإسلامية، ووضع الأسس العامة التي سوف تحكم مسيرة الأمّة على طول التاريخ، ولقد قامت الدولة الجديدة على أساس الإسلام في كل شيء، سياستها، وحربها، وسلمها، وصِلاتها بالأفراد والجماعة، ثم انتشرت قوية راسخة في شرق العالم وغربه تقدم للناس أروع ما عرفته الإنسانية من مظاهر الحضارة والمدنية الصحيحة.

2- إن دولة الإسلام هي أول دولة ابتكرت نظاماً لتأمين دولتها داخلياً وخارجياً، حيث شهدت الفترة النبوية في العهد النبوي إرسال واستقبال سفارات وبعوث بدوافع مختلفة منها: السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والدينية.

أمام ما سبق ذكره يتجلى الهدف الأساسي من البحث في الكشف عن الدور الذي قامت به سفارات وبعوث الرسول صلى الله عليه وسلم بما يثبت أركان الدولة العربية الإسلامية وتحقيق انتصاراتها.

إشكالية البحث:

وبعد ظهور الإسلام نشطت الحياة الدبلوماسية للعرب حتى أصبح العرب هم المحرك الأساسي للعلاقات الدولية، حيث أسس الرسول صلى الله عليه وسلم لنظام سياسي راقٍ عرف بالتمثيل الدبلوماسي من خلال هؤلاء المبعوثين والسفراء الذين كان لهم الدور الأساسي والهام في تمثيل الإسلام ونشر رسالته، حيث يعد دورهم هذا نقطة تحول هامة في سياسة الدولة العربية الإسلامية الخارجية فقد عظُم شأنها بين الدول، والداخلية حيث مهدت لتوحيد الرسول لسائر أنحاء بلاد العرب.

حملت السفارات العربية قيماً إنسانية واجتماعية للحكم والقيادة، حيث أكدت أن العدل أساس نجاح أي حُكم، وأبرزت أهمية التسامح والصفح بحل النزاعات بطرق سلمية،ويمكن الاستفادة منها في قيادة مجتمعات أكثر عدالة ورفاهية و لذا فإشكالية البحث تتمثل في أكثر من جانب أهمها: أهمية دراسة دور هؤلاء المبعوثين والسفراء السياسي والعسكري والاقتصادي في عهد الرسول محمدصلى الله عليه وسلم، إضافة إلى تشتت المادة العلمية في المصادر والمراجع على اختلاف اختصاصاتها، وبين كتب الحديث والتاريخ والسيرة والتراجم والمعاجم والأدب إذ يرد النص في مصادر متعددة وذلك سيلتزم الترجيح والتدقيق واعتماد الأقرب إلى الحقيقة والصواب.

قلة اهتمام الدراسات والأبحاث بالدور السياسي والعسكري والاقتصادي للمبعوثين والسفراء في العهد النبوي، فلم أجد خلال البحث دراسة مستفيضة تناولت ذلك، إذ أن معظم الأبحاث تركز على مضامين أشهر الرسائل الواردة في الفترة المدنية مهملة الفترة المكية وكيف تجلى الدور السياسي والعسكري والاقتصادي للبعوث والسفارات في هذه الفترة في ترسيخ دعائم الدولة العربية الإسلامية.

من هنا فإن هذا البحث يطرح العديد من الإشكالات أهمها :

1- ما هي الشروط والمواصفات التي وضعها الرسول الكريم محمدصلى الله عليه وسلم للأشخاص الذين يختارهم للبعثة أو السفارة؟
2- ما الوسائل والأساليب التي استخدمها الرسول صلى الله عليه وسلم في عقد صلح الحديبية ؟
3- ما هو الدور السياسي والاقتصادي والعسكري لسفارة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى هرقل ؟
4- كيف استطاعت سفارات الرسول صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية من التأثير على سير الأحداث في العهد النبوي؟
5- ماهي أهم النتائج التي حققتها البعوث والسفارات النبوية؟

هذه الأسئلة حاول البحث الإجابة عنها بغية الوصول إلى مقاربة الحقائق التاريخية المتصلة بموضوع البحث.

منهج البحث:

لقد اعتمد البحث على المنهج العلمي التاريخي بشقيه الوصفي والتحليلي في دراسة الأصول والمصادر الكتابية من أجل الوصول للنتائج الصحيحة، واستقراء كافة المعلومات الواردة في المراجع العربية والمعربة، والقيام بتحليلها ونقدها والمقارنة بين النصوص لاستنباط رؤية جديدة في مجال

البعوث والسفارات النبوية (صلح الحديبيةوالسفارة إلى هرقل أنموذجاً) للوصول إلى النتائج المنشودة والأقرب للحقيقة التاريخية.

البعوث والسفارات في العهد النبوي:

تمكن الرسول صلى الله عليه وسلمأن يستحدث دولة بنظام قانوني داخلي ودولي يضاهي الدول المعاصرة له، بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم بمخاطبة الملوك والأمراء وشيوخ القبائل، واختيار السفراء والمبعوثين لحمل رسائله لهم،ووضع القواعد لكيفية استقبال الرسول صلى الله عليه وسلم للسفراء والوفود، وطريقة التفاوض معهم ومنحهم الامتيازات والحصانات الدبلوماسية، وعقد الصلح والهدنة والتحالف مع الآخرين وتسوية المنازعات بالوسائل السلمية، وتبادل التهاني والتعازي وقبول الهدايا وإرسالها لمن يراه أهلاً لها، واختياره البعوث والقضاة وإرسالهم إلى القبائل، ودور الرسول صلى الله عليه وسلمفي إدارة العلاقات الدبلوماسية في وقتي السلم والحرب،كانت مهمة المبعوث أو السفير تنتهي بانتهاء مقابلته للملك أو الامبرطور.

عرف الإسلام نظامي اللجوء الإقليمي واللجوء السياسي وطبقهما الرسول صلى الله عليه وسلم وإن اختلفت تسميتها، وكان للجوء الإقليمي السياسي الدور الكبير في حماية المسلمين من الاضطهاد الذي تعرضوا إليه من المشركين في مكة، مثل لجوء عدد من الصحابة إلى الحبشة، ولمّا استقرت الأمور الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة، أي لما فرغ من تنظيم علاقة ساكنيها على اختلاف طوائفهم مع بعضهم بعضاً، قام بخطوة جريئة في مجال العلاقات الخارجية، تمثلت في مخاطبة ملوك الدول غير الإسلامية، ودعوتهم إلى الإسلام، كما أمره ربه.

كان للسفارة والسفراء والمبعوثين دورهم ومكانتهم في الدعوة العربية الإسلامية، وأخذت العلاقات العامة مظهراً جديداً، فإن كانت سفارات العرب في الجاهلية قد قامت على الأسس التجارية، فإن سفارات الرسول صلى الله عليه وسلم قد استهدفت الدعوة إلى الإسلام ونشر الدين الجديد، لذلك استهل الرسول صلى الله عليه وسلم علاقاته الخارجية بإرسال الرسائل، وإيفاد المبعوثين من الصحابة إلى الملوك والحكام، فضلاً عن تلك الكتب التي بعثها الرسول صلى الله عليه وسلم مع مندوبي القبائل الذين توافدوا عليه، على اختلاف موضوعاتها وأهدافها، وكان ذلك

سبباً لتطور كبير في أغراض السفارات السياسي والعسكري والاقتصادي، وامتيازات السفراء، فقد استقبل الرسول صلى الله عليه وسلمالسفراء والوفود، ورسم القواعد الضابطة لاستقبالهم وحقوقهم وامتيازاتهم، وبعث الرسول صلى الله عليه وسلم الرسل والسفراء والمبعوثين، فكان أول من أوفد السفراء إلى ملوك العالم والقبائل يدعوهم إلى الإسلام، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم هو المعلم الأول والقدوة المثلى للسفراء.[1]

قسم العهد النبوي إلى قسمين المكّي والمدني، كان مرحلة تأسيس وبناء لكيان الدولة العربية الإسلامية، ووضع الأسس العامة التي سوف تحكم مسيرة الأمّة على طول التاريخ، ولقد قامت الدولة الجديدة على أساس الإسلام في كل شيء، سياستها، وحربها، وسلمها، وصِلاتها بالأفراد والجماعة، ثم انتشرت قوية راسخة في شرق العالم وغربه تقدم للناس أروع ما عرفته الإنسانية من مظاهر الحضارة والمدنية الصحيحة.

أولاً: صفات السفراء التي أرسلهم الرسول صلى الله عليه وسلم:

اهتمت الأمم قديماً وحديثاً في اختيار من يسفر عنها في مهمة بينها وبين أمة أخرى، فيتم اختيار السفراء عادة من بين الصفوة الصالحة ممن عرفوا بالذكاء ومن ذوي الأقدار، علماً ونسباً وخلقة، ولا يجوز أن تعهد مهمة السفير إلى ذي عاهة أو ممن عرفوا بالدمامة أو قلة التجربة، وقد كان هذا هو العرف السائد والمتعارف عليه عند العرب في الجاهلية وفي الإسلام،[2] وحين ننظر إلى أعمال هؤلاء السفراء وأقوالهم ندرك دورهم في الدعوة إلى الله تعالى، حيث اختار الرسول صلى الله عليه وسلم لهذه المهمة النخبة من صحابته ممن تتوافر فيهم صفات تؤهلهم لتولي هذه المهمة، وقبل إرسالهم إلى المهمة الموكلة لهم كسفراء للرسولصلى الله عليه وسلم جمع الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه وقال لهم:أيها الناس إن الله بعثني رحمة وكافة، وإني أريد أن أبعث بعضكم إلى ملوك العجم، فأدوا عني يرحمكم الله، ولا تختلفوا علي كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريمﷺ، قالوا وكيف يا رسول الله كان اختلافهم؟ قال: دعاهم لمثل ما دعوتكم له، فأما من قرب به فأحب وسلم، وأما من بعد به فكره وأبى، فشكا ذلك عيسىﷺ منهم إلى الله، فأصبحوا وكل رجل

1_ ضميرية(عثمان): السفارة والسفراء في الإسلام، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت،1997م،ص15.

2_ الجبوري _الهاشمي(أحمد_إياد): التاريخ الدبلوماسي،دار الفكر موزعون وناشرون، عمان، 2015،ص25.

منهم يتكلم بلغة القوم الذين وجه إليهم، [1]فالرسول صلى الله عليه وسلم أراد أن يطمئن إلى وحدة الصف الداخلي وهذا يشكل دعماً للرسول قبل التوجه إلى السياسة الخارجية.

تميز هؤلاء السفراء بعدة صفات أهمها:

1- أن يتصف السفير أو المبعوث بحسن المظهر من الاسم واللقب ووسامة الوجه وجهور الصوت وجمال المظهر،[2] وأن يكون غير مصاب بعاهة أو تشويه، فقد كان يقال: ثلاثة تدل على ثلاثة الهدي على المهدي، والكتاب على الكاتب، والرسول على المرسل،[3]وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكون السفير جميل الوجه والاسم:"إذا بعثتم إليَّ بريداً فابعثوه حَسَن الوجه،حَسَنَ الاسم"،[4]وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يهتم بهذا الجانب فمن ضمن سفراء الرسول صلى الله عليه وسلم دحية الكلبي[5]إلى قيصر الروم وكان يضرب به المثل في حسن الصورة، وكان جبريل عليه السلام ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلمفي صورته في أكثر من مرة.[6]

1_ ابن هشام(عبد الملك، ت: 218هـ/ 833م): السيرة النبوية، تح، عمر التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1990م،ج4،ص253؛ الطبري(محمد بن جرير،ت: 310هـ/ 923م):تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك، تح،محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر،ط2، 1967م،ج2،ص645، وسيرد في البحث باسم تاريخ الرسل والملوك.

2_ حسين(ناهد): السفارات العربية- البيزنطية في العصرين الراشدي والأموي، مجلة جامعة حمص،العدد5،حمص، مج45، 2023م،ص57.

3_ابن وهب الكاتب(إسحاق بن إبراهيم،ت:335هـ/947م):البرهان في وجوه البيان،تح،جفني محمد شرف،مطبعة الرسالة،القاهرة،1969م، ص173.

4 _ الألباني (محمد ناصر الدين): سلسلة الأحاديث الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض، 1995م، رقم الحديث1186،ج3،ص182.

5_ دحية بن خليفة الكلبي (ت:45هـ / 665م): ، صحابيٌّ مشهور، أسلم في بدء الإسلام، شهد مع الرسول صلى الله عليه وسلم غزواته كلها عدا بدراً، عاصر الخلفاء الراشدين الأربعة ﷺ، وشهد معركة اليرموك، ثم انتقل إلى الشام في خلافة معاوية، وتوفي فيها، ابن حبان(محمد البستي، ت:354هـ/956م): تاريخ الصحابة الذين روي عنهم الأخبار،تح،بوران الضناوي، دار الكتب العلمية،بيروت،1988م، رقم الترجمة404 ،ص94، وسيرد في البحث باسم تاريخ الصحابة.

6_ ابن حبان : تاريخ الصحابة، رقم الترجمة404، ص94.

2- أن يتمتع السفراء بالفهم الدقيق للإسلام، وإحاطتهم التامة بكل ما نزل من القرآن الكريم وبكل ما حدث به الرسول صلى الله عليه وسلم، فالسفير مصعب بن عمير [1] اختاره الرسول صلى الله عليه وسلم ليكون سفيره إلى المدينة المنورة قبل هجرته إليها، لأنه من أعلم الصحابة كان يحفظ كل ما نزل من القرآن، وكان يتصف باللباقة والذكاء والهدوء والصبر، وهو خير قدوة فقد ترك المال من أجل الدعوة الإسلامية، وكان من أشراف أهل مكة من بني عبد الدار الذين يحملون مفتاح الكعبة، وكانوا حجاب البيت الحرام. [2]

3- أن يكون لدى السفراء خبرة واسعة بالجهات التي ذهبوا إليها، وبالناس الذين تحدثوا معهم، ولذلك كانوا يتكلمون معهم، ويناقشونهم في عقائدهم حديث الخبير الذي يعرف حقائق الشيء ظاهراً وباطناً ويدرك حاجته ومراميه، فالسفير دحية الكلبي [3]أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم إلى قيصر الروم وكانت له معرفة ببلاد الشام.[4]

4- اتصافهم بسرعة مواجهة المواقف المفاجئة، وحسن الحيلة، وبذلك تخلصوا من الانفعال والعصبية، وتمكنوا من تحقيق الغاية التي ذهبوا إليها. [5]

5- تمتعهم بحسن الفهم، وحسن الخطاب، وحسن العرض، ولذلك كانوا يتكلمون مع من يحادثهم في مسائل هامة، في بداهة عالية، وهدوء رصين، ودقة ملتزمة بتعاليم الإسلام.[6]

1_مصعب بن عمير القرشي(ت:3هـ/625م)، كان يلقب بمصعب الخير، كان من السابقين إلى الإسلام، أسلم في مكّة وكتم إسلامه، فعلم به أهله فأوثقوه وحبسوه، فهرب مع من هاجر إلى الحبشة ثم رجع إلى مكّة، ثم هاجر إلى المدينة المنورة، واستشهد في غزوة أحد ابن سعد (محمد بن منيع الزهري، ت: 230هـ/ 845م): كتاب الطبقات الكبير، تح، علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2001م، رقم الترجمة57، ص107؛ الأصبهاني(أحمد بن عبد الله،ت:430هـ/1038م):معرفة الصحابة،تح،عادل العزازي،دار الوطن، الرياض، 1998م،رقم الترجمة 2724،ج5،ص2556.

2_ برنعش(محمد حسن): مصعب بن عمير الداعية والمجاهد، دار القلم، دمشق،ط6، 1999م، ص41.

3_ابن حبان: تاريخ الصحابة رقم الترجمة404،ص94.

4_ الذهبي (محمد بن أحمد، ت : 748 هـ /1347م): سير أعلام النبلاء، اعتنى به، حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، بيروت، 2004م، ج2، ص1657.

5_ الأعسم(خليل):النظام الدبلوماسي في الشريعة الإسلامية، د.د، بغداد،1996م، ص97.

6_ غلوش(أحمد): السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي،مؤسسة الرسالة،د.م،2003م،ص583.

6- الإيمان العميق بالإسلام والولاء المطلق له ولذلك وفوا لإيمانهم، وحافظوا على حقوق محدثيهم وعرضوا قضيتهم بكل صدق، ووضوح، بلا تردد أو مداراة، وكانت دعوتهم دعوة عملية صريحة، وقد استشهد عدد من سفراء الرسول صلى الله عليه وسلمفي سبيل نشر الدعوة الإسلامية. [1]

7- شجاعتهم الشخصية النابعة من ثقتهم في الله، واعتزازهم بالانتساب إليه جعلهم يؤكدون صدق الإسلام وإن خالف ما عليه الناس ويناقشون الملوك والرؤساء وهم فرادى، وسط أبهة الملك، وقوة السلطان.

8- أن يكون السفير كفؤاً، ويجب أن تتوافر الكفاءة بشقيها الفطري والمكتسب، مثال الفطري:الذكاء والفطنة وسرعة البديهة واللياقة والصبر والحُلم والكرم والشجاعة،ومثال المكتسب:التعلم والتدرب،وهذا ما يجعل السفير متميزاً في أداء مهمته،فعرف عن سفراء الرسول صلى الله عليه وسلمتحليهم بحسن الخلق، والصبر الجميل ومراعاة حق مخاطبيهم في الفهم والمعرفة ولذلك كانوا يشرحون، ويوضحون ويجيبون على أي تساؤل يوجه إليهم، وهذا ما أكده ابن الفراء بقوله:" اختر لرسالتك في هدفك والنيابة عنك رجلاً حصيفاً بليغاً،ذا رأي جزل وقولٍ فصل،محتالاً في محاورته، واضح الصَّوت، حسن المنظر،جيد العبارة"،[2]وقد تجلت تلك الصفات في سفارة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة، وتم اختيار جعفر بن أبي طالبﷺ [3]لترأس وفد المسلمين المهاجرين إلى الحبشة لأنه خطيب مفوه يستطيع إيصال

1_ خطاب(محمود):سفراء الرسول صلى الله عليه وسلم،مؤسسة الريان،بيروت،1996م،ج2، ص257.

1- ابن الفراء(الحسين بن محمد، ت:458هـ/1066م): رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، تح، صلاح الدين المنجد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1947م،ج2،ص117.

3_ جعفر بن أبي طالب(ت:8هـ/629م): أخو الخليفة علي ﷺ، كان يكنيه الرسول صلى الله عليه وسلم أبا المساكين،هاجر هجرتان: هجرة إلى الحبشة، وهجرة إلى المدينة المنورة، وآخى الرسول صلى الله عليه وسلم بينه وبين معاذ بن جبل، شهد غزوة مؤتة(8هـ،/629م) مع الروم، واستشهد فيها بعد أن قطعت يداه لحمله راية المعركة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أن الله أبدله بهما جناحين يطير بهما في الجنة" فسمي جعفر الطيار، ابن الأثير(علي بن أبي الكرم محمد، ت:630هـ/ 1233م): أسد الغابة في معرفة الصحابة، تح،علي معوض، عادل الموجود،تقديم، محمد البري،عبد الفتاح أبورستة، جمعة النجار،دار الكتب العلمية، بيروت،د.ت، رقم الترجمة759،ج1،ص543.

الكلام بأفضل صورة، ولأنه من أشراف مكة، هاشمي قرشي وابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم.[1]

9- أن يتحلى السفير بالأخلاق الحميدة، كالصدق والرحمة والتواضع، وأن لا يكون فيه العيوب التالية:" الحدَّة فإن صاحبها ربما فقد عقله،الحسد لأن الحاسد لا يحب أن يرى حالاً مستقيمة لأحد،الغفلة فالغافل لا يضبط ما يحمله عنك،العجلة فإن صاحبها يضع الأشياء في غير مواضعها،النميمة فلا ينجح لمستعملها طلبه، الهذر فإن من كُثر كلامه كُثر سقطه، الضجر فليس للضجور صبر على حفظ الأسرار في رسالته".[2]

10- أن يكون السفير أصيل النشأة وممن ينتسبون إلى أسرٍ عريقة بالمنزلة الاجتماعية،[3]وهذا يكون له أكبر الأثر في قبول السفير ونجاح مهمته، ويستطيع أن يتخذ لكل نوع من التحدي ما يليق به من استجابة، وسنرى هذا واضحاً في اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم لسفرائه، فعندما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرسل سفيراً لتبليغ قريش رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية، وقع اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم في بداية الأمر على عمر بن الخطابﷺ ، فاعتذر لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الذهاب إليهم، وأشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث عثمانﷺ مكانه لأن له قبيلة تحميه من أذى المشركين حتى يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمانﷺ فقال:" اذهب إلى قريش فخبرهم أنا لم نأتِ لقتال أحد، وإنما جئنا زواراً لهذا البيت، معظمين لحرمته، معنا الهدي، ننحره وننصرف".[4]

كما راعى البيزنطيون هذه الصفات في اختيار سفرائهم، فإنها لا تختلف كثيراً عن المسلمين من الكفاءة، وحسن التصرف والذكاء واللياقة وسعة الثقافة، فقد كان السفراء يختارون سفراءهم من

1_ خطاب:سفراء الرسول صلى الله عليه وسلم،ج2، ص259.

2_ ابن وهب الكاتب:البرهان في وجوه البيان، ص174.

3_سفر(حسن):السفارات في النظام الإسلامي،جامعة الملك عبد العزيز،جدة،1997م،ص25.

4_ابن هشام: السيرة النبوية،ج3،ص261؛ ابن خياط(خليفة بن خياط،ت:240هـ/854م): تاريخ خليفة بن خياط، تح،أكرم ضياء العمري،دار طيبة، الرياض،ط2،1958م،ص81.

بين الخطباء وكان يسمونهم بالرسل، فقد كان مجلس الشيوخ هو الذي يعينهم ويزودهم بالتعليمات وأوراق الاعتماد. [1]

ثانياً: البعوث المتبادلة في صلح الحديبية(6هـ /627م):

التفاوض يعد وسيلة مهمة من وسائل العلاقات الدولية السلمية إذ أنه يعد ذا طبيعة سلمية، وهو باب لإبرام المعاهدات والتوصل إلى الاتفاق، والمفاوضات في العهد النبوي كانت تجرى لإنهاء المنازعات، أو التمكين من نشر الدعوة الإسلامية ،أو لمنع حدوث نزاع أو مواجهة عسكرية بين الأطراف المتنازعة، أو لإقرار علاقات حسن الجوار، أو لتقوية أواصر الود والتعاون، أو لإبرام المعاهدات الثقافية أو الاقتصادية.[2]

إن أهم ما يشار إلى العلاقات بين المسلمين والمشركين خلال هذه المرحلة هو عقد الرسول صلى الله عليه وسلم صلح الحديبية (6هـ/ 627م) وسبب هذه الغزوة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رؤيا في منامه وهو في المدينة أنه قد دخل مكة مع أصحابه المسلمين محرماً مؤدياً للعمرة، وقد ساق الهدي معظماً للبيت مقدساً له، فلما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بذلك، تهيئوا لتلك الزيارة العظيمة، واستنفرصلى الله عليه وسلم أهل البوادي والأعراب ليخرجوا معه، لأنه كان يخشى أن تصده قريش عن البيت الحرام.[3]

وانتشر خبر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم بين قبائل العرب، وكان انتشار الخبر له أثر في الرأي العام، وخصوصاً بعدما أكد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه لا يريد حرباً، وإنّما يريد أن يعتمر ويعظم شعائر الله،وحقق هذا الفعل الكريم مكاسب إعلامية رفيعة المستوى، وقد كان هدف الرسول صلى الله عليه وسلم معلناً ألا وهو زيارة بيت الله الحرام لأداء العمرة، وأحرم بالعمرة

1_ حسين: السفارات العربية– البيزنطية في العصرين الراشدي والأموي، مج45،ص57.
2_ الزحيلي(وهبة): المفاوضات في الإسلام(بين الأصالة والمعاصرة)،دار المكتبي،دمشق،1996م، ص7.
3_ ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط،ص81؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص620.

من ذي الحليفة [1] وقد كان صلى الله عليه وسلم على جانب كبير من الحيطة والحذر،[2]فقد أرسل بُسْر بن سفيان الخزاعي[3] عيناً له، وقدم بين يديه طليعة استكشافية مكونة من عشرين رجلاً، وبعث إلى المدينة من يحمل له السلاح،[4]وكان هدفهصلى الله عليه وسلم من ذلك الاستعداد للطوارئ التي يمكن أن يفاجأ بها، وأيضاً فقد كانت مهمة هذه الطليعة استكشاف خبر العدو، والاستعداد لهؤلاء الأعداء، الذين يملكون السلاح والعتاد ما يستطيعون به إلحاق الأذى بالمسلمين والنيل منهم، ولما فيه من درء مكايد الأعداء الذين يتربصون بالمسلمين الدوائر .

لما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان [5] لقيه بُسر بن سفيان الكعبي الخزاعي، فقال: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذه قريش قد سمعت بمسيرك ومعها العوذ المطافيل، [6] قد لبسوا جلود النمور يعاهدون الله ألا تدخلها عليهم عنوة أبداً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" يا ويح قريش لقد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر الناس؟ فإن أصابوني

1_ ذو الحُلَيفة: قرية بظاهر المدينة المنورة على طريق مكَّة بينها وبين المدينة المنورة 9كم، تقع بوادي العقيق عند سفح جبل عَيْر الغربي، البكري (عبد الله بن عبد العزيز، ت: 487 هـ / 1094م): معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تح وضبط، مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، 1945م،ج2،ص464، وسيرد في البحث باسم معجم ما استعجم؛ الحموي(ياقوت بن عبد الله ، ت: 626هـ / 1228م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1993م، مج2،ص295.

2_ ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير،ج2،ص91

3_ بشر بن سفيان الكعبي الخزاعي:كان شريفاً كتب إليه الرسول صلى الله عليه وسلم يدعوه للإسلام فأسلم سنة(6هـ/ 627م) كان عيناً للرسول صلى الله عليه وسلم في قصة الحديبية، ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، رقم الترجمة849، ج5، ص187؛ الأصبهاني: معرفة الصحابة،رقم الترجمة317،ج1،ص415.

4_ الزهري(محمد بن مسلم بن عبيد الله، ت: 124 هـ/742م):المغازي النبوية، تح،سهيل زكار، دار الفكر، دمشق،1981م، ص50؛ الواقدي (محمد بن عمر، ت: 207 هـ/823م): المغازي، تح، مارسدن جونز، عالم الكتب، بيروت، د.ت،ج2، ص574؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج2،ص621.

5_ عسفان:بلدة تقع شمال غرب مكة المكرمة، وسميت بذلك لتعسف السيول بها، الحموي: معجم البلدان، مج4،ص121.

6_ العوذ المطافيل: والعوذ جمع عائذ: وهي الناقة إذا وضعت وبعد ما تضع أياماً حتى يقوى وليدها،والمطافيل جمع مطفل وهي الناقة التي معها ولدها،وهي استعارة يقصد النساء مع أطفالهم، مجموعة مؤلفين:المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 2004م، ص635.

كان الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وهم وافرون، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فماذا تظن قريش؟ والله إني لا أزال أجاهدهم على الذي بعثني الله له حتى يظهر الله له أو تنفرد هذه السالفة"،[1] وقد استشارصلى الله عليه وسلم أصحابه لما بلغه خبر استعداد قريش لصده عن دخول البيت الحرام، وعرض صلى الله عليه وسلم على الصحابة المشورة في هذا الأمر وتقدم أبو بكر الصديقﷺ برأيه بترك قتالهم والاستمرار على ما خرج له من أداء العمرة حتى يكون بدء القتال منهم، فاستحسن الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الرأي، وأخذ به وأمر الناس أن يمضوا في هذا السبيل. [2]

ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قريشاً قد خرجت تعترض طريقه وتنصب كميناً له ولأصحابه بقيادة خالد بن الوليد، وهو لم يقرر المصادمة، رأى أن يغير طريق الجيش الإسلامي تفادياً للصدام مع المشركين، فنزل في مهبط الحديبية من أسفل مكة، فسلك الجيش ذلك الطريق بخفة ودون أن يشعر به أحد، فعاد خالد مسرعاً هو ومن معه إلى مكة يحذر أهلها، ويأمرهم بالاستعداد لهذا الحدث المفاجئ، وفوجئوا بنزول الجيش الإسلامي بالحديبية حيث تعرضت مكة للخطر، وأصبحت مهددة من المسلمين تهديداً مباشراً،[3] وعندما اقترب الرسول صلى الله عليه وسلم من الحديبية، بركت ناقته القصواء، فقال الصحابة: خلأت القصواء ، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: "ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل"، ثم قال: "والذي نفسي بيده لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها"، ثم زجرها فوثبت ثم عدل عن دخول مكة، وسار حتى نزل بأقصى الحديبية. [4]

1_ الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج2،ص621؛الثعالبي(عبد العزيز):الرسالة المحمدية، تح،صالح الخرفي، دار ابن كثير، دمشق، 1997م،ص391.

2_ الفيتوري(عبد الحكيم): صلح الحديبية وأبعاده السياسية المعاصرة،دار المدني، القاهرة،ط3، 2005م، ص7.

3_ ابن إسحاق(محمد بن إسحاق بن يسار،ت:151هـ/768م): السيرة النبوية، تح، أحمد المزيدي، دار الكتب العلمية،بيروت، 2004م،ج2، ص455.

4_ الزهري: المغازي النبوية،ص51؛ ابن هشام: السيرة النبوية،ج3،ص657؛ البيومي(محمد رجب): في ظلال السيرة النبوية، دار الكلمة، المنصورة،2009م،ص119.

أ- البعوث بين الرسول صلى الله عليه وسلم وقريش:

بذل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما في وسعه لإفهام قريش أنه لا يريد حرباً معهم، وإنما يريد زيارة البيت الحرام وتعظيمه وهو حق للمسلمين، كما هو حق لغيرهم، وعندما تأكدت قريش من ذلك أرسلت إليه من يفاوضه، ويتعرف على قوة المسلمين ومدى عزمهم على القتال إذا أُلجئوا إليه، وطمعاً في صد المسلمين عن البيت بالطرق السلمية.

1- بعث بُديل بن ورقاء: [1]

جاء بُدَيل بن ورقاء في رجال من خزاعة، وبينوا أن قريشاً تعتزم صد المسلمين عن دخول مكة، فأوضح لهم الرسول صلى الله عليه وسلم سبب مجيئه، وذكر لهم الضرر الذي وقع على قريش من استمرار الحرب، واقترح عليهم أن تكون بينهم هدنة إلى وقت معلوم حتى يتضح لهم الأمر، وإن أبوا فلا مناص من الحرب، ولو كان في ذلك هلاكه، فنقلوا ذلك إلى قريش، وقالوا لهم: يا معشر قريش إنكم تعجلون على محمد، إن محمداً لم يأت لقتال، وإنما جاء زائراً هذا البيت، فاتهموهم وخاطبوهم بما يكرهون، وقالوا: وإن كان إنما جاء لذلك فلا والله لا يدخلها علينا عنوة أبداً ولا تتحدث بذلك العرب. [2]

2- بعث عروة بن مسعود الثقفي: [3]

1_ بديل بن ورقاء الخزاعي: أسلم هو وابنه يوم فتح مكة، وشهد حنين والطائف وتبوك، وكان من كبار مسلمة الفتح،وشهد حجة الوداع مع الرسول صلى الله عليه وسلم،ابن سعد:كتاب الطبقات الكبير،رقم الترجمة858،ج5،ص198.

2_ ابن إسحاق: السيرة النبوية،ج2، ص457.

3_ عروة بن مسعود الثقفي:صحابي وزعيم ثقيف وهو أحد وجوه العرب، بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أهل الطائف يدعوهم إلى الإسلام فقتلوه سنة8هـ/630م، ابن سعد:كتاب الطبقات الكبير،رقم الترجمة 2487،ج8،ص64؛ الطبراني (سليمان بن احمد، ت: 360 هـ / 970م): المعجم الكبير، تح، حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، د.ت،ج17،ص148.

لم تقبل قريش ما نقله بديل بن ورقاء الخزاعي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه جاء زائراً للبيت ولم يأت مقاتلاً، واتهمتهم، بل وأسمعتهم ما يكرهون، فاقترح عليهم عروة بن مسعود الثقفي أن يقابل الرسول صلى الله عليه وسلم ويسمع منه، ثم يأتيهم بالخبر اليقين فأتى وجعل يكلم الرسول صلى الله عليه وسلم، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم نحواً من قوله لبديل، فقال عروة عند ذلك:" أي محمد، أرأيت إن استأصلت أمر قومك، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى فإنني والله لا أرى وجوهاً، وإني لأرى أشواباً من الناس خليقاً أن يفروا ويدعوك، فقال أبو بكر: أنحن نفر عنه وندعه؟ فقال: من ذاك؟ قالوا: أبو بكر، قال: أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتك". [1]

كان أحد الذين يتولون حراسة الرسول صلى الله عليه وسلم أثناء محادثاته مع عروة بن مسعود الثقفي في الحديبية هو المغيرة بن شعبة [2]وكان من عادة الجاهلية في المفاوضات، أن يمسك المفاوض بلحية الذي يراه ندّاً له أثناء الحديث، وعلى هذه القاعدة كان عروة بن مسعود يمسك بلحية رسول الله صلى الله عليه وسلم أثناء المناقشة، الأمر الذي أغضب المغيرة بن شعبة الذي كان قائماً على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف يحرسه فانتهر عمه وقرع يده بقائم السيف قائلاً له: اكففْ يدك عن مس لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن لا تصل إليك، فقال للنبي

1_ الزهري: المغازي النبوية،ص52؛ البخاري (محمد بن إسماعيل، ت: 256هـ / 869م): صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق، 2002م، رقم الحديث 2731، ص670.

2_ المغيرة بن شعبة(ت:50هـ/670م): عرف بالشجاعة والمكيدة والدهاء، وكان قبل أن يهديه الله للإسلام غير ما كان عليه بعد دخوله للإسلام حوله إلى إنسان آخر، وقد أصبح بفضل الله تعالى من الصفوة المؤمنة، وقد وقع عليه الاختيار ليقوم بمهامّ حراسة الرسول صلى الله عليه وسلم،توفي في الكوفة،الأصبهاني: معرفة الصحابة،رقم الترجمة2757،ج5،ص2582.

صلى الله عليه وسلم: ليت شعري من أنت يا محمد؟ من هذا الذي أرى من بين أصحابك؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة. [1]

لقد فشل عروة في مفاوضاته، ورجع محذراً قريشاً من أن تدخل في صراع مسلح مع الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقال لهم: يا قوم، والله لقد وفدت على الملوك، وفدت على قيصر، وكسرى، والنجاشي، وإني والله ما رأيت ملكًا قط أطوع فيمن هو بين ظهرانيه من محمد وأصحابه، والله ما يشدون إليه النظر، وما يرفعون عنده الصوت، وما يكفيه إلا أن يشير إلى أمر فيُفعل، وما يتوضأ إلا ازدحموا عليه أيهم يظفر منه بشيء، وقد حزرت القوم، واعلموا إنكم إن أردتم السيف، بذلوه لكم، وقد رأيت قوماً ما يبالون ما يصنع بهم، إذا منعوا صاحبهم، فروا رأيكم، اقبلوا ما عرض فإني لكم ناصح مع أني أخاف ألا تنصروا عليه، رجل أتى هذا البيت معظماً له، معه الهدي، ينحره وينصرف، فقالت قريش: لا تكلم بهذا يا أبا يعفور، لو غيرك تكلم بها للمناه، ولكن نرده عن البيت في عامنا هذا ويرجع قابل . [2]

لقد حاول عروة بن مسعود أن يشنَّ على المسلمين حرباً نفسية حتى يهزمهم معنويّاً ، فاستخدم عنصر الإشاعة، ويظهر ذلك عندما لوح بقوة قريش العسكرية، معتمداً على المبالغة في تصوير الموقف بأنه سيؤول لصالح قريش لا محالة، وذلك بأن يوقع الفتنة والإرباك في صفوف المسلمين، وذلك حينما حاول إضعاف الثقة بين القائد وجنوده عندما قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إني لأرى أشواباً من الناس خليقاً أن يفروا ويدعوك، [3] حاول ذلك من أجل التأثير على نفسيات المسلمين ولخدمة أهداف قريش العسكرية والإعلامية، وحاول أيضاً أن يفتعل أزمة عسكرية كبيرة بين الرسول

1_ الواقدي: المغازي، ج2، ص595.
2_ ابن إسحاق: السيرة النبوية،ج2، ص457؛ البخاري: صحيح البخاري، رقم الحديث 2731، ص671.
3_ الواقدي:المغازي،ج2،ص595؛ البخاري: صحيح البخاري، رقم الحديث 2731، ص670.

صلى الله عليه وسلم وجنوده من أجل التأثير على معنوياتهم وتحطيم عزائمهم، وهذا من أقوى أساليب الحرب النفسية التي استخدمت ضد المسلمين، أثناء تلك المفاوضات.

وحاول عروة أن يثير الرعب وذلك بتخويف المسلمين من قوة قريش التي لا تقهر، وتصوير المعركة بأنها في غير صالحهم، لقد مارس عروة بن مسعود في مفاوضته عناصر الحرب النفسية من إشاعة وافتعال الأزمات وإثارة الرعب، إلا أن تلك العناصر تحطمت أمام الإيمان العميق والتكوين الدقيق والصف الإسلامي المرصوص.

لقد انتقلت الحرب النفسية وتأثيرها في صفوف المسلمين لتعمل داخل جبهة قريش وفي نفوسهم، فقد كان تصوير عروة لما رآه صادقاً، حيث بيَّن لقريش وضع المسلمين في الحديبية، من طاعتهم لنبيهم الكريم وحبهم له وتفانيهم بالدفاع عنه، وبما يتمتعون به من معنويات عالية جدّاً، واستعداد عسكري ونفسي يفوق الوصف، فكان ذلك بمثابة التحذير الفعلي لقريش بعدم التعجيل والدخول في حرب مع الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، مما قد تكون نتائج هذه المعركة لصالح المسلمين، الأمر الذي أسقط في أيدي زعمائها، ولم تكن قريش تتوقعه أبداً في تقويمها للأمور، لقد كان وقع كل كلمة قالها سيد ثقيف كالصاعقة على مسامع نفوس زعماء قريش، لقد كان صلى الله عليه وسلم موفقاً من قبل الله تعالى، ولذلك نجد أثره على عروة بن مسعود، مما جعل الانشقاق يدب في معسكر قريش، وأخذت جبهة قريش تتداعى أمام قوة الحق الصامدة، وكذلك فقد انهارت حجة قريش في جمعها للعرب ضد الرسول صلى الله عليه وسلم.

3- بعث مكرز بن حفص: [1]

1_ مكرز بن حفص:كان من سادات قريش وشعرائهم،عادى الرسول صلى الله عليه وسلم وتولى قيادة المشركين في بعض حروبهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم، كان من المشركين الذين وقعوا على صحيفة صلح الحديبية،ابن حبان: تاريخ الصحابة، رقم الترجمة1308،ص239.

وكان من ضمن بعوث قريش يوم الحديبية مكرز بن حفص، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: هذا مكرز وهو رجل فاجر، فأبى الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكلمه ،[1] فبعثوا له الحليس بن علقمة.[2]

4- بعث الحُليس بن علقمة: [3]

ثم بعثوا الحليس بن علقمة الكناني، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن هذا من قوم يتألهون، فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه وأمر برفع الصوت في التلبية، فلما رأى الحليس الهدي يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده، رجع إلى قريش قبل أن يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك إعظاماً لما رأى فقد كان الوادي مجدباً لا ماء فيه ولا مرعى، وقد أكل الهدي أوباره من طول الحبس عن محله، ورأى المسلمين وقد استقبلوه رافعين أصواتهم بالتلبية وهم في زي الإحرام، وقد شعثوا من طول المكوث على إحرامهم،[4]ولذلك استنكر تصرف قريش بشدة، وانصرف سيد بني كنانة عائداً من حيث أتى دون أن يفاتح الرسول صلى الله عليه وسلم بشيء، أو أن يفاوضه كما كان مقرراً من قبل، وعد عمل قريش عدوانيّاً ضد زوار بيت الله الحرام، ولا يجوز لأحد أن يؤيدها أو أن يناصرها على ذلك ، فرجع محتجّاً على قريش التي أعلنت غضبها لصراحة الحليس، وحاولت

1_ الزهري: المغازي النبوية،ص54؛ ابن هشام: السيرة النبوية،ج3،ص259؛ اليعقوبي(أحمد بن أبي يعقوب، ت: 284هـ/ 897م): تاريخ اليعقوبي، تح،عبد الأمير مهنا، شركة الأعلمي، بيروت، 2010م،ج1،ص373.

2_ الحليس بن علقمة:من بني الحارث بن عبد مناة، سيد الأحابيش ورئيسهم يوم أحد،الزركلي (خير الدين): الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط15،د.ت، ج2،ص270، وسيرد في البحث باسم الأعلام.

3_ الأحابيش: من الحبش والأحبوش الجماعة من الناس اختلفت أجناسهم، وتحبش القوم أي تجمعوا، وأحابيش قريش جماعة من قريش وكنانة وخزاعة وبنو المصطلق وبنو الهون بن خزيمة اجتمعوا عند حبشي وهو جبل بأسفل مكة وتحالفوا، ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم، ت: 711هـ/ 1311م): لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1993م، مج6،ص278.

4_ ابن إسحاق: السيرة النبوية، ج2، ص457؛ الواقدي:المغازي،ج2،ص599.

أن تتلافى هذا الموقف الذي يهدد بانقسام خطير في جبهة قريش العسكرية، ونسف الحلف المعقود بين قريش والأحابيش، وقالوا لزعيم الأحابيش: إنما كل ما رأيت هو مكيدة من محمد وأصحابه، فاكفف عنا حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به.[1]

كان الحليس يتمتع بسمعة طيبة بين العرب جميعاً، وذلك لما يتميز به من رجاحة العقل، ولما يتمتع به من مركز ممتاز بوصفه زعيماً وقائداً لقوات الأحابيش، كما كان يتمتع باحترام وتقدير من جانب الرسول صلى الله عليه وسلم وقريش على حد سواء، لهذا فإنه إذا ما تبين له أن الحق والعدل في جانب المسلمين فإنه يستطيع أن يقوم بدور بارز في إحلال السلام بين الطرفين المتنازعين والعمل على كبح جماح قريش، وإقناعها بالعدول عن موقفها العدائي ضد المسلمين وصدهم عن المسجد الحرام، ومن هنا فقد كانت الدراسة النفسية التي قام بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لشخصية الحليس تتناسب كلياً مع المبادئ التي يؤمن بها، وعلى ذلك فقد كانت درجة التأثير والاستجابة الناتجة عن هذه العملية إيجابية تماماً ومرضية، وهكذا استطاع صلى الله عليه وسلم أن يؤثر على عروة بن مسعود والحليس بن علقمة، مما جعل الانشقاق يدب في صفوف مشركي مكة، بعد أن ظهر المسلمون بالمظهر الذي يجعل الخصم يتعاطف معهم ويتحول إلى مدافع عنهم أمام قومه. [2]

ب- البعوث النبوية إلى قريش:

1- بعث خراش بن أمية الخزاعي:[3]

---

1 _ الزهري: المغازي النبوية،ص54؛ ابن إسحاق: السيرة النبوية، ج2، ص457؛ ابن هشام: السيرة النبوية،ج3،ص259.

2_ الحميدي(عبد العزيز):السيرة النبوية،دار الدعوة، الإسكندرية،2005م،ج2،ص271.

3_ خراش بن أمية الخزاعي: شهد مع الرسول صلى الله عليه وسلمالحديبية وخيبر وما بعدهما من المشاهد توفي في أخر خلافة معاوية بن أبي سفيان، ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير،رقم الترجمة851،ج5،ص188؛ الأصبهاني: معرفة الصحابة،رقم الترجمة859، ج2، ص994.

رأى الرسول صلى الله عليه وسلم أن من الضرورة إرسال مبعوث خاص من جانبه إلى قريش يبلغهم نواياه السلمية بعدم الرغبة في القتال، واحترام المقدسات، ومن ثم أداء مناسك العمرة، والعودة إلى المدينة، فوقع الاختيار على أن يكون مبعوث وسفير الرسول صلى الله عليه وسلم إلى قريش خراش بن أمية الخزاعي وحمله على جمل يقال له (الثعلب) ، فلما دخل مكة عقرت به قريش وأرادوا قتل خراش فمنعهم الأحابيش، فعاد خراش بن أمية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخبره بما صنعت قريش. [1]

2- بعث عثمان بن عفانﷺ:

فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرسل سفيراً آخر بتبليغ قريش رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووقع اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم في بداية الأمر على عمر بن الخطابﷺ ، فاعتذر لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الذهاب إليهم، وأشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث عثمانﷺ مكانه لأن له قبيلة تحميه من أذى المشركين حتى يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمانﷺ فقال:" اذهب إلى قريش فخبرهم أنا لم نأتِ لقتال أحد، وإنما جئنا زواراً لهذا البيت، معظمين لحرمته، معنا الهدي، ننحره وننصرف"،[2] فخرج عثمانﷺ إلى مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص[3] فرحب به وأجاره، فدخل عثمان مكة، فأتى أشرافهم رجلاً رجلاً، أبا سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية[4] وغيرهما،فبلغهم عن الرسول

1_ ابن إسحاق: السيرة النبوية،ج2،ص459؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج631،2.

2_ابن هشام: السيرة النبوية،ج3،ص261؛ابن خياط: تاريخ ابن خياط،ص81.

3_ إبان بن سعيد بن العاص الأموي(ت:13هـ/634م): أسلم سنة(7هـ/628م)،بقي في البحرين إلى وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، قدم بعدها إلى المدينة المنورة، وحضر معركة أجنادين في خلافة أبو بكرﷺ واستشهد فيها، ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، رقم الترجمة719،ج5، ص8؛ ابن الأثير: أسد الغابة، رقم الترجمة2، ج1، ص146.

4_ صفوان بن أمية بن خلف(ت:41 هـ /661م): صحابي جواد، كان من أشراف مكة وأغناها في الجاهلية و الإسلام، كان صاحب مخزن السلاح، وكان يشتغل بتجارة الفضة النقر والآنية الفضية، أسلم بعد الفتح، وشهد اليرموك(13هـ/ 634م)، ومات بمكة، ابن حبان: تاريخ الصحابة،رقم الترجمة660،ص135.

صلى الله عليه وسلم ما أرسله به،[1] فقالوا له: قد سمعنا ما تقول ولا كان هذا أبداً ، ولا دخلها علينا عنوة، فارجع إلى صاحبك فأخبره أنه لا يصل إلينا، واحتبسته قريش عندها، فبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم أن عثمانﷺ قد قتل. [2]

لما بلغ الرسول صلى الله عليه وسلم أن عثمان[3] قُتل، دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه إلى مبايعته على قتال المشركين، فاستجاب الصحابة وبايعوه على الموت، وكان عدد الصحابة الذين أخذ منهم الرسول صلى الله عليه وسلم المبايعة تحت الشجرة ألفاً وأربعمائة صحابي. [4]

بعوث قريش بعث سهيل بن عمرو [5] لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

لما بلغ قريشاً أمر بيعة الرضوان، وأدرك زعماؤها تصميم الرسول صلى الله عليه وسلم على القتال أوفدوا سهيل بن عمرو في نفر من رجالهم لمفاوضة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم سهيلا قال:" لقد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل"،[6] كان سهيل بن

1_ ابن حبان(محمد البستي، ت:354هـ/956م):السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، صححه،عزيز بك، مؤسسة الكتب الثقافية،بيروت، 1987م، ص282.

2_ابن هشام: السيرة النبوية،ج3،ص262؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج631،2.

3_ ابن هشام: السيرة النبوية، ج2، ص146؛ السهيلي(عبد الرحمن بن عبد الله، ت: 581 هـ/ 1185م): الروض الآنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، تح، مجدي بن منصور بن سيد الشورى، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009م، ج2، ص351، وسيرد بالبحث باسم الروض الآنف.

4_ ابن خياط: تاريخ خليفة بن خياط،ص81-82، وقد تحدث القرآن الكريم عن أهل بيعة الرضوان قال الله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيماً ﴾، القرآن الكريم: سورة الفتح، الأية(10)، وهذه الآية فيها ثناء ومدح عظيم لأهل بيعة الرضوان فقد جعل الله مبايعتهم لرسوله صلى الله عليه وسلممبايعة له، وفي هذا غاية التشريف والتكريم لهم.

5_ سهيل بن عمرو(ت:18هـ/639م):صحابي من وجهاء مكة وخطيبها، أسلم يوم الفتح،وكان في اليرموك قائداً لأحد كتائب المسلمين في المعركة، ومات في الشام،ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير ،رقم الترجمة1111،ج6،ص119.

6_ ابن إسحاق: السيرة النبوية،ج2،ص461،ابن حبان: السيرة النبوية وأخبار الخلفاء،ص283.

عمرو أحد زعماء قريش البارزين الذين كانوا يعرفون بالحنكة السياسية والدهاء، فهو خطيب ماهر، ذو عقل راجح، ورزانة، شرع الفريقان المتفاوضان في بحث بنود الصلح، وذلك بعد رجوع عثمان بن عفان ﷺ وقد استعرض الفريقان النقاط التي يجب أن تتضمنها معاهدة الصلح، واستعرضا في مباحثاتهما مختلف القضايا التي كانت تشكل مثار الخلاف بينهما .

اتفق الفريقان من حيث المبدأ على بعض النقاط، واختلفا على البعض الآخر، وقد طال البحث والجدل والأخذ والرد حول هذه البنود، وبعد المراجعات والمفاوضات تقاربت وجهات النظر بين الفريقين، وعند الشروع في وضع الصيغة النهائية للمعاهدة وكتابتها لتكون نافذة المفعول رسميّاً حدث خلاف بين الوفدين على بعض النقاط كاد أن يعثِّر سير هذه الاتفاقية، فعندما شرع الرسول صلى الله عليه وسلم في إملاء صيغة المعاهدة المتفق عليها، أمر الكاتب وهو علي بن أبي طالبﷺ ، بأن يبدأ المعاهدة بكلمة: "بسم الله الرحمن الرحيم"، وهنا اعترض رئيس الوفد القرشي سهيل بن عمرو قائلاً: لا أعرف الرحمن، اكتب "باسمك اللهم"، [1]فضج الصحابة على هذا الاعتراض، قائلين: هو الرحمن، ولا نكتب إلا الرحمن، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم تماشياً مع سياسة الحكمة والمرونة والحِلْم، قال: "اكتب باسمك اللهم"، واستمر في إملاء صيغة المعاهدة هذه، فأمر أن يكتب"هذا ما اصطلح عليه رسول الله"، وقبل أن يكمل الجملة اعترض رئيس الوفد القرشي على كلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً: لو أعلم أنك رسول الله ما خالفتك، واتبعتك، أفترغب عن اسمك واسم أبيك محمد بن عبد الله؟ اكتب اسمك واسم أبيك، واعترض المسلمون على ذلك، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحكمته وتسامحه وبُعد نظره حسم الخلاف وأمر بأن يكتب محمد بن عبد الله فالتزم الصحابة الصمت والهدوء. [2]

1_ الزهري: المغازي النبوية،ص54؛الواقدي:المغازي،ج2،ص605.

2_ ابن هشام: السيرة النبوية،ج3،ص264.

إن الرسول صلى الله عليه وسلم وافق المشركين على ترك كتابة "بسم الله الرحمن الرحيم" وكتابة"باسمك اللهم" بدلاً عنها، وكذا وافقهم في كتابة محمد بن عبد الله وترك كتابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا وافقهم في رد من جاء منهم إلى المسلمين دون من ذهب منهم إليهم، وإنما وافقهم في هذه الأمور للمصلحة المهمة الحاصلة بالصلح ، أما البسملة وباسمك اللهم فمعناهما واحد، وكذا قوله "محمد بن عبد الله" هو أيضا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس في ترك وصف الله سبحانه وتعالى في هذا الموضع بالرحمن الرحيم ما ينفي ذلك، ولا في ترك وصف الرسول صلى الله عليه وسلم بالرسالة ما ينفيها، فلا مفسدة فيما طلبوه، وإنما كانت المفسدة تكون لو طلبوا أن يكتب ما لا يحل من تعظيم آلهتهم ونحو ذلك ، وأما شرط رد من جاء منهم وعدم رد من ذهب إليهم، فقد بيَّن الرسول صلى الله عليه وسلم تعليل ذلك والحكمة فيه في هذا الحديث بقوله: "من ذهب منا إليهم فأبعده الله، ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجاً ومخرجاً"، [1] وتم عقد هذه المعاهدة بين الطرفين.

ج- بنود صلح الحديبية

جاءت على الشكل التالي: " باسمك اللهم، هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو، واصطلحا على:

1- وضعِ الحرب بين الناس عشرَ سنين يَأمَن فيها الناسُ ويَكفُّ بعضُهم عن بعض.

2- على أنه مَن قَدِمَ مكة مِن أصحاب محمَّد حاجًّا أو مُعتمِرًا، أو يَبتغي مِن فضل الله فهو آمِنٌ على دمِه وماله، ومن قدم المدينةَ من قُريش مجتازًا إلى مِصر أو إلى الشام يَبتغي من

1_ وهنا أوردت المصادر قصة أبو جندل وكيف رده الرسول صلى الله عليه وسلم إلى قريش، للمزيد من التفاصيل حول ذلك مراجعة :ابن إسحاق: السيرة النبوية،ج2، ص462.

فضل الله فهو آمِن على دمه وماله، وعلى أنه مَن أتى محمدًا مِن قريش بغير إذنِ وليِّه ردَّه عليهم، ومن جاء قريشًا ممَّن مع محمد لم يَردُّوه عليه.[1]

3- وأنَّ بيننا عَيْبةً مكفوفة، وأنه لا إسلالَ ولا إغلالَ . [2]

4- وأنه مَن أحبَّ أن يَدخل في عَقدِ محمد وعهده دخلَه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدِهم دخَل فيه فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن في عقد محمد وعهده، وتوثبت بنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم. [3]

5- وأنك تَرجع عنَّا عامَك هذا، فلا تَدخل علينا مكَّة، وأنه إذا كان عامُ قابِل خرَجْنا عنك، فدَخَلتَها بأصحابك فأقمتَ بها ثلاثًا، معك سِلاحُ الراكب، السيوف في القُرُب، ولا تَدخُلها بغيرها، وعلى أنَّ الهديَ ما جِئناه ومَحِلَّه، فلا تُقْدِمْه علينا". [4]

أُشهِدَ على الصلح رجالٌ من المسلمين، ورجالٌ من قريش،فمن المسلمين: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن سهيل بن عمرو، وسعد بن أبي وقاص، ومحمد بن سلمة، وعلي بن أبي طالب كاتب المعاهدة، ومن المشركين: مكرز بن حفص، وسهيل بن عمرو [5] .

1_ ابن إسحاق: السيرة النبوية،ج2،ص462.

2_ أن بيننا عيبة مكفوفة: العيبة هو مايجعل فيه الثياب مكفوفة مشدودة والعرب تكنى عن الصدور والقلوب التي تحتوي على الضمائر المخفاة بالعياب وذلك أن الرجل إنما يضع في عيبته حر متاعه وصون ثيابه، ويكتم في صدره أخص أسراره التي لا يحب شيوعها فسميت الصدور عيابا تشببها بعياب الثياب، أي أنهم يلتزمون بمقتضى العقد، ويصير ما بينهم من عداوات ومن إقدام بعضهم على قتال بعض ممتنعاً بموجب هذا العقد، فتكون صدورهم وقلوبهم بمثابة العيبة المكفوفة أي المشدودة على مافيها من المتاع الجيد والشيء المحفوظ، فكذلك ذلك الاتفاق الذي قد حصل يحفظ في القلوب وفي الصدور، وقي قوله لا إسلال ولا إغلال: أي ليس هناك سرقة ولا خيانة في ظاهر ولا باطن، بل يأمن الناس في الظاهر والباطن، ابن منظور: لسان العرب، مج1، ص634.

3_ ابن إسحاق: السيرة النبوية،ج2،ص462.

4_ حجازي(سليم): منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية،دار المنارة،جدة،1986م ، ص189.

5_ ابن إسحاق: السيرة النبوية،ج2،ص462؛ ابن هشام: السيرة النبوية،ج3،ص265.

وبرز الدور السياسي لصلح الحديبية في:

تعد هذه المعاهدة أساساً للمعاهدات الإسلامية ونموذجاً فريداً للمعاهدات الدولية، بما سبقها من مفاوضات، وما حوته من شروط، وما تمثل بها من خلق الرسول صلى الله عليه وسلم في النزول عند رضا الطرف الآخر، وفي كيفية الصياغة والالتزام، هذه المعاهدة سبقها مفاوضات من قبل المشركين والمسلمين، وفشل بعض الممثلين في الوصول إلى اتفاق، ودارت مشاورات شتى من الجانبين قبل الوصول إليه، حتى توصل الفريقان إلى اتفاق عن طريق سفير المشركين سهيل بن عمرو ورسول الله صلى الله عليه وسلم على ملأ المسلمين. [1]

فعقد صلح الحديبية كان له دور استراتيجي سياسي وذلك كونه نزاعاً بين المسلمين والمشركين أدى إلى حدوث أزمة بينهما وكانت القضية تخص المسلمين جميعهم لأن المسألة عليها أمور تتعلق بمستقبل الإسلام، فالمسلمون يهدفون إلى تحقيق مكسب سياسي استراتيجي بعيد المدى والأثر يتجسد بالاعتراف بهم سياسياً وما سيعكسه هذا الاعتراف في الواقع العملي من سهولة نشر الدعوة العربية الإسلامية، فالرسول صلى الله عليه وسلم كان هدفه واضحاً مسبقاً وهو الوصول إلى خطة أو عهد حتى يخلوا بينه وبين الناس،[2] وكانت أيضاً تخص المشركين لما فيه من سمعة لهم أمام العرب في شبه الجزيرة العربية وقوتهم ومكانتهم وحتى لا تقول العرب بأن محمداً وأصحابه دخلوا مكة عنوة عنهم. [3]

لقد استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم كسب الموقف سياسياً والخروج من دائرة الحصار السياسي الإقليمي والدولي، والحصول على الاعتراف بكيان الدولة العربية الإسلامية من أكبر دول

1_ الزهري: المغازي النبوية،ص54؛ابن إسحاق: السيرة النبوية، ج2، ص461؛الواقدي:المغازي،ج2،ص605.
2_ الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج2،ص621؛الثعالبي: الرسالة المحمدية،ص391.
3_ نمراوي والقضاة(أكرم ومحمد):مهارات التفاوض في السنة النبوية صلح الحديبية نموذجاً،مجلة دراسات القرآن والحديث،ع12، ماليزيا، 2015م، ص176، وسيرد في البحث باسم مهارات التفاوض.

المنطقة التي تعد في الوقت ذاته من أشد خصوم الدولة العربية الإسلامية، كما أتاحت الفرصة للمسلمين أن يصلوا أرحامهم، ووضع قريش أمام الأمر الواقع الذي اضطرها إلى قبول دخول المسلمين لمكة المكرمة واعترافها بهم دولةً لها وجود وقوةً مؤثرة، وكسب العرب موقفاً سياسياً حيث تحدثت العرب عن صد قريش لمن قصدوا تعظيم البيت العتيق، بعد أن كانت قريش تدعي أن المسلمين لا يحترمون المقدسات.[1]

وقد ظهرت براعة الرسول صلى الله عليه وسلم السياسية في عرضه على مشركي مكة الهدنة والصلاح، في بعث بديل بن ورقاء لأن في ذلك فوائد كثيرة منها:

أ- حرص على أن يبقى الاتصال مفتوحاً بينه وبين قريش، ليسمع منهم ويسمعوا منه بواسطة الرسل، وفي هذا تقريب للنفوس وتبريد لجو الحرب، وإضعاف لحماسهم نحو القتال.

ب- يضمن الرسول صلى الله عليه وسلم بالهدنة حياد قريش ويعزلها عن أي صراع يحدث في الجزيرة العربية، سواء كان هذا الصراع مع القبائل العربية الأخرى، أم مع اليهود ذلك العدو الغادر الذي يتربص بالمسلمين الدوائر. [2]

عقدت هذه المعاهدة في الوقت الذي كان فيه المسلمون بمركز القوة لا الضعف، وكان باستطاعتهم ألا يقبلوا شروطها التي اغتاظ منها كثير من الصحابة، ولكن ما كان لهم أن يخرجوا عن طوع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد تمادى رسول قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم في مفاوضته فلم ينله أذى، ولم يتمادَ عليه المسلمون بالقتل "لأن السفراء لا تقتل" ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يريد أن يصل إلى الغاية التي ينشدها الإسلام، وهي حقن الدماء، وإحلال السلام، ويسمعوا كلام الله ، وتدخل الدعوة العربية الإسلامية طوراً جديداً بصور أخرى في الانتشار والاتصال بالناس،

1_ العمري(أكرم): السيرة النبوية الصحيحة،مكتبة العلوم والحكم،المدينة المنورة،ط6، ص439.

2_ عرموش(أحمد):قيادة الرسول صلى الله عليه وسلم السياسية والعسكرية، دار النفائس،بيروت،1991م،ص109.

حيث ساعد صلح الحديبية الرسول صلى الله عليه وسلم على إرسال رسائل إلى ملوك الفرس والروم والقبط يدعوهم إلى الإسلام، كما أعطت الهدنة فرصة لنشر الإسلام وتعريف الناس به، مما أدى إلى دخول كثير من القبائل فيه، تجلت بعض مظاهر ذلك في مبادرة كثير من صناديد قريش إلى الإسلام، مثل: خالد بن الوليد وعمرو بن العاص، فالرسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة ثم خرج في عام الفتح بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف . [1]

وقد أبرز صلح الحديبية سياسة وحنكة الرسول صلى الله عليه وسلم في السلم كما في الحرب،فقد تنازل عن القليل للحصول على الكثير، وما بدا للمسلمين ضعفاً كان في الحقيقة قوة لهم، فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم فوائد هذا الصلح سياسياً وعسكرياً واقتصادياً، ما يدل على تفوق الرسول صلى الله عليه وسلم في التخطيط السياسي والنظرة المستقبلية لدولة الإسلام . [2]

برز الدور العسكري لصلح الحديبية في:

كسب المسلمون من الصلح فوائد كثيرة لذلك استحق أن يسميه القرآن الكريم فتحاً،[3] فقد استفاد المسلمون اعترافاً شرعياً من المشركين بهم، وكذلك ازدياد مكانة المسلمين وهيبتهم في الجزيرة العربية، واعتراف المشركين بحق المسلمين بزيارة الكعبة المشرفة فقد عاد المسلمون في السنة التالية وأدوا العمرة وسميت عمرة القضاء،[4] ومن الفوائد ما كان بعد الصلح حيث تفرغ المسلمون للدعوة إلى الإسلام فزاد عددهم، وأمن المسلمون جانب قريش فحولوا ثقلهم على اليهود وتفرغوا لقتال اليهود ومن كان يناوئهم من القبائل الأخرى فقضية خيبر كانت تشغل ذهن الرسول صلى الله عليه وسلم لكنه

1_ ابن هشام: السيرة النبوية،ج3،ص269.

2_ الحميدي:السيرة النبوية،ج2،ص274.

3_ قال الله: ﴿ لَقَد صَدَقَ الله ورَسولهُ الرُّؤيَا بِالحَقِّ لَتَدخُلنَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ إنْ شَاءَ الله آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤسَكُمُ و مُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعلمَ ما لمْ تَعْلَموا فَجَعلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً﴾، القرآن الكريم: سورة الفتح، الأية(27).

4_ ابن إسحاق: السيرة النبوية،ج2،ص502.

لم يستطع التوجه إليهم بقوته وجيشه مع وجود الحرب بينه وبين قريش،[1] فكانت غزوة خيبر بعد صلح الحديبية(7هـ/628م)، وتم خلالها تطهير الجزيرة العربية منهم. [2]

كانت غزوة خيبر أول عزوة بدأها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأغار بها فجأة على اليهود في خيبر،[3] فأخذ المسلمون يفتحون حصون خيبر حصناً بعد حصن حتى حصروهم في آخر حصونهم مدة أربعة عشر يوماً، فلما يئسوا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح فصالحهم على حقن دمائهم، ويخرجون من خيبر وأرضها،ويخلون بينه وبين ما كان لهم من مال وأرض.[4]

كما استفاد المسلمون من عقد الصلح وأرسل الرسول صلى الله عليه وسلم السرايا العسكرية لتأديب القبائل العربية التي تحالفت مع قريش لغزو المدينة في معركة الخندق، فأرسل أبا بكر الصديقﷺ إلى بني فزارة [5] وهزمهم، وأرسل بشير بن سعد[6] بسرية إلى بني مرة[7] ولكنهم استطاعوا هزيمته،

1_ نمراوي والقضاة:مهارات التفاوض،ص186.

2_ للمزيد من التفاصيل حول غزوة خيبر مراجعة: ابن إسحاق: السيرة النبوية،ج2،ص470؛ اليعقوبي:تاريخ اليعقوبي،ج1،ص374.

3_ البوطي (محمد سعيد رمضان): فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، دار الفكر، دمشق، ط10، 1991م، ص362، وسيرد في البحث باسم فقه السيرة النبوية.

4_ البيهقي (أحمد بن الحسين، ت:458هـ/1065م): دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، علق عليه، عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية،بيروت، 1988م، ج4،ص225،وسيرد في البحث باسم دلائل النبوة.

5_ بنو فزارة: بطن من غطفان، من العدنانية، وهم بنو فزارة بن ذبيان ين غطفان بن سعد بن عدنان، ينقسم إلى خمسة أفخاذ: عدي، سعد، شمخ، مازن، ظالم، ومنهم بنو العشراء، وبنو غراب، القلقشندي (أحمد بن علي، ت: 821هـ/ 1418م): نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تح، إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1980م،،ص392، وسيرد في البحث باسم نهاية الأرب؛ كحالة (عمر): معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 1997م، ج3، ص52، وسيرد في البحث باسم معجم القبائل.

6_ بشير بن سعد بن كعب: شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم في سرية بفدك سنة(7هـ/628م)، توفي في خلافة أبو بكر الصديقﷺ،ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، رقم الترجمة232،ج3،ص492.

7_ بنو مرة:بطن من قريش من العدنانية، وهم بنو مرة بن كعب بن لؤي، القلقشندي: نهاية الأرب،ص419.

فأرسل الرسول صلى الله عليه وسلم إليهم سرية بقيادة غالب بن عبد الله[1] فهزمهم،[2] ثم أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم بشير بن سعد إلى غطفان،[3]وأرسل سرية أخرى إلى أشجع. [4]

وبذلك استطاع الرسول صلى الله عليه وسلم بعد تحييد قريش وهزيمة اليهود في خيبر مقاتلة تلك القبائل وهزيمتهم قبيلة بعد أخرى، وبذلك استطاع أن يحد من خطرهم على الدولة العربية الإسلامية، وهذا يبرز بعد النظر لدى الرسول صلى الله عليه وسلم فقد استطاع استثمار هذا الصلح لتقوية مكانة المسلمين سياسياً وعسكرياً واقتصادياً.

كما مكن صلح الحديبية الرسول صلى الله عليه وسلم من تجهيز غزوة مؤتة[5] سنة(8هـ/629)، [6] فكانت خطوة جديدة لنقل الدعوة الإسلامية بأسلوب آخر خارج الجزيرة العربية، فما كان من قريش إلا أن تقوم بنقض الصلح فقاموا بمناصرة حليفتهم بكراً على خزاعة التي دخلت في حلف المسلمين

1_ غالب بن عبد الله الليثي: قاد أكثر من سرية إلى بني مرة بفدك وسرية إلى بني الملوح بالكديد، وأرسله الرسول صلى الله عليه وسلم ليسهل الطريق إلى مكة قبل فتحها، ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، رقم الترجمة780،ج5،ص122؛ابن حبان: تاريخ الصحابة، رقم الترجمة1087،ص203.

2_غلوش(أحمد): السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني،مؤسسة الرسالة،د.م،2004م،ص550.

3_بنو غطفان: بطن من قيس عيلان، من العدنانية، وهم بطنٌ متسع كثير الشعوب والبطون، منازلهم بنجد،القلقشندي: نهاية الأرب، ص388.

4_ بنو أشجع: حي من غطفان، من العدنانية، غلب عليهم اسم أبيهم فقيل لهم: أشجع، وهم بنو أشجع بن ريث بن غطفان ، القلقشندي: نهاية الأرب، ص40.

5_ مؤتة: قرية من قرى البلقاء في حدود الشام، وبها كانت تطبع السيوف وإليها تنسب المشرفية من السيوف كانت تحت حكم الغساسنة الخاضعين لحكم الدولة الرومانية، وهي منطقة في الأردن حالياً، الحموي: معجم البلدان،مج5،ص219.

6_ للمزيد من التفاصيل حول غزوة مؤتة مراجعة: ابن هشام: السيرة النبوية،ج4،ص12-29.

في خرق واضح لبنود الصلح،[1] وهزمت قريش هزيمة نفسية قاسية فكانت بدايات تفكير قريش بالتسليم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفتح أبواب مكة بعد صلح الحديبية.

ويبرز الدور الاقتصادي لصلح الحديبية في:

كان شرط رد من جاء منهم وعدم رد من ذهب إليهم له دور اقتصادي، فقد بيَّن الرسول صلى الله عليه وسلم تعليل ذلك والحكمة فيه في هذا الحديث بقوله: "من ذهب منا إليهم فأبعده الله، ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجاً ومخرجاً"، [2] وتم عقد هذه المعاهدة بين الطرفين.

وتبين بعد نظر الرسول صلى الله عليه وسلم وتحقق فعلاً صحة ما رأه من رد من جاء من قريش مسلماً، وهذا يدل على التزام الرسول صلى الله عليه وسلم بالعهد، [3] وكان لهذا أثراً اقتصادياً كبيراً على قريش حيثُ أضر بمصالح قريش وأمنهم كما حدث فعلاً من التجاء أبو بصير[4] وأبو جندل[5]إلى الصحراء وقطع الطريق هو وأصحابه على قوافل قريش وبذلك أفقدهم هدفهم الأول من الصلح وهو الحصول على طريق آمن لتجارتهم نحو الشام، مما دعا قريش أن يطلبوا من الرسول

1_اليعقوبي:تاريخ اليعقوبي،ج1،ص376؛البيهقي:دلائل النبوة،ج5،ص6.

2_ وهنا أوردت المصادر قصة أبو جندل وأبو بصير وكيف ردهم الرسول صلى الله عليه وسلمإلى قريش، للمزيد من التفاصيل حول ذلك مراجعة:ابن إسحاق: السيرة النبوية،ج2، ص462.

3_ الحميدي:السيرة النبوية،ج2،ص279.

4_ أبو بصير:عتبة بن أسيد وقيل عُبيد،صحابي من المستضعفين أسلم بمكة، خرج إلى الرسول صلى الله عليه وسلمبعد صلح الحديبية ،فأرسلت قريش في طلبه رجلين لرده، لكن أبو بصير قتل أحد الرجلين، وانتقل إلى العيص ثم اجتمع مع أبو جندل، واتفقوا على الإغارة على قوافل قريش، توفي سنة(8هـ/629م)، ابن حبان: تاريخ الصحابة، رقم الترجمة 981،ص188.

5_ أبو جندل بن سهيل(ت:18هـ/639م):أسلم في مكة إلا أن أباه عذبه ومنعه من الهجرة إلى المدينة المنورة، جاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلمبعد صلح الحديبية لكن الرسول رده إلى مكة لكي لا يخالف بنود الصلح فتمكن أبو جندل من الهرب إلى ساحل البحر وأخذ يغير على قوافل قريش ويهددها،شارك في فتوحات الشام، وتوفي في الأردن في طاعون عمواس، ابن حبان: تاريخ الصحابة، رقم الترجمة 1507،ص271.

صلى الله عليه وسلم قبوله عنده دون اعتراض منهم تجنباً لما لاقوه من سطوته، [1]وهذا يدل على سياسة الرسول صلى الله عليه وسلم الحكيمة وسطحية التفكير السياسي لدى زعماء قريش فقد كان الشرط الذي اشترطوه وبالاً عليهم حيث سبب لهم حروب عصابات لم يحسبوا لها حساباً وظهرت نتائج الصلح الباهرة لصالح المسلمين ضد أعدائهم، وهكذا ألغت قريش بنفسها البند الذي عده المسلمون مجحفاً بحقهم. [2]

ومن الأسباب غير المباشرة للقضاء على اليهود نهائياً هو للتخلص من أعداء المدينة في المنطقة الشمالية لتكون منطقة أمنة عندما يحين موعد محاسبة قريش ،استطاع المسلمون من فتح حصون البدو الواحد بعد الآخر حتى تم القضاء على اليهود عسكرياً في الجزيرة العربية، أما حصنا الوضيح والسلالم فكان آخر حصنين منيعين لليهود حيث طلبوا الصلح من الرسول صلى الله عليه وسلم على أن يحقن المسلمون دمائهم ،[3] ثم إن اليهود سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقرهم فيها على نصف ما خرج منها من التمر، وقالوا: دعنا يا محمد نكون في هذه الأرض نصلحها ونقوم عليها، فأقرهم رسول الله خيبرصلى الله عليه وسلم على أن لهم النصف من كل زرع ونخل على أن للمسلمين أن يخرجوهم متى ما أرادوا، [4]فقبل الرسول صلى الله عليه وسلم بشروطهم وأبقاهم على أن يكون لهم نصف ثمرها مقابل عملهم في أرضهم،[5] وذلك لأن موقف المسلمين لم يكن يساعد على الاستغناء عنهم للقيام بزراعة الأرض وذلك أيضاً لخبرتهم بالزراعة حيث قالوا للرسولصلى الله عليه وسلم:"نحن أدرى بزراعتها منكم، فأبقاها لهم".[6]

1_الزهري: المغازي النبوية،ص55؛الحميدي:السيرة النبوية،ج2،ص280.
2_ عرموش:قيادة الرسول صلى الله عليه وسلم السياسية والعسكرية،ص109.
3_ البيهقي: دلائل النبوة،ج4،ص225؛ الثعالبي: الرسالة المحمدية،ص427.
4_ ابن إسحاق: السيرة النبوية،ج2،ص478؛الطبري: تاريخ الرسل والملوك،ج3،ص21.
5_ البخاري: صحيح البخاري، رقم الحديث4248، ص1041؛ الحميدي:السيرة النبوية،ج2،ص321.
6_ ابن هشام: السيرة النبوية،ج3،ص286؛الثعالبي: الرسالة المحمدية،ص430.

مثل صلح خيبر كسباً سياسياً وعسكرياً للدولة الإسلامية الجديدة كما كان كسباً لها من الناحية الاقتصادية فموارده القليلة كانت تدل على فهم الرسول صلى الله عليه وسلم لأحوال الزراعة والاقتصاد في عهده وأحوال الأيدي العاملة، فقد أبقى لأهل خيبر أرضهم التي صارت إليه بحكم الفتح، على أن يعاملهم على النصف،[1] أي إنهم يعملون في الأرض لما لهم من الخبرة بشؤون الزراعة على أن يؤدوا للمسلمين نصف ثمرها ويبقى النصف الآخر لهم جزاء قيامهم بالعمل، وهذا كان له أثر ودور اقتصادي على الدولة العربية الإسلامية وأمن لهم دعماً اقتصادياً إضافياً حتى أن المسلمين قالوا بعد غزوة خيبر: ما شبعنا حتى فتحنا خيبر،[2] ففتح خيبر عاد على المسلمين بالخير الكثير وعزز إمكانياتهم الاقتصادية بدخل سنوي دائم، فقد حقق للدولة العربية الإسلامية مصالح اقتصادية وعسكرية حيث تمت المحافظة على طاقات المسلمين العسكرية ووجهوا للجهاد الدائم من أجل توحيد جزيرة العرب تحت راية الإسلام ولم يتحولوا إلى الفلاحة التي تحتاج إلى إدامة العمل في استصلاح الأرض ورعاية الزرع والنخل مما يستنفذ طاقتهم، كذلك تمت الإفادة من خبرة وطاقة الفلاحين اليهود للحفاظ على مستوى الإنتاج الزراعي في خيبر لأنهم يمتلكون خبرة الأرض وزراعتها، مما يوفر للمسلمين حصة كبيرة يمكن الإفادة منها في تجهيز الجيوش والقيام بالنفقات الأخرى التي تحتاجها الدولة. [3]

ثالثاً: البعوث والسفارات النبوية بعد صلح الحديبية:

شهدت السفارات تغيرات عديدة بظهور الدولة العربية الإسلامية، فأصبحت أهم من مجرد العلاقات التجارية، وأصبح للبعوث والسفارات منهجاً ذا قواعد ونظم محددة تعتمدها الدولة العربية الإسلامية في تسيير علاقاتها بغيرها من الدول، فلقد اقتضت طبيعة الرسالة أن يتخذ الرسول صلى الله عليه

1_ ابن إسحاق: السيرة النبوية،ج2،ص502؛البوطي: فقه السيرة النبوية، ص368.

2_ البخاري: صحيح البخاري، رقم الحديث4243، ص1041.

3_ العمري(أكرم): السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد الحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، مكتبة العلوم والحكم،المدينة المنورة، ط6، 1994م، ج1،ص329،وسيرد في البحث باسم السيرة النبوية.

وسلم من السفارات والبعوث وسيلة لنشر دعوته وسبيلاً إلى تأليف القلوب، ودستوراً في علاقاته العامة في الجزيرة العربية ومع الأمم من الشعوب الأخرى.

فكان الرسول صلى الله عليه وسلم هو المعلم الأول للسفراء المسلمين، وهو مؤسس نظام السفارات وواضع أصولها الثابت وقواعدها المحددة ومنهاجها القويم الذي اتبعه خلفاؤه من بعده في سبيل بناء الدولة العربية الإسلامية والدفاع عن عقيدتها وكيانها إنه رسول السماء إلى الأرض، وهو المؤهل بالنبوة وبالتنشئة ليكون الإمام والحَكم والمصلح. [1]

أقام العرب المسلمون في العهد النبوي علاقات ودية داخل الجزيرة وخارجها، وقد اتسمت هذه العلاقات بالشمولية وتبادل الرسائل، وعقد المعاهدات، وإرسال المبعوثين والسفراء إلى الدول الأخرى أو القبائل للقيام بمهمات مختلفة سواء عقد الصلح أو التحالف أو تبادل الأسرى أو إقامة السلام إلى غير ذلك من المهمات الدبلوماسية،لم يكن في العهد النبوي تبادل دائم للسفراء بل كان السفراء يبعثون في مهمات وقتية قد تستغرق يوماً أو عدة أيام وقد تطول لأسابيع أو أشهر حسب طبيعة المهمة الموكلة لهم. [2]

بعد أن تمكن الرسول صلى الله عليه وسلم من تأمين الجبهة الداخلية بعقد صلح الحديبية مع قريش كان صلح الحديبية إيذاناً ببداية المد الإسلامي فقد انساح هذا المد إلى أطراف الجزيرة العربية، بل تجاوزها إلى ما وراء حدود الجزيرة العربية،واختار الرسول صلى الله عليه وسلم أسلوباً جديداً من أساليب الدعوة وهو مراسلة ملوك الدول المجاورة ، فأرسل إلى قيصر ملك الروم، وكسرى ملك فارس، والنجاشي ملك الحبشة، والمقوقس ملك مصر، وكذلك أرسل إلى ملك اليمامة، وملك البحرين[3]، وكان لذلك أثر بارز في دخول بعضهم الإسلام وإظهار الود من البعض الآخر، كما كشفت هذه الرسائل مواقف بعض الملوك من الدعوة الإسلامية ودولتها في المدينة، وبذلك حققت هذه الرسائل

1 _ فتح الباب(حسن): أصول الدبلوماسية الثقافية في الإسلام، مجلة الوعي الإسلامي،العدد333، الكويت، 1993م،ص44.

2_ السامرائي(شفيق): الدبلوماسية، دار الكتب الوطنية، بنغازي،2002م،ص78.

3_ ابن هشام: السيرة النبوية، ج2، ص667.

نتائج كثيرة، واستطاعت الدولة العربية الإسلامية من خلال ردود الفعل المختلفة تجاه الرسائل أن تنتهج نهجاً سياسياً وعسكرياً واضحاً ومتميزاً.

وهذه الخطوة تعني نضوج الدولة الإسلامية من ناحية، ومن ناحية أخرى وضوح مدى أهمية العلاقات الخارجية الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومن ثم القوة المعنوية التي تتمتع بها هذه الدولة، حيث مخاطبة دول العالم، ودعوتها إلى دين الإسلام لم يكن أمراً هيناً.

قام الرسول صلى الله عليه وسلم ببناء علاقات مسؤولية مع الملوك حول الجزيرة العربية، كما عقد صلات بزعماء القبائل في جزيرة العرب من أجل التعاون لبناء الدولة على أرض جزيرة العرب تعد رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الملوك ذات أهمية بارزة في التاريخ العربي الإسلامي كونها تمثل مرحلة من مراحل الدعوة وأسلوب من أساليب التعريف بالإسلام ونشره بين الأمم ، لقد كتب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ملوك عصره يدعوهم إلى الإسلام فقد روي عن الصحابي أنس بن مالك أن الرسول صلى الله عليه وسلم كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى.[1]

أقام الرسول صلى الله عليه وسلم علاقات دبلوماسية ناجحة مع النجاشي ملك الحبشة ومع المقوقس ملك مصر وتبادل معها الهدايا والوفود، وأقام علاقات متينة مع نصارى نجران، وكذلك مع قبائل وثنية شهيرة كخراعة والملك أكيدر بن عبد الملك الكندي وعرب الحيرة،[2] من المناذرة.

وفيما يلي مخطط بأشهر سفراء الرسول صلى الله عليه وسلم :

1_ مسلم(مسلم بن الحجاج، ت: 261 هـ / 875م): صحيح مسلم، تح، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991م، رقم الحديث 1774،ص1397.

2_ الحيرة: تقع وسط العراق ، وهي عاصمة المناذرة وقاعدة ملكهم، تقع إلى الجنوب الشرقي من مدينتي النجف الأشرف والكوفة، سمّيت كذلك لأن تُبَّع أبو كرب في إحدى الغزوات لما قصد خراسان، أتى موضع الحيرة وخلّفَ هناك مالك بن فهم بن غنم بن دوس على أثقاله، وتخلّفَ معه من ثقلَ معه من أصحابه في نحو اثني عشر ألفاً، وقال تحيّروا في هذا الموضع أي أقاموا به، فسمِّيَ الموضع الحيرة، وتوصف بطيب هوائها وعذوبة مائها وجودة صناعتها، وتميزت بنشاطها التجاري، البكري: معجم ما استعجم، ج2، ص478؛ الحموي: معجم البلدان، مج2، ص328.

مخطط لأشهر سفراء الرسول صلى الله عليه وسلم من تصميم الباحثة

رابعاً: سفارة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى هرقل قيصر الروم: [1]

1- سفير الرسول صلى الله عليه وسلم دحية الكلبي:

1_ هرقل: فلافيوس أغسطس هرقل، يعد هرقل من أعظم الأباطرة في التاريخ البيزنطي،توج في الخامس من شهر أكتوبر عام (610 م) بعد أن أطاح بسلفه الإمبراطور فوقاس، مَلَكَ الرّوم سنة(610– 641م) وقَيصر لقبه: معناه البقير ؛وذلك أنّ أمه ماتت قبل أن تلده ، فبقر بطنها عنه فخرج حياً ،واسم قيصر : مشتق في لغتهم من القطع ، لأن أحشاء أمه قطعت حتّى خرج منها ، كان شجاعا جبّاراً مقداماً في الحرب واسترد عود الصليب عام(622 –630م) وأعاده إلى بيت المقدس، وعندما بدأ الفتح الإسلامي انكسرت جيوش هرقل، وخسرت الإمبراطورية سوريا وفلسطين وبلاد ما بين النهرين ومصر عام (634–642 م)، توفي هرقل سنة (21هـ/641 م) ، عبودي (هنري س.): معجم الحضارات السامية، جروس برس،طرابلس، لبنان،ط2، 1991م ،ص 883، وسيرد في البحث باسم معجم الحضارات. عبودي: معجم الحضارات، ص883.

عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من ينطلق بصحيفتي هذه إلى قيصر، وله الجنة، فقال رجل من القوم: وإن لم يقبل؟ قال: وإن لم يقبل،[1] فكان حامل هذه الرسالة هو دحية الكلبي،[2]من أجمل من يُضرب بهم المثل بحسن الصورة والخلق الحكيم،[3] كان تاجراً غنياً وفارساً شجاعاً، كان راجحاً في عقله، حكيماً في قوله، لديه القدرة على التواصل مع الأخرين، كان عارفاً بالجوانب السياسية والجغرافية المكانية لبلاد الشام كونه تاجراً وكانت تجارته إلى الشام وكانت قوافله تغذي المدينة المنورة بالسلع. [4]

2- الرسالة النبوية الأولى إلى هرقل:

لما وصل دحية الكلبي إلى قيصر طُلِبَ منه أن يسجد بين يديه احتراماً وتعظيماً، لكن دحية امتنع وقال:" لا أفعل هذا أبداً ولا نسجد لغير الله"، فقالوا له:" إن لم تسجد لا يؤخذ كتابك"،فأشار عليه أحدهم فقال لدحية:" أنا أدلك على أمر يؤخذ فيه كتابك ولا تسجد له،فقال له دحية ما هو؟ فقال: إن له على كل عتبة منبر يجلس عليه فضع صحيفتك تجاه المنبر، فإن أحد لا يحركها حتى يأخذها هو ثم يدعو صاحبها"، ففعل دحية ذلك، فلما أتى قيصر إلى الكتاب أخذه فنادى: من صاحب الكتاب؟ فهو آمن، فجاء الرجل فقال: أنا، فدعا الترجمان الذي يقرأ بالعربية، فقرأ له مضمون الرسالة النبوية. [5]

3- نص الرسالة النبوية لهرقل قيصر الروم:

1_ ابن حجر العسقلاني(أحمد بن علي، ت:852هـ / 1448م):المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية،دار العاصمة،الرياض،2011م، ج17، ص503.

2_ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج2،ص644؛.

3_ ابن حبان: تاريخ الصحابة، رقم الترجمة404،ص94؛الذهبي: سير أعلام النبلاء ، رقم الترجمة 2021، ج2، ص1657.

4_ البخاري: صحيح البخاري،ص1239.

5_ الحلبي (علي بن برهان ، ت:1044هـ/ 1634م): إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون المعروفة بالسيرة الحلبية، المطبعة الأزهرية، مصر، ط3، 1932م، ج3، ص62،وسيرد في البحث باسم السيرة الحلبية.

لما فتح قيصر الكتاب وقرأه القارئ وجد فيه:[بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى،أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم الأريسيين[1]، ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله،ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون[2]] [3]

(محمد رسول الله)

1 _ الإريسيين: وردت هذه الكلمة في بعض المصادر باسم الأكارين كما في رواية الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص649.

الإرس: الأصل والأريس: الأكار والأكاريين كانوا عندهم من الفرس وهم عبدة النار فجعل عليه إثمهم وكانوا أهل فلاحة وكانت العرب تسميهم الفلاحين ويقال أنالإريس كبيرهم الذي يمتثل أمره ويطيعونه إذا طلب منهم الطاعة ومعنى عليك إثم الأريسيين الين هم داخلون في طاعتك فلو دعوتهم للإسلام لأجابوك، فعليك إثمهم لأنك سبب منعهم الإسلام ولو أمرتهم بالإسلام لأسلموا.

وقيل أنهم أتباع عبد الله بن أريس، رجل كان في الزمن الأول قتلوا نبياً بعثه الله إليهم وقيل: الإريسون الملوك وأحدهم أريس، وقيل هم العشارون؛ ابن منظور: لسان العرب، مج6، ص5–6. والراجح أن المراد بهم عموم رعيته.

2_ القرآن الكريم : سورة آل عمران، الآية64.

3_ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص649؛ ابن حديدة (محمد بن علي، ت:783 هـ/ 1381م): المصباح المضيء في كتاب الرسول الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي، صححه، محمد عظيم الدين، دار عالم الكتب، بيروت، ط2، 1985م، ج2، ص74، وسيرد اسم الكتاب في البحث باسم المصباح المضيء،حسن (حسن إبراهيم): تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، بيروت، ط14، 1996، ج1، ص130؛ العازمي (موسى بن راشد): اللؤلؤ المكنون في سيرة المأمون، دار الصميمي، الرياض، 2013، ج3، ص363.

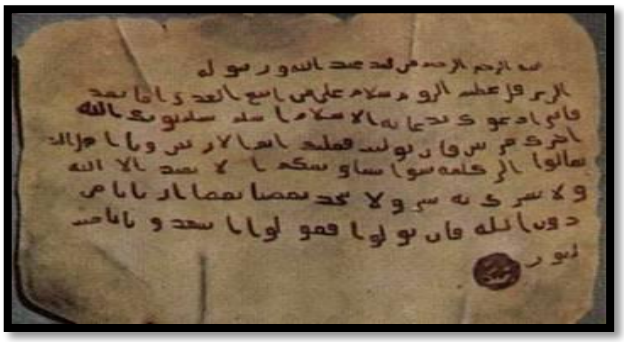

(الرسالة النبوية إلى هرقل) [1]

4- الحوار بين دحية الكلبي والقيصر هرقل:

استقبل القيصر هرقل دحية استقبالاً طيباً، واستمع لما قاله من خلال مترجم في البلاط الروماني الشرقي، ودار بينهما الحوار الصريح التالي:قال دحية: فقلت له: يا قيصر، أرسلني إليك من هو خير منك والذي أرسله خير منه فاستمع بذل، ثم أجب بنصح، فإنك إن لم تذلل لم تفهم، وإن لم تنصح لم تنصف.

قال قيصر: هات.

قلت: هل تعلم أن المسيح عليه السلام كان يصلي؟

قال: نعم.

قلت: فإني أدعوك إلى من كان المسيح عليه السلام يصلي له، وأدعوك إلى من دبر خلق السموات والأرض، والمسيح في بطن أمه، وأدعوك إلى هذا الرسول الذي بشر به موسى عليه السلام، وبشر به عيسى بن مريم عليه السلام من بعده، وعندك من ذلك إنارة من علم، تكفي عن العيان، وتشفي من الخبر، فإن أجبت كانت تلك الدنيا والآخرة، وإلا ذهبت عنك الآخرة، وشوركت في الدنيا، وأعلم أن لك رباً يقصم الجبابرة، فأخذ قيصر الكتاب، فوضعه على عينه ورأسه وقبله ووضعه على خاصرته،[2] ثم قال:

1_ حلواني وطويلة (محمد و عبد الوهاب): عالمية الإسلام ورسائل الرسول صلى الله عليه وسلمإلى الملوك والأمراء، دار القلم، دمشق، د.ت، ص 111، وسيرد في البحث باسم عالمية الإسلام.

2_ ابن حبيب البغدادي (محمد، ت :245هـ/ 859م): المحبر، رواية، أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري، تصحيح، الليزه ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ت،ص75؛ السهيلي: الروض الآنف، ج7، ص516؛

أما والله ما تركت كتاباً إلا قرأته، ولا عالماً إلا سألته، فما رأيت إلا خيراً،فأمهلني حتى أنظر من كان المسيح ﷺ يصلي له، فإني أكره أن أجيبك اليوم بأمر أرى غداً ما هو أحسن منه، فأرجع عنه، فيضرني ذلك ولا ينفعني، أقم حتى أنظر. [1]

5- **هرقل يتحرى عن حقيقة الرسول صلى** الله عليه وسلم:

بعد أن قرأ هرقل الرسالة وبعد الحوار الذي دار بينه وبين دحية الكلبي، أمر أن يلتمس له من العرب من يسأله عن هذا الرجل الذي يدعي النبوة ليسأله عن بعض صفاته، ويتحقق منها صدق الرجل فيما يدعيه أو كذبه، وكان على علم بهذه الصفات من الكتب السابقة، وصادف وجود أبي سفيان مع جماعة من قريش في الشام في تجارة، قال ابن عباس[2]: فأخبرني أبو سفيان بن حرب[3] أنه كان بالشام في رجالٍ من قريش قدموا تجاراً في المدة – صلح الحديبية –التي كانت بيني وبين رسول الله، قال أبو سفيان: فوجدنا رسول قيصر ببعض الشام، فانطلق بي وبأصحابي حتى قدمنا إيلياء[4]، فأدخلنا عليه، فإذا هو جالسٌ في مجلس ملكه وعليه التاج، وحوله عظماء الروم.

الوكيل(مختار):سفراء الرسول صلى الله عليه وسلم وكتابه ورسائله،دار المعارف،القاهرة، 1987م،ص24،وسيرد في البحث باسم سفراء الرسول صلى الله عليه وسلم.

1_ حلواني وطويلة : عالمية الإسلام، ص114.

2_ ابن عباس: عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، كنيته: أبو العباس. توفي الرسول وهو ابن أربع عشرة. ولد قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم بأربع سنين قال له الرسول صلى الله عليه وسلم: اللهم علمه الحكمة ،مات سنة ثمان وستين بالطائف، وقيل: سنة سبعين، البستي: تاريخ الصحابة الذين روي عنهم الأخبار، ص141، ابن حجر العسقلاني(أحمد بن علي، ت:852هـ / 1448م):الإصابة في تمييز الصحابة، المكتبة العصرية، بيروت،2012م،ج6، ص228.

3_ أبو سفيان: هو صَخر بن حرب بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف ، صحابي من سادات قريش في الجاهليّة ، وهو ولد معاوية رأس الدّولة الأمويّة ، قاد قريش وكنانة يوم أحد والخندق لقتال الرسول صلى الله عليه وسلم، وأسلم يوم فتح مكة سنة 8 هـ ، فقئت عينه يوم الطّائف، والأخرى يوم اليرموك فعمي ، ولما توفي الرسول صلى الله عليه وسلم كان أبو سفيان عامله على نجران ، ثم أتى الشّام ،وتوفي بالمدينة وقيل بالشّام ؛ ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة ، ج 4، ص227.

4_ إيلياء:بسكر أوله ولام وياء وألف ممدودة اسم مدينة بيت المقدس معناها بيت الله، الحموي: معجم البلدان، مج1، ص293.

فقال لترجمانه: سلهم أيهم أقرب نسباً إلى هذا الرجل الذي يزعم أنه نبيٌّ؟ قال أبو سفيان: فقلت: أنا أقربهم إليه نسباً.

قال: ما قرابة ما بينك وبينه؟ فقلت: هو ابن عمّ.

فقال قيصر: أدنوه، وأمر بأصحابي فجعلوا خلف ظهري.

ثم قال لترجمانه: قل لأصحابه إني سائلٌ هذا الرجل عن الذي يزعم أنه نبيّ، فإن كذب فكذبوه.

فقال أبو سفيان: والله لولا الخوف من أن يكذبني أصحابي لكذبته ولكني استحييت أن يؤثروا الكذب عني فصدقته[1]، واستمر السؤال والجواب هكذا:القيصر: كيف نسب هذا الرجل فيكم؟

أبو سفيان: شريف وعظيم.

سمع هرقل هذا الجواب فقال: حقاً الرسول يكون من بيت شريف حتى لا يكون في إطاعته عار على أحد وكذلك الرسل تبعث في أحساب قومها.

قيصر: هل ادعى أحد من العرب أو من قريش النبوة من قبل؟

أبو سفيان: لا.

فسمع هرقل هذا الجواب فقال: لو كان كذلك لظننت أنه يقلد من سبقه.

قيصر: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول النبوة؟

أبو سفيان: لا.

فقال هرقل: هذا لا يمكن لأن من لا يكذب على الناس لا يكذب على الله.

قيصر: هل كان من آبائه ملك؟

أبو سفيان: لا.

فقال هرقل بعد أن سمع هذا، أنا أرى أنه قد يكون ادعى النبوة ليحصل على ملك آبائه.

قيصر: هل أشراف القوم يتبعونه أم ضعفاؤهم.

أبو سفيان: بل ضعفاؤهم.

فقال هرقل: إن الضعفاء هم عادة أتباع الرسل.

قيصر: هل يزيد أتباعه أم ينقصون؟

أبو سفيان: بل يزيدون.

1_ البخاري: صحيح البخاري،، رقم الحديث 2941، ص725.

فقال هرقل: وكذلك الإيمان حتى يتم.

قيصر: هل يرتد أحد سخطه[1] لدينه بعد أن يدخل فيه؟

أبو سفيان: لا.

فقال هرقل: وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب وثبت في الروح، فيبقى الإيمان ولا يزول.

قيصر: هل نقض عهداً أو حنث بوعد؟

أبو سفيان: لا.

فقال قيصر: بلا شك انه لا يحنث بوعده ولا ينقض عهداً، فطالب الدنيا طالما ينقض العهد، أما الرسول فلا حاجة له بالدنيا.

قيصر: هل قاتلتموه أو قاتلكم؟

أبو سفيان: نعم.

قيصر: فكيف كانت النتيجة؟

أبو سفيان: الحرب بيننا وبينه سجالاً[2] ودولاً[3].

فقال هرقل: هذا هو حال الأنبياء تبتلى وتكون لها العاقبة فتنال النصر من الله.

قيصر: فماذا يأمركم به؟

أبو سفيان: يأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا ويأمرنا بالصلاة والزكاة والعفاف والصدق وصلة الرحم.

1_ سخطه: سخطاً: كرهه ولم يرض به وأغضبه، رضا(أحمد): معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1958م،ج3، ص122.

2_ سجال: هي جمع سَجْلٌ منها على هؤلاء وآخر على هؤلاء، كانت الحرب سجالاً لا غالب ولا مغلوب، تعادل القوة فيما بينهما، رضا : معجم متن اللغة، ج3، ص109.

3_ دولاً: دالَ يدول دولاً دال الأمر انتقل من حال إلى حال دالت الأيام بمعنى دارت أو الانتقال من حال إلى حال ودالت دولة الاستبداد: زالت، ودالت له الدولة: تحولت إليه وصارت، رضا : معجم متن اللغة، مج2، ص476.

وبعد عدة أسئلة قال هرقل:هذه صفة نبيٍّ قد كنت أعلم أنه خارج، ولكن لم أعلم أنه منكم، وإن يك ما قلت حقاً فيوشك أن يملك موضع قدميّ هاتين،[1]ولو أرجو أن أخلص إليه لتجشمت[2] لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت قدميه، [3]ثم قرأ خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم،فلم يعجب أعضاء البلاط فعلت أصواتهم وكثر لغطهم[4]وصياحهم، فأمر بنا فأخرجنا،[5] ويقول أبو سفيان ومنذ ذلك اليوم وأنا أرى نفسي ذليلاً وقد تأكدت من عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم.

6- الرد على الرسالة النبوية الأولى:

لقد رأى قيصر أن يعلم مدى رغبة كبار قومه في الإسلام والدخول فيه،فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له[6] بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلقت، ثم اطلع فقال:"يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد، وأن يثبت لكم ملككم وتتبعون ما قال عيسى بن مريم ﷺ؟ قالوا: وما ذاك أيها الملك؟ قال: تتبعون هذا الرسول العربي، قال: فحاصوا حيصة حمر الوحش وتنازعوا ورفعوا الصليب".

فلما رأى هرقل ذلك ، يئس من إسلامهم، وخافهم على نفسه وملكه فسكتهم، ثم قال:" إنما قلت لكم ما قلت أختبركم لأنظر مدى صلابتكم في دينكم، فقد رأيت منكم الذي أحب، فسجدوا له ورضوا عنه".[7]

1_ الطبري:تاريخ الرسل والملوك،ج2،ص648؛ ابن حبان: السيرة النبوية وأخبار الخلفاء،ص295.

2_ تجشمت: تكلفت الوصول إليه وارتكبت المشقة في ذلك، من جشم وتجشمت الأمر إذا ركبت أجسمه وتجشمت فلاناً أي قصدت قصده والجشم أيضاً الجوف أو الصدر وأيضاً تجشم الأمر فعله على كره ومشقة، ابن منظور: لسان العرب، مج12، ص101.

3_ مسلم:صحيح مسلم، رقم الحديث1773،ص1395؛الطبري:تاريخ الرسل والملوك،ج2،ص648.

4_ لغطهم: واللغطُ: الأصوات المبهمة المختلطة والجلبة لا تعطهم والكلام الذي لا يبين، ابن منظور: لسان العرب، مج7، ص391.

5_ البخاري: صحيح البخاري، الحديث رقم 2941، ص724؛ الميانجي(علي): مكاتيب الرسول صلى الله عليه وسلم، ج2، ص401-403.

6_ دسكرة: "ليست بعربية محضة" بناء على هيئة القصر فيه منازل وبيوت للخدم والحشم أو بناء حوله بيوت للأعاجم يكون فيها الشراب والملاهي، رضا : معجم متن اللغة، مج2، ص411.

7_ الطبري:تاريخ الرسل والملوك،ج2،ص650؛ البيهقي:دلائل النبوة،ج4،ص384؛ ابن حديدة: المصباح المضيء، ج2، ص80.

لما تبين لقيصر أن وزراءه وكبار قومه لن يوافقوه على الإسلام دعا دحية الكلبي وأعطاه كتاب، وقال له: "والله إني لأعلم أن صاحبك نبيٌّ مرسل، وأنه الذي كنا ننتظره ونجده في كتابنا ولكني أخاف الروم على نفسي ولولا ذلك لاتبعته". [1]

وجاء رد القيصر على الرسالة النبوية كالتالي:"إلى أحمد رسول الله الذي بشر به عيسىﷺ من قيصر ملك الروم، إنه جاءني كتابك مع رسولك، وإني أشهد أنك رسول الله نجدك عندنا في الإنجيل وبشرنا بك عيسى بن مريمﷺ، وإني دعوت الروم أن يؤمنوا بك فأبوا، ولو أطاعوني لكان خيراً لهم، ولوددت إني عندك فأخدمك وأغسل قدميك"،[2] وأرسل هرقل بهدية مع دحية مالٍ وكسوةٍ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلها، وقسم الدنانير[3]على الصحابة، وجعل هرقل كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الديباج[4]والحرير وجعله في سقط،[5] وروي أن هرقل وضع كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم في قصبة من ذهب تعظيماً له،[6] فلما وصل كتابه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبره دحية بذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يبقى ملكهم ما بقي

1_ ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي، ت597هـ/1200م): الوفا بأحوال المصطفى، تح : مصطفى عبد الواحد، دار الكتب الحديثة، مصر، د.ت، مج2، ص726.

2_ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي،ج2، ص78؛ الحلبي: السيرة الحلبية ج3، ص68؛ حميد الله (محمد): مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار النفائس، بيروت، ط4، 1983م، ص111، وسيرد في البحث باسم الوثائق السياسية للعهد النبوي.

ص111.

3_ الدنانير: مفردها دينار وهو قطعة من النقد ذهبية تعامل بها الناس قديماً وزنه مثقال،وهو عشرة أسباع الدرهم، رضا : معجم متن اللغة، مج2، ص457.

4_ الديباج: ثوب لحمته وسداه من الحرير وهو نسيج من الإبر يسم ملون ألوانا (فارسي معرب) ديباج الوجه: حسن بشرته وديباج القرآن، السور القرآنية التي تبدأ ب حم، رضا : معجم متن اللغة، مج2، ص370.

5_ سقط: الذي يعبئ فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء ج إسقاط، والسقط أيضا وعاءٌ من قضبان الشجر ونحوها توضع فيه الأشياء كالفاكهة ونحوها، رضا : معجم متن اللغة، مج3، ص163.

6_ ابن حديدة: المصباح المضيء، ج2، ص95.

كتابي عندهم"،[1] كما أخبر دحية رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قيصراً آمن به وأبت بطارقته[2]أن تؤمن.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثبت وثبت ملكه"، [3] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً: "كذب عدو الله ليس بمسلم بل هو على نصرانيته!". [4]

7- الرسالة النبوية الثانية إلى هرقل:

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في تبوك [5]في سنة(9 هـ /630م) رسالة إلى هرقل [6] بعد أن انزل الله صلى الله عليه وسلم عليه ﷻ: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ ولاَ بِالْيومِ الآخِرِ، ولاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ ورَسُولُهُ ولاَ يَدِينُونَ دِينَ الحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ حتَّى يُعطُوا الجِزْيَةَ عن يَدٍ وهُمْ صَاغِرونَ﴾.[7]

وقد جاء في الرسالة الثانية لهرقل:

"**بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى صاحب الروم، إني أدعوك إلى الإسلام، فإن أسلمت فلك ما للمسلمين وعليك ما عليهم، فإن لم تدخل في الإسلام فأعط الجزية، فإن الله تبارك وتعالى يقول: " قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا**

1_ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، مج2، ص78.

2_ بطارقته: مفردها بطريق وتعني الرئيس الأعلى للأساقفة عند المسيحيين وأيضاً القائد من قواد الروم ممن له المقام الأول عند الإمبراطور وهو العالم عند اليهود، رضا : معجم متن اللغة، مج1، ص306.

3_ القرطبي (ابن عبد البر يوسف بن عبد الله، ت:463 هـ/ 1071 م): الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح :علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1992م، مج2، ص461.

4_ الحكيم (توفيق): محمدصلى الله عليه وسلم، المطبعة النموذجية، مصر، 1926م، ص259.

5_ تَبُوك: موضع بين وادي القُرَى والشام، وتبوك بين جبلي حِسمْى وشَرَوْرَى، وهو حصن به عين ونخل يُنسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، فالرسول صلى الله عليه وسلم توجه إلى تبوك في سنة(9هـ/630م) وهي آخر غزواته ضد الروم، فنزل مع جيشه على عين فأمرهم أن لا يمسوا مائها، فسبق إليها رجلان وجعلا يدخلان سهمين فيها ليكثُر مائها، فقال لهما الرسول صلى الله عليه وسلم: ما زلتما تبوكانها بعد؟ فسمّيت تَبُوك، البكري: معجم ما استعجم، ج1، ص303؛ الحموي: معجم البلدان، مج2، ص14.

6_ حميد الله : الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص110.

7_ القرآن الكريم :سورة التوبة، الآية(29).

يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون".وإلا فلا تحل بين الفلاحين وبين الإسلام أن يدخلوا فيه، أو يعطوا الجزية. [1]

8- الرد على الرسالة النبوية الثانية:

بعد وصول الكتاب إلى هرقل دعا بطارقة الروم وأغلق عليه وعليهم باباً، فقال: هذا الرجل حيث رأيتم، وقد أرسل إلي يدعوني إلى ثلاث خصالٍ: يدعوني أن اتبعه على دينه، أو على أن نعطيه مالنا على أرضنا والأرض أرضنا، أو أن نلقي إليه الحرب، والله لقد عرفتم فيما تقرؤون من الكتب: ليأخذن ما تحت قدمي، فهلم نتبعه على دينه، أو نعطيه مالنا على أرضنا، فنخروا نخرة رجل واحد، وقالوا: "تدعونا إلى أن ندع النصرانية، أو نكون عبيداً لأعرابي جاء من الحجاز؟

فلما ظنّ إنهم إن خرجوا من عنده، أفسدوا عليه الروم، هدأهم وقال: إنما قلت ذلك لكم لأعلم صلابتكم على أمركم، ثم دعا رجلاً من عرب نجيب كان على نصارى العرب فقال:ادع لي رجلاً حافظاً للحديث، عربي اللسان فدفع إليّ هرقل كتاباً، فقال: اذهب بكتابي إلى هذا الرجل، فما ضيعت من حديثه، فأحفظ لي منه ثلاث خصال: انظر هل يذكر صحيفته التي كتب إليّ بشيء، وانظر إذا قرأ كتابي فهل يذكر الليل والنهار، وانظر في ظهره هل به شيء يريبك؟ [2] فانطلقت بكتابه حتى جئت بتبوك، فإذا هو جالس مع أصحابه، فقلت: أين صاحبكم؟ قيل: ها هوذا، فأقبلت أمشي حتى جلست بين يديه، فناولته كتابي، فوضعه في حِجْره، [3]ثم قال : فمن أنت؟ فقلت: أنا أحد تنوخ. [4]

1_ حميد الله : الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، ص110.

2_ حميد الله : الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ،.ص113.

3_ حِجْر: وأفصحها الكسر ومن الإنسان: حضنه: ما بين يديه من ثوبه. ووضعه في حجره أي حفظه، رضا : معجم متن اللغة، ص31.

4_ تنوخ: هو اسم لعدة قبائل اجتمعوا قديماً بالبحرين وتحالفوا على التناصر، فأقاموا هناك فسموا تنوخاً والتنوخ الإقامة، كحالة: معجم قبائل العرب، ج1،ص134، التنوخي: أصله من قبيلة تنوخ الذين كانوا يسكنون الحيرة بالعراق،كان التنوخي متمسكاً بمسيحيته، كان سفير هرقل للرسول صلى الله عليه وسلم عرض عليه الرسول صلى الله عليه وسلم الإسلام فأبى، اقام بحمص إحدى مدن الشام، الرسول المبلغ، ص146.

قال: هل لك في الإسلام، الحنيفة ملة أبيك إبراهيم؟ قلت: إني رسول قوم، وعلى دين قوم، لا أرجع عنه حتى أرجع إليهم، فضحك وقال: إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين.[1]

يا أخا تنوخ، إني كتبت بكتاب إلى كسرى، فمزقه، والله ممزقه وممزق مُلكه، وكتبت إلى النجاشي بصحيفة، فخرقها، والله مخرقه ومخرق ملكه، وكتبت إلى صاحبك بصحيفة فأمسكها، فلن يزال الناس يجدون منه بأساً ما دام في العيش خير،[2] قلت: هذه إحدى الثلاث التي أوصاني بها صاحبي، وأخذت سهماً من جعبتي فكتبت في جلد سيفي، ثم إنه ناول الصحيفة رجلاً عن يساره. قلت: من صاحب كتابكم الذي يقرأ لكم؟ قالوا: معاوية، فإذا في كتاب صاحبي: تدعوني إلى جنة عرضها السماوات والأرض أعدّت للمتقين، فأين النار؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سبحان الله، أين الليل إذا جاء النهار؟ فأخذت سهماً من جعبتي، فكتبتها في جلد سيفي، فلما أن فرغ من قراءة كتابي، قال: "إنّ لك حقاً، وإنك رسول، فلو وجدت جائزة جاوزناك بها، إنّا سفر، مرملون"[3]

قال: فناداه رجل من طائفة الناس، قال أنا أجوزه، ففتح رحله، فإذا هو يأتي بحلة صفّورية،[4] فوضعها في حجري ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيكم ينزل هذا الرجل؟ فقال فتى من الأنصار: أنا.

1_ القرآن الكريم : سورة القصص، الآية(56).

2_ الساعاتي (أحمد عبد الرحمن البنات،ت: 1377 هـ/ 1957م): الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومعه مختصر بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني ، دار إحياء التراث العربي ،بيروت ، د.ت ،ج21، ص199؛ الوكيل(مختار):سفراء الرسول صلى الله عليه وسلم،ص27.

3_ مرملون: من أرمل القوم أي نفذ زادهم، معلوف: المنجد في اللغة،ص280.

4_ صفورية: نسبة الصفورية كورة وبلدة من نواحي الأردن وهي قرب طبرية، الحموي: معجم البلدان، مج3، ص402.

قمت معه فناداني رسول الله صلى الله عليه وسلم فعدت إليه فحلّ حبوته[1]عن ظهره، وقال: "هاهنا، امضِ لما أمرت له" فجلتُ في ظهره فإذا أنا بخاتم في موضع غضون الكتف مثل الحجمة[2]الضخمة. (3)

برز الدور السياسي للسفارة النبوية إلى هرقل ملك الروم من خلال:

أن هذه السفارة راعت العقائد الدينية حيث استخدم الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وصفه الوظيفي "رسول الله" وليس نبي الله مثلاً، وذلك من أجل أن يفهم هرقل ومن يسمع معه أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم يوحى إليه من أجل التبليغ للناس كافة، فهو لم يكن نبياً لقومه خاصة كما دور الكثير من الأنبياء الآخرين من قبله حيث كانوا يبعثون لأقوامهم خاصة ومنهم من لم يبعث لأحد، [4]كما أن ابتدأ الرسالة من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم،[5] ولأن هرقل كان على دين النصرانية فقد ختمت الرسالة بآية قرآنية، لأن عقلاء النصارى يستطيعون أن يميزوا كلام البشر من كلام الله ﷻ، بخبرتهم ومعرفتهم بالإنجيل، وبالتالي تعطي هذه قوة للرسالة في التأثير النفسي على هرقل ومن عنده، لما فيه من تأييد أن محمدصلى الله عليه وسلم رسول من الله.

1_ حل حبوته: الحَبوةُ ما يختبى به من ثوبٍ وغيره، وحل حبوته: أي ألقى بردة كانت عليه عن ظهره، معلوف (لويس): المنجد في اللغة والأدب والعلوم، المطبعة الكاثوليكية،بيروت، ط19، د.ت، ص115.

2_ الحجمة: الحَجْمُ في الشيء ملمسه الناتئ تحت يدك، ج حجوم وأصله الظهور والإنبثار أي الارتفاع، رضا : معجم متن اللغة، مج2، ص36.

3_ ابن كثير(إسماعيل بن عمر، ت:774هـ/ 1373م): البداية والنهاية، تح،عبد الله التركي، دار هجر، مصر، 1997م، ج7، ص176؛ الساعاتي : الفتح الرباني، ج21، ص200.

4 _ حمودي_العبد(شيرين_نور):رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الدول المجاورة(النجاشي_هرقل_كسرى)،مجلة جامعة حمص،العدد41،حمص، مج39، 2017م، ص168،وسيرد في البحث باسم رسائل الرسول صلى الله عليه وسلمإلى ملوك الدول المجاورة.

5_ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج2،ص649؛ ابن الأثير(علي بن أبي الكرم محمد، ت:630هـ/ 1233م): الكامل في التاريخ، تح،عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م،ج2،ص96؛ القلقشندي (أحمد بن علي، ت:821هـ/ 1418م): صبح الأعشى في كتابة الإنشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1914م، ج6، ص363؛ ابن طولون (محمد الدمشقي ت:953 هـ/1546م): إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، تح، محمود الأرناؤوط، مراجعة،عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1987م،ص70.

عموماً فإن الرسالة فيها الحسم والوضوح في طرح أكثر من قضية بشكل مباشر وصريح ولم تكن لهجتها شديدة أو عنيفة بل انطوت على الكثير من الرقة واللطف والدلائل الواضحة المقترنة مع قوة الموقف، [1] فالكتاب الموجه لهرقل يتسم بالمحافظة على الصبغة الإسلامية حيث يبدأ بالبسملة، كما يتسم بالصراحة في الدعوة إلى الإيمان بالإسلام وبنبوة محمدصلى الله عليه وسلم،لكنه بنفس الوقت يصطبغ بالحكمة والموعظة الحسنة واحترام المخاطب(عظيم الروم) لمكانته بين قومه وترغيباً له في الإسلام ومع الترغيب بالأجر ذكر الترهيب من الإثم الذي يلحقه إذا حجب قومه عن الإسلام. [2]

أما في رد قيصر على الرسالة النبوية الأولى فقد اعترف قيصر في رسالته بعلو مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى ملكه وأبدى من خلال ابتداء رسالته باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل اسمه هو، إن قيصر أجاب بغاية الوضوح باعترافه برسول الله صلى الله عليه وسلم واستخدم اسم (أحمد) الذي بشرهم به عيسى بن مريمﷺ،[3] وفي ذلك دلالة على عمق الإيمان بالموضوع وقراءته للإنجيل من قبل ومعرفته للنبيصلى الله عليه وسلم حق المعرفة وهذا واضح من خلال أجوبته على الأسئلة التي طرحها على أبو سفيان وهو يتحرى حقيقة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بأنه يعلم ما هي دلائل النبوة، رغم شهادته بأن محمد رسول الله إلا أنه فضل ملكه على إتباع محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه مشكلة يعاني منها معظم الخائضين في مجال السياسة حيث لا يكون في غالب الأمر من أجل قضية فحين تتقاطع القضية مع مصالحه الشخصية يتمرد ويفضل نفسه ومكتسباتها. [4]

وحملت هذه السفارة أهمية سياسية كونها وجهت إلى ملك الروم وقد كان له مكانة في الخريطة السياسية في ذلك العصر، وهذا يدل على ضخامة وأهمية هذه السفارة المرسلة من نبي مرسل مما يدل على قوة الدولة العربية الإسلامية سرعة انتشار الإسلام في شبه الجزيرة العربية

1_ حمودي_العبد:رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الدول المجاورة، مج39،ص168.

2_ العمري: السيرة النبوية،ج1، ص460.

3_ قالﷺ:﴿وَإذ قَالَ عِيسَى بنُ مَرْيَمَ يا بني إسرائيلَ إنّي رَسُولُ الله إلَيكُم مُّصَدِّقاً لّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التوراةِ ومُبَشِّرَاً بِرسُولٍ يَأتي مِن بَعدِي اسمُهُ أَحْمَدُ﴾،القرآن الكريم: سورة الصف، الآية(6).

4_ حمودي_العبد:رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الدول المجاورة، مج39،ص169.

وسعت الدولة العربية الإسلامية من خلال الرسائل النبوية إلى ملوك الدول المجاورة الرغبة في التعايش وإقامة علاقات حُسن جوارٍ وحوارٍ مع شعوب تلك البلدان.[1]

برز الدورالعسكري والاقتصادي للسفارة النبوية إلى هرقل ملك الروم من خلال:

كان الغاية من السفارة النبوية سياسية لكن أثار ونتائج السفارة كان عسكرية واقتصادية، فعلى الرغم من أن هرقل ملك الروم كان يؤمن بصدق نبوة الرسول صلى الله عليه وسلم لكنه مع ذلك حارب الإسلام والمسلمين، فقد رفض عظماء الروم وبطاركتهم التجاوب مع سفارة دحية الكلبي، وأحرجوا هرقل ورفعوا الصليب في وجهه تعبيراً عن غضبهم من تلقيه رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم بالقبول.[2]

وبعد قناعة ملك الروم برسول الله صلى الله عليه وسلم ويقينه بنبوته لم يقف عند حد عدم الإيمان ولم يقبل الحياد، فهرقل قائد عسكري أدرك أن هناك حاكم ظهر في بلاد العرب ووحد العرب تحت راية واحدة ودين واحد، فكان موقفه الظاهري غير الباطني، فعندما وجد جدية في الموضوع تعامل بجدية فسير الجيوش لحرب المسلمين مع إحساسه الداخلي أنه سيغلب وأنه لن ينتصر على المسلمين، والدليل قوله لأبو سفيان وبعد عدة أسئلة :هذه صفة نبيٍّ قد كنت أعلم أنه خارج، ولكن لم أعلم أنه منكم، وإن يك ما قلت حقاً فيوشك أن يملك موضع قدميّ هاتين،[3] رغم ذلك حاول مقاومة الإسلام بداية من مؤتة مروراً بتبوك.

أدت النزاعات التي جرت في شبه الجزيرة العربية إلى وقف تجارة أهل مكة مع البيزنطيين، وبالتالي لم يعد الحجاز منطقة نفوذ تجاري لبيزنطة كما كان من قبل، من هنا حاول حلفاء البيزنطيين عرب الشام (الغساسنة) تضييق الخناق على دولة المدينة المنورة، وقطع شريان الحياة عنها، وذلك

1_ الندوي(علي): السيرة النبوية،دار الشروق، جدة، ط8، 1989م، ص291.

2_ الطبري:تاريخ الرسل والملوك،ج2،ص650؛ البيهقي:دلائل النبوة،ج4،ص384؛ ابن حديدة: المصباح المضيء، ج2، ص80.

3 _ البخاري:صحيح البخاري،رقم الحديث2941، ص724؛مسلم:صحيح مسلم، رقم الحديث1773،ص1395؛الطبري:تاريخ الرسل والملوك، ج2،ص648.

عن طريق إنزال الأذى بالتجار الأنباط[1] الذين كانوا يحملون إلى المدينة المنورة الزيت والدقيق وغير ذلك من السلع الضرورية،[2] وكان لهم دورٌ بارزٌ في التجارة حيث أوردت المصادر:" كانت الضافطة[3] يقدمون المدينة المنورة بالدقيق والزيت"،[4] ومنها يُستدل أن الأنباط كانوا يأتون إلى المدينة المنورة بقوافلهم التي تحمل الدقيق والزيوت، وكثيراً ما كان أهل المدينة المنورة يدفعون إليهم مقدماً ثمن البضائع ليضمنوا ورودها، أو ربما كانوا يرحلون بأنفسهم لجلب ما يلزمهم من الشمال والجنوب، والأرجح أنهم كانوا يقومون بهذه الرحلات التجارية، وهذا كان له أثر اقتصادي كبير على المدينة المنورة، فكان ذلك سبباً مباشراً لغزوة دومة الجندل[5] سنة(5هـ/626م) [6] حيثُ تورد المصادر أن من أسباب هذه الغزوة أن جمعاً من كلب [7] كانت تقطع الطريق وتقوم بأعمال السلب والنهب أمام التجار القادمين من وإلى المدينة المنورة،[8] فسار الرسول صلى الله عليه وسلم إليهم في ألفٍ

1_ الأنباط(أوائل القرن 4ق.م _ 106م): أقدم الدول الشمالية، عاصمتها البتراء التي تعني الصخرة أو الحجر، ومن مدنهم بصرى_ صلخد، كانوا تجاراً مهرة يجوبون بمتاجرهم البلاد القريبة والبعيدة، قضى الرومان على دولتهم، سموا بالنبط: إما لاستنباطهم ما يخرج من الأرض، أو لأن النبط يرجعون إلى نبيط بن ماش بن أرم بن سام بن نوح ﷺ، كانت لغتهم العربية وكتبوا بالخط الآرامي،وظلت قائمة حتى استولى عليها الإمبراطور تراجان سنة 106م، عبودي: معجم الحضارات، ص837.

2_ الواقدي: المغازي، ج1، ص403.

3_ الضافطة: جمع ضافط وضفاط، والضّافطة والضّفّاطة: العير تحمل الميرة والمتاع إلى المدن، والضّفّاط:التجار يجلبون المتاع والطعام إلى المدن ويمرون من منزل إلى منزل، وكانوا يومئذ قوماً من أنباط الشام وكانوا يتاجرون مع المدينة المنورة،ابن منظور: لسان العرب، مج7، ص377؛ رضا: معجم متن اللغة ، ج3، ص557.

4_ الواقدي: المغازي، ج1، ص403؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج6، ص6؛ الأفغاني(سعيد): أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، دار الفكر، دمشق، ط2، 1960م، ص 233.

5_ دومة الجندل: حصن بين الشام والمدينة المنورة قرب جبلَيْ طيء كانت به بنو كنانة من كلب، سميت كذلك نسبةً إلى دوم بن إسماعيل بن إبراهيم ﷺ، ولأن حصنها مبني بالجندل_أي الصخر العظيم أو الحجارة_، الحموي: معجم البلدان، مج2، ص487.

6_ ابن إسحاق: السيرة النبوية،ج1،ص392.

7_ القلقشندي: نهاية الأرب، ص408.

8 _ الصلابي(علي): غزوات الرسول صلى الله عليه وسلمدروس وعبروفوائد،مؤسسة اقرأ، القاهرة،2007م،ص170،وسيرد في البحث باسم غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم؛ المغلوث: أطلس السيرة، ص146.

من المسلمين، فلما دنا من القوم ولوا مدبرين تاركين أنعامهم وماشيتهم غنيمة بأيدي المسلمين، ثم عاد المسلمون إلى المدينة المنورة، وتجدر الإشارة إلى أهمية هذه الغزوة:

1- وضع حداً للقبائل العربية المتحالفة مع الروم التي كانت تقوم بقطع الطريق أمام التجار الأنباط، وكذلك تعرضهم لسفراء الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الروم، فكانت هذه الغزوة لتأديبهم ومنعهم من التعرض للقوافل التجارية أو السفراء المرسلين من المدينة المنورة إلى بلاد الشام وبالعكس.

2- تأمين المدينة المنورة من الجهة الشمالية من أي هجوم مباغت، والعمل على نشر الإسلام في مناطق أوسع.

3- شكلت خوفاً لدى الروم الذين تقع المنطقة التي وصلها الرسول صلى الله عليه وسلم بجيشه على حدودهم، وكانت ضمن النفوذ البيزنطي، فقد قيل للرسول صلى الله عليه وسلم:" إن دنوت إلى الشام كان ذلك مما يفزع قيصر".[1]

على الرغم من أن جيش المسلمين عاد من غزوة دومة الجندل دون قتال حيث لم يجدوا القبائل التي خرجوا من أجلها، إلا أن نتائجها الاقتصادية والعسكرية عادت بالنفع والخير على المسلمين، فقد كان للرسولصلى الله عليه وسلم النظرة العسكرية الحكيمة والحازمة، وكانت هذه الغزوة قبل إرسال السفارة النبوية إلى هرقل وتم إيرادها لإبراز أهمية إقامة علاقات سياسية سلمية مع بلاد الشام لضمان الاستقرار الاقتصادي للدولة العربية الإسلامية، ولحماية القوافل التجارية المتبادلة بين الشام والمدينة المنورة فلو أن المسلمين سكتوا عن تجاوزات القبائل الموجودة في دومة الجندل لتعرضت قوافلهم وقوافل القبائل التي تحتمي بهم للسلب والنهب مما يضعف الاقتصاد ويؤدي إلى حالة من التذمر والاضطراب، كما أنها كان لها نتائج عسكرية ففيها تدريب للجيش على السير لمسافات نائية فكانت

1_الواقدي: المغازي، ج1، ص403.

فاتحة سير الجيوش الإسلامية للفتوحات العظيمة في أسيا وافريقيا،وهي حرب عسكرية تريد أن تصد هجوماً محتملاً على المسلمين.[1]

يضاف إلى ذلك تعرض سفراء الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والأمراء أثناء مرورهم من تلك المناطق، وهذا ما حدث بالفعل مع دحية الكلبي[2] سفير الرسول صلى الله عليه وسلم إلى هرقل قيصر الروم، على يد رجال من جذام،[3] في تبوك، وهم من الموالين للروم فعندما أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم إلى قيصر الروم فأجازه بمالٍ وكساء،[4] وعند مروره إلى بلاد الشام لقيه ناس من جذام فقطعوا عليه الطريق، وأخذوا كل ما كان معه من متاعه وأهانته بنزع ثيابه عنه، فكان ذلك سبباًفي إرسال الرسول صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة [5] فيفي سرية حسمى[6](7هـ/628م) [7]كانت سرية ضخمة عددها خمسمائة رجل وحققت هذه السرية نصراً عسكرياً على هذه القبائل، حيث تم قتل المتآمرين من قبيلة جذام وأسر مجموعة ثم العفو عنها وعن الغنائم مراعاة للعهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.[8]

1_ الصلابي: غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم ، ص170.

2_ ابن حبان: تاريخ الصحابة، رقم الترجمة404،ص94؛الذهبي: أعلام النبلاء، رقم الترجمة 2021، ج2، ص1657؛ ابن حجر العسقلاني: الإصابة ، رقم الترجمة2405، ص427.

3_ بنو جذام: بطن من كهلان، من القحطانية، وهم بنو جذام بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن كهلان، وجذام أخو لخم، ومعنى الجذام: اسم للداء المعروف، فيقال أن اسم الرجل منقول عنه، ويحتمل أنه مأخوذ من الجذم، وهو القطع، القلقشندي: نهاية الأرب، ص205.

4_ ابن حديدة: المصباح المضيء، ج2، ص95.

5 _ابن حبان:تاريخ الصحابة، رقم الترجمة478،ص107.

6 _ حسمى:أرض في بادية الشام غليظة لا خير فيها، تنزلها جذام فيا جبال شواهق، الحموي: معجم البلدان،مج2،ص258.

7_ ابن هشام: السيرة النبوية،ج4،ص259.

8_ ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير ،ج2،ص84؛ الواقدي:المغازي،ج2،ص555-560.

إضافة إلى ما حدث في سفارة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى عامل الروم شرحبيل بن عمرو الغساني[1] ملك بصرى،[2] فعندما أرسل الرسول صلى الله عليه وسلم الحارث بن عمير الأزدي[3] نزل مؤتة فسأله شرحبيل: أين تريد؟ قال الحارث:الشام، قال: لعلك من رسل محمد؟ قال: نعم، أنا سفير رسول الله صلى الله عليه وسلم،فأمر به فأوثق رباطاً، ثم قدَّمه فضرب عنقه وهو مُقيَّد، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك، فكان ذلك سبباً لغزوة مؤتة(8هـ/629م)[4]وهنا وجد المسلمين أنفسهم في مواجهة عسكرية مباشرة مع جموع هرقل من الروم والعرب لقد كانت غزوة مؤتة دليل واضح على تغيير الموقف السياسي للروم وحلفائهم من العرب تجاه المسلمين بصورة تتسم بالخصومة والعداء لمواجهة الدين الجديد قبل أن يستفحل خطره عليهم جميعاً.

وهذه الغزوة كان الهدف منها: إعزاز الإسلام ودولته والانتقام من الأعداء، وإنه لموقف كبير أن يبعث الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاثة آلاف مجاهد في قتل رجل من رجال دولة الإسلام، وهذا يعني عزة وحرمة وكرامة المسلم في دار الإسلام.[5]

لم يتوقف استفزاز الروم عند قتل سفير الرسول صلى الله عليه وسلم الحارث الأزدي، بل قام هرقل ملك الروم حين بلغه إسلام عامله على عمان فروة الجذامي[6]وتحول ولائه للرسولصلى الله عليه وسلم، وكان أحد قادة الفرق الرومية في غزوة مؤتة، فبعث إليه هرقل فحبسه حتى مات في

1_ شرحبيل بن عمرو الغساني: أحد عمال قيصر على البلقاء وهو الذي قتل سفير الرسول صلى الله عليه وسلم، ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير،ج2، ص119.

2_ بُصْرَى: وهي عاصمة حوران وهي أكبر مدن الشام قبل الإسلام، وكان محطة للتجار القادمين من الهند والحبشة(طريق البخور)، البكري: معجم ما استعجم، ج1، ص254؛ الحموي: معجم البلدان،مج1، ص441.

3_ الحارث بن عمير الأزدي:السفير الشهيد قتله شرحبيل بن عمرو الغساني لأنه سفير الرسول صلى الله عليه وسلمسنة(8هـ،629م)دفن في منطقة بصيرا في الأردن، ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، رقم الترجمة905،ج5،ص259.

4_ الواقدي: المغازي، ج2،ص755.

5_ الحميدي: السيرة النبوية،ج2،ص354.

6_ فروة الجذامي: كان عاملا لقيصر على عمان من أرض البلقاء، أحد الذين آمنوا بالرسول صلى الله عليه وسلم وأسلم وكتب للرسول صلى الله عليه وسلم بإسلامه وأهدى له بغلة بيضاء، ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير، رقم الترجمة4620،ج9،ص438.

السجن فلما مات صلبوه، فبادر الرسول صلى الله عليه وسلم لتجهيز أسامة بن زيد، تأميناً لحدود الدولة الشمالية الغربية، وحماية للدولة العربية الإسلامية من مخاطر المواجهات العسكرية الرومانية. هذه الأحداث جميعها تسببت في تأزيم العلاقة بين الروم والمسلمين وأسهمت في تغيير موقف هرقل وتوريطه بخوض حرب ضد المسلمين في وقت لاحق.

كما عمل التجار في العهد النبوي كرصاد وعيون للدولة العربية الإسلامية سواء على المستوى المحلي أو العالمي، وربما كان ذلك لقاء أجر معين أو تسهيلات من قبل الدولة العربية الإسلامية لهم، وقد ساعدهم على ذلك وجودهم الدائم في الأسواق، وأيضاً بسبب سهولة تنقلهم بين البلدان واختلاطهم بالسكان دون ريبةٍ أو شكٍ، والدليل على ذلك وصول الأخبار للرسولصلى الله عليه وسلم عن طريق التجار الأنباط القادمين إلى المدينة المنورة من بلاد الشام، حتى قيل إنه كانت أخبار بلاد الشام عند المسلمين كل يوم لكثرة من يقدم عليهم من الأنباط، وهم من أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن:" هرقل عظم الروم قد هيأ جيشاً عرمرماً قوامه أربعون ألف مقاتل، وأنه جلب معه قبائل لخم وجذام وغسان وغيرهما من متنصرة العرب، وأن مقدمتهم بلغت إلى البلقاء"،[1] فكانت غزوة تبوك سنة(9هـ/630م) لم يحدث فيها اشتباك بين الروم والمسلمين، فصالح الرسول صلى الله عليه وسلم قبائل الشمال على الجزية، وهي آخر غزوة غزاها الرسول صلى الله عليه وسلم،[2] ومنها يستدل على أن التجار كان لهم دور بارز في الحدث السياسي، إما دعماً له، أو تحريكه عن طريق نقل الأخبار.

ولما أراد هرقل الخروج من أرض الشام إلى القسطنطينية، لما بلغه من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع الروم فقال: يا معشر الرّوم، إني عارضٌ عليكم أموراً،فانظروا فيم قد أردتها! قالوا: ما هي؟ قال: تعلمون والله أن هذا الرجل لنبي مرسلٌ، إنا نجده في كتابنا نعرفه بصفته التي وصف لنا،فهلمَّ فلنتبعه، فتسلم لنا دنيانا وآخرتنا،فقالوا: نحن نكون يدي العرب، ونحن أعظم الناس مُلكاً، وأكثرهم رجالاً، وأفضلهم بلداً! قال: فهلم فأعطيه الجزية في كلّ سنة، اكسروا عني شوكته وأستريحُ

1_ البلقاء:مدينة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى،سميت كذلك لأن بالق من بني عَمان بن لوطﷺ هو من عَمرها، الحموي: معجم البلدان،مج1، ص489.

2_ ابن سعد: كتاب الطبقات الكبير،ج2،ص165؛ الواقدي: المغازي، ج3، ص909؛ الصلابي: غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم،ص313؛ المغلوث (سامي): الأطلس التاريخي لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم،مكتبة العبيكان، الرياض، ط3، 2004م، ص149.

من حربهِ بمالٍ أعطيه إياه، قالوا: نحن نعطي العرب الذلّ بخرجٍ يأخذونه منا، ونحن أكثر الناس عدداً، وأعظمهم ملكاً، وأمنعهم بلداً،لا والله لانفعل هذا أبداً، فلما أبوا عليه، قال: أما والله لترون أنكم قد ظفرتم إذا امتنعتم منه في مدينتكم، ثم انطلق حتى أشرف على الدَّرب استقبل أرض الشام، ثم قال:السلام عليكم أرض سورية تسليم الوداع ثم ركض حتى دخل القسطنطينية.[1]

النتائج التي توصل إليها البحث:

1) أظهرت المفاوضات التي جرت في صلح الحديبية أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يُدرك مواطن قوَّته، ويُدرك عظمة رسالته، ويطمئنُّ إلى صلابة أصحابه، ومن ثَمَّ جاء كلامه كلام الواثق في ربِّه، ثُمَّ في نفسه وأتباعه، وظهر بمظهر القوي الكبير، الذي يرفع رأسه في عزَّة، ويعرض أمره في قوَّة، وهذا كلُّه دون تعالٍ أو كِبْر، ودون إهمال أو تهميش، بل كان في غاية الأدب، وفي قمَّة الأخلاق.
2) تميزت سياسة الرسول صلى الله عليه وسلم بإظهار الأعمال السياسية وإخفاء الأهداف من ورائها فاستعان بالكتمان في أكثر أعماله، كما فعل في فتح مكة، واستعان بالإعلان حيث لزومه كما فعل في صلح الحديبية.
3) لما جاء الإسلام اجتمعت القبائل وتكونت دولة ذات نظام وإدارة منضبطة وقامت بينها وبين الممالك المجاورة كفارس وبيزنطة ومستعمراتهما علاقات سياسية،كان لها أثرها في معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم بأحوال الدول والمجتمعات المجاورة، وبمجرد تمكنه صلى الله عليه وسلم من ترسيخ دولة الاسلام في المدينة وعقده صلح الحديبية مع قريش فقد اتجه الى مراسلة الملوك والامراء يطلب منهم الدخول في الاسلام مما أدى إلى نشره في كثير من المناطق والدول خارج الجزيرة.
4) إن اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم الرسائل وسيلة لدعوته إلى الملوك والعظماء إلى دخول الإسلام إن دل على شيء فإنه يدل على عبقرية الرسول صلى الله عليه وسلم وذكائه وخبرته في مجال الدعوة، ويعد هذا الاختيار خطوة إستراتيجية هامة خاصة فيما يتعلق

1_ الطبري:تاريخ الرسل والملوك،ج2،ص651.

بالاستعداد المادي والروحي علماً بأن أمكنة المملكات أو الدول التي تقصد الدعوة إليها تقع في مسافة بعيدة، وهذه الوقائع لم تمنع الرسول صلى الله عليه وسلم من نشر دعوته، وكان إرسال المبعوثين والسفراء بالرسائل هي أوفر الوسائل لتحقيق الغايات السياسية والعسكرية والاقتصادية.

5) تميزت الرسائل التي أرسلها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى هؤلاء الملوك بخصائص ومميزات معينة سواء من حيث شكلها ومضمونها وعباراتها وانتقاء كلماتها، حيث كتبت بشكل قصير وموجز وعبارات واضحة قاطعة وحازمة مبدوءةً بالبسملة، ثم ذكر المرسِل وإعلامه بأنه نبي مرسل، ثم ذكر اسم المرسل إليه، وبعد هذا ذكر غرض الرسالة وقصدها بالدعاية إلى هداية الإسلام وقبوله وطاعته وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذه الرسائل تشير إلى ثقة الرسول صلى الله عليه وسلم وشجاعته وصمود موقفه أمام الملوك، وقيادته الفذة الحكيمة.

6) أبرزت السفارات النبوية أهمية استخدام الحكمة والعقلانية في الدعوة إلى الإسلام، فقد تضمنت الرسائل النبوية حججاً منطقية لدعوة القادة إلى الإيمان بالله، كما حملت روح التسامح والتعايش السلمي بين الأمم، وكيفية بناء علاقات دولية قائمة الحوار وحل النزاعات بشكل سلمي، وهذا أمراً ضرورياً في عصرنا الحاضر.

7) من أهم وظائف الرسل والسفراء في الإسلام: الدعوة إلى الإسلام، تمثيل الدولة العربية الإسلامية لدى الدول الأخرى، حمل الكتب والرسائل، التفاوض لعقد الأمان والهدنة والمعاهدات، الإبلاغ بإنهاء المعاهدات أو نبذ العهود، مفاداة الأسرى، الاطلاع وإعطاء المعلومات.

8) خاطب الرسول صلى الله عليه وسلم الملوك والأمراء بأسمائهم ومناصبهم وألقابهم كعظيم الروم وعظيم فارس أو صاحب كذا، وبالرغم من أن هؤلاء ليسوا مسلمين إلا أنهم كانوا قادة لدول لها مكانتها بين الدول وإن خطابهم بهذه الألقاب يؤدي إلى تليين قلوبهم ويشعرهم بسماحة الإسلام وأنه لم يأت لسلب سلطانهم أو امتيازاتهم وكان لذلك أثره البارز في إسلام بعضهم وإظهار الود من البعض الآخر وكشف مواقف بعض الملوك والأمراء من الدعوة الإسلامية.

9) مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم لهؤلاء الملوك والأمراء قد أظهرت صلابة موقفه تجاه دول كانت لها مكانتها في التأريخ مع أن دولته صلى الله عليه وسلم لم تزل فتية، وكان الدافع عنده أن الدول لا تقاس بقوتها أو تأريخها أو أي شيء آخر، إنما تقاس بما تحمله من المبادئ والقيم الأصيلة.

10)أنشأ الرسول صلى الله عليه وسلم أسلوباً جديداً مع الدول لم يكن معروفاً آنذاك واستطاع من خلال رسائله الكريمة أن يتعرّف على مواقف أولئك الملوك والأمراء من الإسلام، وقد شكلت هذه الرسائل نقطة تحول في العلاقات بين دولته والدول الأخرى.

11)تميزت الكتب النبوية التي أرسلت إلى الملوك والأمراء وأصحاب الأمر والنهي أنها لم تكن على درجة واحدة، أو صياغة ثابتة، لكن كانت بحسب ما يناسب الحكام والرؤوساء التي أرسلت إليهم هذه الكتب، وكانت خفيفة الكلمات، عميقة المعنى، حيث كان الرسول صلى الله عليه وسلم يخاطبهم بخطاب العقل، ويخاطبهم بقوة وليس عن ضعف، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم سيبقيه على ماتحت يديه من ملك إن هو أسلم، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم ينزل الناس منازلهم.

12)استعمال الرسول صلى الله عليه وسلم عبارات في غاية التأدب بما يليق بمقام المرسل إليهم وهم ملوك وعظماء ذوو الشأن العالي والقدر الجلي، وقيام الرسول صلى الله عليه وسلم بتبجيل واحترام وتوقير المرسل إليه بقصد حفظ مكانته الاعتبارية بين قومه.

13) اختار الرسول صلى الله عليه وسلم أن يحمل الرسائل أناسٌ على قدرٍ كبيرٍ من الصفات الجليلة كالشجاعة ورباطة الجأش وفصاحة اللسان وحصافة الرأي وجمال المظهر، إن قيام سفراء الرسول صلى الله عليه وسلم بإيصال الرسائل النبوية وتحمل المسؤولية وأدائها مهمتهم على أحسن وجه حتى أن بعضهم استشهد في أداء هذه المهمة إنما يدل على الاختيار السليم للرجال ووضعهم في الأماكن المناسبة لهم.

14)الرسـائل النبوية الكريمة قد أثبتت للدول الأخرى عدم ممانعة دولة الرسـول صـلى الله عليه وسلم من إقامة العلاقات وتبادل السفراء.

15)أعطى هؤلاء السفراء صوتاً إعلامياً خارج شبه الجزيرة العربية بوجود الرسول صلى الله عليه وسلم تحقق بالتأكيد إنه آخر الأنبياء وأن هؤلاء الملوك و الأمراء يعرفون أن هناك نبياً اسمه أحمد فثبت لديهم أنه نبي ورسول لا محالة في ذلك، ولولا خوفهم لآمنوا به لأنهم يعرفون ذلك.

16)كانت الغاية من العلاقات الدولية الإسلامية السلمية هي:

أ- نشر الدعوة الإسلامية.

ب-السعي لتحقيق الأمن المشترك.

ج-تبادل المنافع المشروعة الاقتصادية أو العلمية أو غيرها من المنافع بين الدول.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

قائمة المصادر:

1- ابن الأثير(علي بن أبي الكرم محمد، ت:630هـ/ 1233م): أسد الغابة في معرفة الصحابة، تح،علي معوض، عادل الموجود،تقديم، محمد البري،عبد الفتاح أبورستة، جمعة النجار،دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.

2- ابن الأثير(علي بن أبي الكرم محمد، ت:630هـ/ 1233م): الكامل في التاريخ، تح،عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م

3- ابن اسحاق(محمد بن اسحاق بن يسار،ت:151هـ/768م): السيرة النبوية، تح، أحمد المزيدي، دار الكتب العلمية،بيروت، 2004م.

4- الأصبهاني(أحمد بن عبد الله،ت:430هـ/1038م):معرفة الصحابة،تح،عادل العزازي،دار الوطن، الرياض، 1998م.

5- البخاري (محمد بن إسماعيل، ت: 256هـ / 869م): صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق، 2002م.

6- ابن حبيب البغدادي (محمد، ت :245هـ/ 859م): المحبر، رواية، أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري، تصحيح، الليزه ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، د.ت.

7- البكري (عبد الله بن عبد العزيز، ت: 487 هـ / 1094م): معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تح وضبط، مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، 1945م.

8- البيهقي (أحمد بن الحسين، ت:458هـ/1065م): دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، علق عليه، عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية،بيروت، 1988م.

9- ابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي، ت597هـ/1200م): الوفا بأحوال المصطفى، تح : مصطفى عبد الواحد، دار الكتب الحديثة، مصر، د.ت.

10- ابن حبان(محمد البستي، ت:354هـ/956م): تاريخ الصحابة الذين روي عنهم الأخبار،تح،بوران الضناوي، دار الكتب العلمية،بيروت،1988م.

11- ابن حبان(محمد البستي، ت:354هـ/956م):السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، صححه،عزيز بك، مؤسسة الكتب الثقافية،بيروت، 1987م.

12- ابن حجر العسقلاني(أحمد بن علي، ت:852هـ / 1448م):الإصابة في تمييز الصحابة، المكتبة العصرية، بيروت،2012م،

13- ابن حجر العسقلاني(أحمد بن علي، ت:852هـ / 1448م):المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية،دار العاصمة،الرياض،2011م.

14- ابن حديدة (محمد بن علي بن أحمد، ت:783 هـ/ 1381م): المصباح المضيء في كتاب الرسول الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي، صححه، محمد عظيم الدين، دار عالم الكتب، بيروت، ط2، 1985م.

15- الحلبي (علي بن برهان الدين الشافعي، ت:1044هـ/ 1634م): إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون المعروفة بالسيرة الحلبية، المطبعة الأزهرية، مصر، ط3، 1932م.

16- الحموي(ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي، ت: 626هـ / 1228م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1993م.

17- ابن خياط(خليفة بن خياط،ت:240هـ/854م): تاريخ خليفة بن خياط، تح،أكرم ضياء العمري،دار طيبة، الرياض،ط1958،2م.

18- الذهبي (محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، ت : 748 هـ /1347م): سير أعلام النبلاء، اعتنى به، حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، بيروت، 2004م.

19- الزهري(محمد بن مسلم بن عبيد الله، ت: 124 هـ/742م):المغازي النبوية، تح،سهيل زكار، دار الفكر، دمشق،1981م.

20- الساعاتي (أحمد عبد الرحمن البنات : 1377 هـ/ 1957م): الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومعه مختصر بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني ، دار إحياء التراث العربي ،بيروت ، د.ت .

21- ابن سعد (محمد بن منيع الزهري، ت: 230هـ/ 845م): كتاب الطبقات الكبير، تح، علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2001م.

22- السهيلي(عبد الرحمن بن عبد الله، ت: 581 هـ/ 1185م): الروض الآنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، تح، مجدي بن منصور بن سيد الشورى، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009م.

23- الطبراني (سليمان بن احمد، ت: 360 هـ / 970م): المعجم الكبير، تح، حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، د.ت.

24- الطبري (محمد بن جرير، ت: 310هـ/ 923م):تاريخ الرسل والملوك،تح،محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر،ط2، 1967م.

25- ابن طولون (محمد الدمشقي ت:953 هـ/1546م): إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، تح، محمود الأرناؤوط، مراجعة،عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1987م.

26- ابن الفراء(الحسين بن محمد، ت:458هـ/1066م): رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، تح، صلاح الدين المنجد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1947م.

27- القرطبي (ابن عبد البر يوسف بن عبد الله، ت:463 هـ/ 1071 م): الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح :علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت،1992م.

28- القلقشندي (أحمد بن علي، ت:821هـ/ 1418م): صبح الأعشى في كتابة الإنشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1914م.

29- القلقشندي (أحمد بن علي، ت: 821هـ/ 1418م): نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تح، إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1980م.

30- ابن كثير(إسماعيل بن عمر، ت:774هـ/ 1373م): البداية والنهاية، تح،عبد الله التركي، دار هجر، مصر، 1997م.

31- مسلم(مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت: 261 هـ / 875م): صحيح مسلم، تح، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991م.

32- ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم، ت: 711هـ/ 1311م): لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1993م.

33- ابن هشام(عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، ت: 218هـ/ 833م): السيرة النبوية، تح، عمر التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1990م.
34- الواقدي (محمد بن عمر بن واقد، ت: 207 هـ/823م): المغازي، تح، مارسدن جونز، عالم الكتب، بيروت، د.ت.
35- ابن وهب الكاتب(اسحاق بن إبراهيم،ت:335هـ/947م):البرهان في وجوه البيان،تح،جفني محمد شرف، مطبعة الرسالة،القاهرة،1969م.
36- اليعقوبي(أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر، ت: 284هـ/ 897م): تاريخ اليعقوبي، تح،عبد الأمير مهنا، شركة الأعلمي، بيروت، 2010م.

قائمة المراجع

1- الأعسم(خليل):النظام الدبلوماسي في الشريعة الإسلامية، د.د، بغداد،1996م.
2- الأفغاني(سعيد): أسواق العرب في الجاهلية والإسلام، دار الفكر، دمشق، ط2، 1960م.
3- الألباني (محمد ناصر الدين): سلسلة الأحاديث الصحيحة، مكتبة المعارف، الرياض، 1995م.
4- برنعش(محمد حسن): مصعب بن عمير الداعية والمجاهد، دار القلم، دمشق،ط6، 1999م.
5- البوطي (محمد سعيد رمضان): فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، دار الفكر، دمشق، ط10، 1991م .
6- البيومي(محمد رجب): في ظلال السيرة النبوية، دار الكلمة، المنصورة،2009م.
7- الثعالبي(عبد العزيز):الرسالة المحمدية، تح،صالح الخرفي، دار ابن كثير، دمشق،1997م.

8- الجبوري _الهاشمي(أحمد_إياد): التاريخ الدبلوماسي،دار الفكر موزعون وناشرون، عمان، 2015م.
9- حجازي(سليم): منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية،دار المنارة،جدة،1986م.
10- حسن (حسن إبراهيم): تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، بيروت، ط14،1996م.
11- حسين(ناهد): السفارات العربية- البيزنطية في العصرين الراشدي والأموي، مجلة جامعة حمص،العدد5،حمص، مج45، 2023م.
12- الحكيم (توفيق): محمدصلى الله عليه وسلم، المطبعة النموذجية، مصر، 1926م.
13- حمودي_العبد(شيرين_نور):رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ملوك الدول المجاورة (النجاشي _ هرقل_ كسرى)، مجلة جامعة حمص، العدد41، حمص، مج39،2017م.
14- حميد الله (محمد): مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار النفائس، بيروت، ط4، 1983م.
15- الحميدي(عبد العزيز):السيرة النبوية،دار الدعوة، الإسكندرية،2005م.
16- خطاب(محمود):سفراء الرسول صلى الله عليه وسلم،مؤسسة الريان،بيروت،1996م.
17- رضا(أحمد): معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1958م.
18- الزحيلي(وهبة): المفاوضات في الإسلام(بين الأصالة والمعاصرة)،دار المكتبي،دمشق،1996م.
19- الزركلي (خير الدين): الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط15،د.ت.
20- السامرائي(شفيق): الدبلوماسية، دار الكتب الوطنية، بنغازي،2002م.
21- سفر(حسن):السفارات في النظام الإسلامي،جامعة الملك عبد العزيز ،جدة،1997م.

22- الصلابي(علي): غزوات الرسول صلى الله عليه وسلمدروس وعبروفوائد،مؤسسة اقرأ، القاهرة،2007م

23- ضميرية(عثمان): السفارة والسفراء في الإسلام، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، 1997م.

24- العازمي (موسى بن راشد): اللؤلؤ المكنون في سيرة المأمون، دار الصميمي، الرياض، ط1، 2013م.

25- عبودي (هنري س.): معجم الحضارات السامية، جروس برس،طرابلس، لبنان،ط2، 1991م.

26- عرموش(أحمد):قيادة الرسول صلى الله عليه وسلم السياسية والعسكرية، دار النفائس،بيروت،1991م.

27- العمري(أكرم): السيرة النبوية الصحيحة،مكتبة العلوم والحكم،المدينة المنورة،ط6،د.ت.

28- العمري(أكرم): السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد الحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، مكتبة العلوم والحكم،المدينة المنورة، ط6، 1994م.

29- غلوش(أحمد): السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي،مؤسسة الرسالة،د.م،2003م.

30- غلوش(أحمد): السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني،مؤسسة الرسالة،د.م،2004م.

31- فتح الباب(حسن): أصول الدبلوماسية الثقافية في الإسلام، مجلة الوعي الإسلامي،العدد333، الكويت، 1993م.

32- الفيتوري(عبد الحكيم): صلح الحديبية وأبعاده السياسية المعاصرة،دار المدني، القاهرة،ط3، 2005م.

33- كحالة (عمر): معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 1997م.

34- مجموعة مؤلفين : المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 2004م.

35- معلوف (لويس): المنجد في اللغة والأدب والعلوم، المطبعة الكاثوليكية،بيروت، ط19، د.ت.

36- المغلوث (سامي): الأطلس التاريخي لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم،مكتبة العبيكان، الرياض، ط3، 2004م.

37- الميانجي(علي): مكاتيب الرسول صلى الله عليه وسلم، دار الحديث، طهران، 1987م.

38- الوكيل(مختار):سفراء الرسول صلى الله عليه وسلم وكتابه ورسائله،دار المعارف،القاهرة، 1987م.

39- نمراوي والقضاة(أكرم ومحمد):مهارات التفاوض في السنة النبوية صلح الحديبية نموذجاً،مجلة دراسات القرآن والحديث،ع12، ماليزيا، 2015م.

40- الندوي(علي): السيرة النبوية،دار الشروق، جدة، ط8، 1989م.